نصوص تاريخية

باللغة الإنجليزية

ترجمة وتعليق

أ٠د٠ ليلى عبد الجواد إسماعيل
أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة القاهرة



النصوص مختارة من كتاب :

Fifty Documents in the medieval History

Edited by :

Dr. Said Ashour

Dr. Hassanein Rabie

Cairo 1998

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إلى أبنائي وبناتي طلاب الفرقة الثالثة / قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

يسعدني أن أقدم لكم هذه الدراسة الجادة لمادة " نصوص تاريخية باللغة الإنجليزية " . وهى دراسة جديدة في بابها تختلف عما كنا نقوم بتدريسه في الأعوام السابقة ، حيث كان الطالب لا يجد بين يديه سوى مجموعة مجردة من النصوص الإنجليزية ، يقف حائراً أمامها ، نظراً لصعوبة فهمها وترجمتها .

وكان لارتباطي بطلاب الفرقة الثالثة عبر سنوات عدة أثر في دراستي هذه ، والتي حاولت أن أخرجها في ثوب جديد ييسر على الطلاب مادة النصوص الإنجليزية ، ويسهل معها فهمها واستيعابها ، بل والقراءة بعد ذلك في المصادر المتخصصة .

وقمت من أجل ذلك باختيار عشرين نصاً من جملة النصوص التي جمعها كل من أستاذي الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ، والأستاذ الدكتور / حسنين محمد ربيع فى كتابهما المعنون بـ " خمسين وثيقة في تاريخ العصور الوسطى .

Fifty documents in the Medieval History.

وقد ترجمت النصوص المختارة إلى اللغة العربية ، وأعقبت كل نص بشرح بعض المفردات التي تمس إليها الحاجة ، وكذلك التعليق على النص وكاتبه إن وجد .

وقد بذلت في سبيل إعداد هذا العمل جهدا شاقا ، وهو في الحقيقة حصاد سنوات تدريسى لهذه المادة ، وقفت خلالها على جملة الصعاب التي يواجهها الطلاب من أجل فهم هذه المادة واستيعابها ، وحاولت قدر الجهد تفادى تلك الصعاب .

وأخيرا أرجو الله العلي القدير أن يتوج هذا العمل بتحقيق الهدف المرجو منه . والله أسأل التوفيق والسداد لجميع أبنائي وبناتي من الطلاب.

أ.د. ليلى عبد الجواد إسماعيل



حياة القديس أنطون (انطونيوس)

بقلم

أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية

نص الترجمة

كان أنطون المبارك مصريا من حيث السلالة والجنس ؛ وكان ينحدر من أسرة عريقة نبيلة ؛ وكان لهذه الأسرة أملاك وعبيد وكان أسلافه من المؤمنين بالمسيحية المعتنقين لها . تربى منذ طفولته على خشية سيدنا (يقصد المسيح) . وقضى طفولته بين أهله وأقربائه دون أن يعرف شيئا عن أبناء أو ماذا يجرى بين أهله أي خارج البيت . وكان هادئا للغاية وكان تفكيره متواضعا جدا ؛ لم يسبب إزعاجا لوالديه بسؤالهما ؛ وكان معتدلا للغاية متواضعا ؛ ومستقيما لدرجة كبيرة . كما كان غير قادر على تعلم القراءة والكتابة إذ أنه لم يستطع أن يتحمل سلوك الأولاد الفظ (في المدرسة) .

وعندما مات والديه كان عمره حينئذ يتراوح بين ١٨-٢٠ سنة ؛ وأصبح بموتهما المسئول عن البيت وعن أخته . وبينما كان في الكنيسة ذات يوم طرأت على ذهنه فكرة صائبة. وبدأ يتأمل في قرارة نفسه ويفكر كيف ترك الرسل المباركين كل شئ ؛ واتبعوا مخلصنا؛ وكيف أن الآخرين الذين تبعوهم ؛ وساروا على دربهم وخطاهم وباعوا كل شي يمتلكونه ؛ ووضعوا المال عند أقدام الرسل ليوزعوه على الفقراء أو ينفقوه عليهم . وبينما هو يفكر في هذه الأشياء ؛ كان الإنجيل يقرأ ؛ وسمع سيدنا (المسيح) وهو يقول للرجل الغنى : "إذا أردت أن تكن كاملا فأذهب وبع كل شئ ؛ وأعط الفقراء ؛ وخذ

الصليب ؛ وتعال واتبعني ؛ فيكون لك كنز في السماء"(١) .

ودخل الكنيسة ثانية في اليوم الأول من أسبوع أخر في وقت التلاوة الأنجيلية ؛ وسمع كلمة سيدنا لحواريه وتلاميذه .

"لا تهتموا بالغد ..." وتلقى الأوامر في الحال ؛ وخرج ووزع ما تبقى له مع أخته على الفقراء .

وكان القديس أنطون يلجأ الي جبل على مسافة قريبة من القرية؛ ولكنها مسافة كافيه من هناك ؛لانه كان يجب أن يبتعد نوعا ما عن سكنى الناس .

وكان يوجد في ذلك الحين في قرية أخرى إلي جوارهم شيخ مبارك يعيش حياة التنسك منذ شبابه؛ ورأى أنطون المبارك هذا الرجل؛ وأصبح غيورا من فضائل أعماله . وكان في البداية يعيش كذلك إلي جوار القرية؛ في الأماكن التي لا تطأها الأقدام . وكان يفكر وهو يعيش في هذا المكان في فضائل حياة التنسك بلا شك ؛ ولم يسترح لانه كان دائم التأمل والتفكير من أجل الحقيقة

وبدأ يعمل بيده لانه سمع كلمات تقول : "من لا يعمل لا يأكل"؛ وكان يخصص جزءا صغيرا من نتاج عمل يده من أجل أن يمد نفسه بالطعام والغذاء؛ ويوزع الباقي على الفقراء ؛ وكان أنطون يصلى باستمرار لانه سمع كلمات تقول " صلوا بلا أنقطاع ولاتجعلوها متعبة لكم ". وكان قد أعتاد سماع

---

(١) إنجيل متى ١٩ : ٢١ .

تلاوة الانجيل والكتاب المقدس فى تركيز حتى لا تفوته كلمة ؛ وحفـــظ مــن الآن في ذاكرته الأوامر التي كان يسمعها ؛ والتي أمست كالكتـــاب المقــدس بالنسبة له .

وأصبح القديس أنطون مستودعا للصوم والصلاة وأعمال التنســك ؛ والجلد والحب والخير والحق الذي هو أم هذه الأعمال كلها . ولم يغار مـــن الرهبان الشباب الذين كانوا في مثل سنه إلا في حالة واحدة فقط وهى : أنه لا يقبل أن يكون في المرتبة الثانية (أي يجب أن يكون الأول دائما) فـــي فعــل الخيرات واكتساب الفضائل . وقد سلك هذا المسلك حتى لا يغاروا منه فقــط بل ليفرحوا معه ؛ ويقدموا الشكر له .

وكانوا يدعونه ثيوفيلـــوس Thophilus والتـــي يمكـــن تفســـيرها وترجمتها بمحب الله God loving وقد أطلق جميع أهل الفلاح عليـــه هــذا اللقب ؛ وأحبه بعضهم كأخ ؛ وأحبه البعض الأخر كأبن .

التعليق على النص

اولا:كاتب النص (القديس أثناسيوس رئيس أساقفة الاسكندرية)

ينتمي أثناسيوس الى أسرة مسيحية ؛ وكان أبوه يعمل كاهنا لأحـــدى الكنائس؛ وقضى أثناسيوس طفولته في إحدى الكور المجاورة لاخميـــم ؛ ثـــم نزح في صباه مع أسرته الى ضواحي الإسكندرية . وعكف أثناسيوس علـــى تعلم اللغة اليونانية ؛ ودراسة اللاهوت والأدب والفلسفة اليونانية السائدة آنذاك . ويبدو أنه درس هذه العلوم في مدرسة الإسكندرية منارة اللاهوت والفلســفة في ذلك الوقت ؛ وعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره ألف أول كتابين لـــه وهما : الأول بعنوان "ضد الوثنيين" والثاني بعنوان "تجسد الكلمة". ثم تعــرف أثناسيوس على أسكندر بطريرك الإسكندرية ؛ ودخل في خدمتـــه كــأبن لــه وكسكرتير ؛ وكان أسكندر أستاذه وراعيه فى آن واحد أذ تلقى منه الرعايـــة كاملة فكرا وحياة . هذا فضلا عن أن أثناسيوس مارس حياة النسك والرهبنـة وكانت تربطه برهبان مصر علاقات مودة وصداقة وخاصة القديس أنطـون . وبعد وفاة أسكندر سنة ٣٢٨م أرتقى أثناسيوس عرش بطريركية الأسكندريه .

وكان له رأى في طبيعة السيد المسيح وهو المعروف بأسم مذهـــب أثناسيوس فقد كان يؤمن بما جاء في مجمع نيقية ٣٢٥م من أن للمسيح طبيعة الهية ؛ وأنه مساو للأب في الجوهر والأزلية ؛ وأنه مولود وليس بمخلـــوق ؛ لذلك حمل حملة شعواء على الأريوسيين ؛ وأشتد في معاملتهم ؛ وأنزل بـــهم أشد ألوان الاضطهاد ؛ وطرد البقية الباقية منهم من كنائسهم .

وكتب القديس أثناسيوس عدة كتابات في دحض الدعوة الأريوسية ؛

وأتسم أسلوبه فى الكتابة اليونانية بالبساطة والوضوح وقوة التعبير . ومن أهم كتاباته التاريخية الهامة ما يتحدث فيه عن مواقفه الدينية وأعمالـــه ؛ ويعتـــبر كتابه عن حياة القديس أنطون ومنه النص الذي بين أيدينا . من أقـــدم وأهـــم الكتابات عن نشأة الرهبنة المسيحية في مصر .

ثانيا: التعليق على النص

يتحدث هذا النص عن القديس أنطون؛ الذي يعد المؤســـس الحقيقـــي للرهبنة الانفرادية بل ورائد نظام الرهبنه لذلك يلقب (أب جميــــع الرهبـــان) و(كوكب البرية).

والرهبنة الانفرادية تقوم على التوحد والانفراد ؛ حيث ينفرد الراهـب في مغارة يقضى فيها حياته منعزلا عن البشر. وكان الراهب لا يأكل إلا مـرة واحدة في اليوم ؛ وطعامه عبارة عن خبز جاف وقليل من الملح . وأتسم هـذا النوع من الرهبنة بإغراق الجسد في ضروب الزهد والمبالغة فـــى التقشـــف والصوم ؛ وتعذيب الجسد لخلاص الروح .

أما عن القديس أنطون الذي نسب إليه هذا النوع من الرهبنـــة لانـــه أعطى للرهبنه وضعها الثابتة وصفتها العالمية الواسعة النطاق .فقد ولد فـــي عام ٢٥١م في مدينة تدعى كوما أو (هرقليوبوليس) فى مصـــر الوســـطى ؛ وتعرف الان (بقمن العروس) بالقرب من بنى سويف.

وكان أبوى أنطون مسيحيين وعلى درجة واسعة من الثراء والغنـــي إذ كان والده يمتلك مزرعة مساحتها ثلاثمائة فدان ؛ لذلك عاش أنطون فـــي بيت أبويه عيشه منعمة مترفة ؛ وتعلم منهما قواعـد الديـن المســيحى مــع الفضيلة والتقوى ؛ غير أنه لم يأخـذ قسطا من التعليم فقد ظل أميا لا يعرف

الكتابة حتى أواخر أيامه . وأرجع القديس أثناسيوس رئيس أساقفة الأسكندريه ذلك الى كراهيته لسلوك الأولاد الفظ في المدرسة ؛ كما جاء فى سيرته عن حياة القديس أنطون .

وتوفى أبوه وأمه وهو لم يبلغ الثامنة عشر من عمره وقيل العشرين ؛ وتركا له مع تلك الثروة العريضة أختا صغيرة يقوم على رعايتها وتربيتها . وكان أنطون كثير التردد على الكنيسة . وذات يوم بينما هو في الكنيسة مع أخته أستمع الى آية فى الانجيل تقول : "أن أردت أن تكون كاملا ؛ فأذهب وبع أملاكك ؛ وأعط الفقراء ؛ وخذ الصليب، وتعال واتبعني ؛ يكون لك كنز في السماء" .

وما أن سمع أنطون هذه الآية حتى شرع في تنفيذها ؛ وخاصة بعد أن سمع – في الأسبوع التالي _آية أخرى تقول : "لا تهتموا بالغد بل اجعلوا الغد يهتم بنفسه ؛ يكفى اليوم شر"؛ وأحس أنطون وكأن هذه الكلمات موجهه إليه . لذلك باع أنطون أملاكه ووزعها على الفقراء .

أما عن أخته فقد ذهب بها الى أحد دور العذارى اللواتي دائبن على الأجتماع بحجر الكنيسة للتعبد وتدريب النفس على القداسة ؛ وأوصى بها رئيستهن لكى ترعاها كأبنة لها . وبعد أن أطمئن أنطون على أخته ؛ ذهب يتعبد فى البرية ؛ وعكف على العمل والصلاة ؛ فكان يصنع القفف والحصر ويقتات بثمنها .

وقضى أنطون فى تنسكه نحو ١٥ عاما ؛ ثم أنصرف الى العزلة التامة فى مغارة على قمة أحد جبال البحر الاحمر وقضى فيها بقية حياته .ويذكر الرحالة (بلاديوس) صاحب كتاب بستان الرهبان والذى زار مصر

فى أواخر القرن الرابع الميلادى ؛ ومكث بها لدراسة أحوال الرهبان _ يروى أن أنطون بينما كان يمارس الرهبنة وحياة التنسك ؛ ظن أنه لايوجد فى العالم من هو أفضل منه زهدا ونسكا ؛ وأذا به يسمع صوتا يقول له :

"يأنطونيوس هناك من هو أفضل منك ؛ هناك شـيخ فـى الصحـراء بالقرب من البحر الاحمر ؛ زهد العالم منذ تسعين عاما". ومضى أنطون الـى البحر الأحمر للبحث عن الشيخ ؛ وما لبث أن وصل اليه والتقى بـه : وهـو الأنبا بولا ؛ وظل الى جواره حتى مات . ثم قضى بقية حياته أى أنطون على قمة أحد جبال البحر الأحمر .

وتردد على أنطون فى بعض الأحيان عدد من الزائرين الذيـن كـانوا يحملون اليه بعضا من الطعام والشراب ؛ ويستمعون الى عظاتـه ؛ وتتلمـذ الكثيرون على يديه ؛ بل وأقام بعضهم حوله . وسرعان ما كثر عدد المريدين والأتباع الراغبين فى حياة التنسك والرهبنة وفى عيشة العزلة ؛ منهم الأغنياء ومنهم الفقراء . وبمرور الوقت ظهر جماعة من الرهبان لاعمل لهم سـوى تلاوة الايات الدينية وتأدية الصلوات ؛ وقراءة التعاليم الدينية وبذل الاحسان ؛ يعيشون حياة هادئة ليس بها مشاكل ولاشر ؛ يعيش كل راهب منهم مسـتقلا قائما بذاته ؛ لا يدين بالطاعة لأحد سوى معلمه انطون ؛ الذى تتلمذ على يديه وتلقى منه مبادئ الرهبنة .

وما لبثت رهبنة أنطون أن أنتشرت فى سائر أنحاء مصر من الوجـه البحرى والقبلى على حد سواء ؛ وساعد على أنتشارها أن :

١- مراسيم الدخول فيها كانت سهلة وبسيطة فلا يطلب من الشـخص عنـد قبوله فى جماعة الرهبان سوى أن يقسم اليمين بأن يظل مطيعـا طـاهرا متقشفا .

- لا يجوز فيها أن يكون الراهب أو الراهبة مـن المنقطعين ؛ فيصح أن يمارس أى منهما حياة الزهد والتنسك فى داره أو مع جماعة صغيرة مـن رفاقه .

وفى ظل رهبنة القديس انطون ؛ خصص لكل راهب قلاية أو (خلوة) يعيش فيها بمفرده ليتعبد ويصلى ؛ ولا يشترك مع الرهبان الافى أنتـاج مـا يلزمهم من طعام وملبس ؛ وكانت كل قلاية تبعد عن الأخرى بمـا يتجـاوز السمع والنظر .

أما عن حياة الرهبان اليومية فكانت تتسم بالعمل من الصباح حتـى الظهر وذلك عملا بما جاء فى الانجيل (من لا يعمل لا يأكل) .

كان كل راهب يؤدى حرفته ؛ فمنهم من يعمل فى السـلال ؛ أو نسـخ الكتب الدينية وخاصة الكتاب المقدس ؛ ويجوز للراهب أن يؤدى عمله داخـل قلايته ؛ وكان من الرهبان من يعمل فى المطبخ أو المخبز ومنـهم الصنـاع والأطباء .

وفى المساء ينشغل الجميع بالصلاة والتأمل وقراءة الانجيل وتـلاوة التراتيل الدينية ؛ بحيث أنه اذا وقف أنسان فى هذا المكان فى المساء وسـمع المزامير والتسابيح صاعدة من قلايات الرهبان ؛ يحس وكأنه فى الفـردوس . ولا يجتمع الرهبان الا فى يومى السبت والأحد من كل أسبوع فـى الكنيسـة لاداء صلاة القدس وما عدا ذلك ينصرفون الى العزلة التامـة ؛ فـلا يـزور أحدهم الأخر الا في حالة المرض أو لبعض الدواعي الروحية . ولهذا يـرى البعض أن رهبنة أنطوان الانفرادية تعتبر نوعا من التطـرف البعيـد عـن الحكمة وطبيعة الإنسان الاجتماعية .

مات القديس انطون عن عمر يناهز المائة وخمسة أعـــوام ؛ دون أن ينزل من كهفه سوى مرتين :

الأولى : خلال اضطهاد ماكسيمينوس للمسيحية والمسيحيين ؛ وكـــان يقــوم بزيارة السجون ؛ ويتنقل بين المدن معرضا حياته للخطر .

الثانية : عندما أستفحل مذهب أريوس فى عهد قسطنطين العظيم حيث نــــزل الى المدن المصرية؛ ليساعد القديس اثناسيوس فى كفاحه ضد أتباع اريوس .

ترجمة النـــص

باخوم العظيم وابناء ديره

فى بلدة طيبة ، وفى مقاطعة هناك تعرف باسم تبانسيس Tebansis أو (طابنا)(١) كان هناك رجل مبارك اسمه باخوم، مارس حياة طيبة من التنسـك الممتاز، وتوج بحب الله والناس.

ومكث هذا الرجل فى قلايته cell حتى ظهر له ملاك وقال له "أنـــك قـد اتممت فترة التلمذة كاملة، وليس من الضرورى أن تعيش هنا، تعالى ، واجمع كل هؤلاء الذين هاموا على وجوههم فى الصحراء، وعش معهم، واخضعهم للقوانين التى سوف أخبرك بها".

وأعطاه الملاك كتاباً (أو لوحاً) مكتوب عليه مايلى :

١- دع كل راهب يتناول من الطعام والشراب ما يشاء، وعلى قدر قوة هـؤلاء الرهبان ، وبقدر ما يأكلون ويشربون تلزمهم بالعمل. ولا تنهاهم لا عن الأكل ولا عن الصوم، وبالنسبة للاقوياءمنهم طالبهم بالاعمال الشاقة، أما الضعفـــاء والصائمون فكلفهم بالأعمال غير المضنية أو بالاعمال الخفيفة.

٢- عليك أن تقيم لهم قلايات يسكنوها ثلاثة ثلاثة .

٣- عليهم أن يتناولوا الطعام جميعاً فى قاعة واحدة.

٤- يجب عليهم الا يفترشوا الأرض ولا يتمددوا عند النوم، ولكن يجب عليـك أن تصنع لهم مقاعد أو مصاطب، حتى إذا ما استلقوا فوقها، أمكنـــهم أن يسندوا رءوسهم عليها.

---

(١) تقع طابنا بالقرب من قنا فى مواجهة دندرة.

٥- يجب عليهم أن يرتدوا أثناء الليل ملابس بدون أكمام، وأن يشدوا وسـطهم بحزم، ويجب ان يزود كل منهم بقلنسوة أو طاقية، لغطاء الرأس، وعليهم أن يتناولوا العشاء الربانى Offering يومى السـبت ، وأول يـوم فـى الأسبوع (الأحد)، وهم يرتدوى قلانسهم أو طواقيهم فوق رءوسهم، بـدون أن يكون عليها أغطية أخرى. ويجب أن يكون فى مقدمة كـل قلنسـوة صليب مشغول من الارجوان.

٦- وعليك أن تقسم الرهبان إلى ٢٤ (اربع وعشرين) درجة أو رتبة، ولكـل رتبة حرف من حروف الأبجدية اليونانية ، بداية من الالفا (حرف الالف) وحتى الاوميجا (حرف الياء).

واتم باخوم المبارك وانجز هذه الاشياء، طبقاً لما أمـره بـه المـلاك، وعندما سأله رئيس الدير فيما يتعلق بشئون الرهبان وأعمالـهم قـال لـه : "صوت أو حرف الالفا وحرف أو صوت البيتا (الباء) يخصان رئيس الديـر : وهكذا فإن كل جماعة من الرهبان (الأخوة) لهم حروف ابجدية تتحدد لهم تبعا لتسمية الحروف الاربعة والعشرين.فبالنسبة للبسطاء في الروح والمسـتقيمين (من الرهبان) فيرمز لهم بحرف Yodh (ايتا) ، أما صعاب المراس فـيرمز إليهم بحرف (اكس). وهكذا كان يرمـز للرهبـان بحـروف وفقـاً للميـول والاستعدادات، ووفقاً للعادات، ونظم حياة طوائف الرهبان .

وأمر الملاك ايضاً بأنه إذا جاء إلى الدير راهب غريب، فعليه ان يرتدى زياً مخالفاً لزيهم، ولا يدخل معهم إلى حجرة المائدة. ويكلف من يرغب قبوله كراهب فى هذا الدير بالعمل ثلاث سنوات قبل أن يتلقى (زى الرهبان) وحلقة الرأس (التى تميز هؤلاء الرهبان) .

وعلى الرهبان عندما يتناولون الطعام معاً أن يغطوا وجوههم بغطاء رأسهم حتى لا يرمقوا بعضهم بعضاً وهم يأكلون.وعليهم الا يتجاذبوا أطراف الحديث، وهم على المائدة، وأن لا يتطلعوا من جانب لآخر.

كذلك أمر الملاك (باخوم) بأن يطلب من الرهبان أن يرددوا صباح كل يوم اثنى عشر قسماً من المزامير، واثنى عشر أخرى كل مساء ، واثنى عشر ثالثة ابان الليل. وعندما يحضرون للطعام يجب أن يرتلوا المزمور الكبير.

وأجاب باخوم المبارك على الملاك " أن الاقسام التى حددها الملاك لهم من المزامير لتكرارها قليلة جداً". وأجابه الملاك "أن الاقسام التى حددها من المزامير قليلة فعلاً، ولكن ذلك حتى يتسنى للجميع، وحتى الرهبان الصغار (الذين ليس لديهم القدرة على أن يصبحوا من كبار النساك) بأن يتمكنوا من انجاز هذه المهمة دون أن يشعروا بالضيق أو الغم.

وكان يعيش فى هذا الجبل حوالى سبعة آلاف من الأخوة (أى الرهبان) ففى الدير الذى عاش فيه باخوم نفسه، كان هناك الف وثلاثمائة من الأخوة، وإلى جانب هذا الدير كانت هناك اديرة أخرى ، يحتوى كل منها أما على ثلاثمائة أو مائتين أو مائة من الرهبان، وعاش الجميع معا، وعملوا بايديهم عملاً شاقاً، لذلك توافر لديهم ما يفيض عن حاجتهم، ولذلك كانوا يزودون اديرة الراهبات – التى كانت هناك – بما تحتاج إليه.

واعتنى الرهبان باعمالهم فى كل يوم من أيام اسبوع القداس، البعض يذهب إلى المطبخ، والبعض الآخر يعدون الموائد، ويضعون عليها الخبز فى الساعة الثالثة، وجماعة أخرى فى الساعة السادسة، وفريق ثالث فى الساعة التاسعة ، وأخرين فى المساء. وآخرين يتناولون الطعام مرة واحدة فى اليوم،

ويتناوله البعض مرة واحدة فى الاسبوع ، ويعرف كل منهم بـــالحرف الـــذى حدد له ، وكذلك عمله أيضاً.

يعمل بعضهم فى البستان، والبعض فى الحدائق، والبعض فـــى ورشـــة الحدادة، أو فى المخبز، والبعض فى ورشة النجارة أو فـــى محـــل النســـيج، والبعض يصنع السلال والحصر من سعف النخيل. يغزل البعـــض الشـــباك، ويصنع البعض النعال، ينسخ بعضهم (الكتب)، يؤدى كـــل هـــؤلاء الرهبـــان عملهم وهم يرددون المزامير ، والكتاب المقدس فى نظام.

ولقد كان هناك عدد كبير من النساء الراهبات اللاتى اتبعن هذا النظـــام من الحياة بدقة،وقد جاءوا من الجانب الآخر من النهر وما وراء ذلك . وقـــد كان هناك ايضاً نساء متزوجات قدمن من الجانب الآخر من النهر. وعندمـــا تموت احدهن تقوم باقى النساء الأخريات باحضارها، ووضعها علـــى ضفـــة النهر وتتركها هناك. عندئذ يقوم بعض الرهبان بعبور النهر، وحملـــها فـــى قارب مع تلاوة المزامير، واضاءة الشموع وباحتفال مهيب ومشرف. وعنـــد احضارها هناك يقومون بدفنها فى مقابرهم، وبدون وجود احد الرهبان مـــن كبار السن أو احد شمامسة الكنيسة لا يستطيع احد الرجال أن يذهب إلى ديـــر الراهبات هذا، وذلك فقط من الأحد للاحد التالى.

وفى دير الراهبات هذا، كانت هناك أحد الأخوات – وكانت عذراء قـــد جعلت نفسها مصدراً للازدراء، وكان بداخلها شيطان، وكانت باقى الاخـــوات يعاملونها بازدراء، حتى انهم لم يسمحوا لها بمشاركتهن الطعام. ومع ذلك فإن هذه الراهبة كانت راضية تماماً بهذه المعاملة، وكانت تذهب إلى مكان الطعـــام وتنتظر دورها بعد الجميع، وأصبحت محط سخرية كل الدير وبالتأكيد كانت

تعمل بما جاء فى كتاب الحواريين المباركين الذى يقول : "من يريد أن يصبح حكيماً فى هذا العالم فعليه أن يصبح احمقاً (أو غبياً) حتى يكون حكيماً" .

وقد اعتادت هذه الراهبة أن تضع على رأسها قطعة ممزقة من الثيـاب بينما ترتدى الاخريات الحجاب المصنوع بطريقة جيدة والمقصـوص بشـكل مرتب جيد طبقاً للقوانين المحددة لذلك، واعتادت أن تظهر فى هذه الملابـس فى صالة الطعام، ولم تكن الراهبات تسمح لها بالجلوس معهن على المـائدة، وعندما كانت تأكل لم يكونوا ينظرن إليها ابداً، ولم تلمس ابداً رغيفاً كاملاً من الخبز، ولكنها كانت تلتقط القطع والفتات، التى تسقط من فوق الموائد، وكـانت تشرب الماء المتخلف عن شطف الاحواض والايدى، وكان يكفيها ذلك، ولـم تسب أو تهن اى منهن أو تتحدث بكلمات فظة لأى منهن، ولكنهن كن يسبونها دائماً، ويضربنها وينهرنها بالكلمات (الاقوال) وبالضربات (الافعال).

التعليق على نص

القديس باخوم[1] وابناء ديره

يعتبر القديس باخوم واضع النظام الديرى، فهو الذى حول الرهبنة من رهبنة انفرادية إلى رهبنة جماعية ، لأنه أول من بدأ بالمعيشة المشتركة فى الاديرة ، تحت قانون واحد، ورئيس واحد ، يعيش تحت طاعة، وشعار واحد هو : الزهد ، التبتل، الطهارة. ومن أجل ذلك أطلق على القديس باخوم (ابى الشركة).

ولد القديس باخوم فى بلدة كينوبو سكيون Kenoboskion [2] فى طيبة، ويقال أن مكانها الان بلدة قصر الصياد الواقعة فى مديرية قنا بصعيد مصر. ويختلف المؤرخون فى تحديد ميلاده، فيذهب البعض إلى أنه ولد فى عام ٢٧٥م، فى حين يرى البعض الأخر أن ميلاده كان فى عام ٢٩٠/٢٩١م. وهو من أبويين وثنيين ثريين، حاولا أن يربياه على المعتقدات الوثنية، ولما بلغ العشرين من عمره تطوع فى الجيش الرومانى، وحارب فى بلاد الحبشة تحت قيادة الامبراطور قسطنطين العظيم، وحضر مواقع عسكرية أظهر فيها مهارة فائقة.

وكان لانخراط باخوم فى سلك الجندية آثار من بينها.

١- أنها اخرجته من الجو الوثنى الذى كان يعيش فيه فى بلدته.

---

(١) باخوم كلمة من أصل قبطى معناها الباشق وهو نوع من النسور.

(٢) كلمة مأخوذة من اليونانية وتعنى مجموعة الاديرة.

٢- اتاحت له فرصة الاختلاط والتعرف على المسيحيين وعاداتهم ودينهم فـــى مناطق أخرى.

لذلك ما كاد باخوم ينصرف عن الجنديـــة حتـــى اعتنـــق المســـيحية وهـــو فيالخامسة والعشرين من عمره، ثم مال إلى حياة الزهد والتنسك، فتوجه إلـــى اسوان، وتتلمذ على يد الانبا بلامون، الذى وضع له نظاماً مبدئياً يعيش عليه، ويتمثل فى انه لا يتناول من الطعام الا كسرة من الخبز الجاف مع قليل مـــن الملح مرة يومياً اثناء فصل الصيف، ومرة كل يومين خلال فصـــل الشـــتاء، ولايستعمل الزيت ولا يشرب النبيذ، وأن يقضى الليل فى ترديـــد المزامـــير والكتب المقدسة.

وكان دور التلمذة على يد بلامون عنيفاً فى مجمله، مليئاً بتعذيب الجســد والصيام وسهر الليالى، وكان باخوم يعمل مع الانبا بلامون فى غزل الصوف ونسج المسوح (لباس الرهبان). وقضى باخوم سبعة أعوام كاملة فى رعايـــة استاذه ومعلمه بلامون، ثم اتخذ لنفسه معبداً مهجوراً من معابد سرابيس، ولـــم يلبث أن ضاق ذرعاً بهذه الحياة الانفرادية، التى تبتعد عن طبيعـــة البشـــر، فالإنسان اجتماعي بطبعه.

ويقال أن ملاكا اتاه وسلمه لوحة نحاسية كتب عليها ست وصايا منها :

١- دع الراهب يتناول من المآكل والمشرب ما يشاء ومتى يشـــاء، والزمـــه بالعمل بقدر ما يأكل، ولا تنهاه عن أكل. أما الضعفاء الذيـــن يصومـــون يومهم فكلفهم بأعمال غير مضنية.

٢- أقم لكل ثلاثة من الرهبان قلاية واحدة يأوون اليها.

٤- كلفهم الا يفترشوا الأرض، وأن لا يمدوا اجسامهم، بل ينامون على مقاعد

ذات مساند يستندون إليها فى منامهم.

٥- أن يأمر الرهبان بأن يلبسوا اثناء الليل - جلباباً بغير اكمام، وأن يشـــدوا اوساطهم بحزام، وأن يغطى كل منهم رأسه بقلنسوة، وأن يزينوا مقدمتــها بصليب ارجوانى.

٦- قسم الرهبان إلى أربع وعشرين رتبة، ميز كل واحدة منها بحـــرف مـــن الحروف الابجدية بداية من حرف الألف وحتى حرف الياء، وكل حـــرف يميز صفة الراهب، ونوع العمل الذى يؤديه ، وسلوكه وتصرفه.

وسرعان ما شيد القديس باخوم أول دير عرفته المسيحية قرب دنـــدره ، ليجمع فيه الرهبان الملتفين حوله، وذلك خلال الفترة مـــن (٣١٥-٣٢٠م) . ولم يكن هذا الدير هو الدير الوحيد الذى أنشاه باخوم، بل شيد بـــاخوم أديـــرة كثيرة، بلغ عددها تسعة أديرة للرجال، واثنان للنساء، وضمت هـــذه الاديـــرة آلاف الرهبان. وكانت تتبع رئاسة باخوم المباشرة ،وكان باخوم يقوم بجـولات تفتيشية عليها ليتأكد من حسن سير العمل فيها جميعا.

ووضع باخوم لديره تنظيمات شبه عسكرية، ولعله تأثر فى ذلـــك بمـــا شهده فى الجيش الرومانى من نظم. فجعل للدير رئيساً أو قائداً يشرف علـــى كل أعضاء الدير، وله السلطة المطلقة عليهم، وكان لكل رئيس نائب يســـاعده فى الإشراف على الأعمال اليومية العادية، التى يتطلبها الدير، وكان لكل دير أمين على خزائن الدير ومخازنه، كما كان للمكتبة خازن يشترط فيه أن يكون من النساخ.

وفرض باخوم على اعضاء الدير الطاعة والـــهدوء والنظـــام والعمـــل اليدوى، بل نظـــم أوقات الطعام ، فكان الطعام يقدم للرهبان فى قاعة المائدة

مرتين فى كل يوم ، ومواعيد تقديمه فى الظهر، وفىالمساء. ويتكون الطعام عادة من الخبز والخضر والحساء والجبن والفاكهة. وهذا يعنى أن الرهبـــان الباخوميين كانوا نباتيين لا محل لاكل اللحوم عندهم، كما كانوا لا يشـــربون النبيذ الا عند الضرورة كحالات المرض مثلاً.

وكان على الراهب أن يدخل قاعة الطعام حافىالقدمين، حتى لا يزعـــج غيره من الرهبان، ويتخذ مكانه فى سكون، ويأكل ما يوضع أمامه من طعـــام وهو ملتزم الصمت. وكان على الرهبان عندما يتناولون الطعام معاً أن يغطوا وجوههم بغطاء راسهم حتى لا يرمقوا بعضهم بعضاً وهم يـــأكلون، وعليـــهم الايتجاذبوا اطراف الحديث اثناء الطعام، ولا يتطلعوا من جانب لآخر. وتوجد منضدة فى صدر قاعة الطعام، يقف أمامها أحد الرهبـــان، ويقـــرأ الـــتراتيل والترانيم حتى ينتهى الرهبان من تناول الطعام؛ وكان على هذا الراهـــب أن يقرأ المزمور الكبير اثناء تناول الرهبان الطعام.

كذلك نظم باخوم أوقات النوم، وكانت القاعدة هى سكنى الرهبان ثلاثـــة فى كل قلاية من قلايات الدير،إذا كان بكل قلاية ثلاث مصاطب لكـــل منـــها رأس مرتفعة ، مصنوعة من الطين على شكل وسادة، وكان على الرهبـان أن يستيقظوا فىمنتصف الليل ليقوموا بالتسابيح والتراتيل والصلاة والتأمل.

وكان الدير الباخومى صورة للنشاط والحركة مع مثابرة وانتظـــام فـــى تأدية الفروض الدينية . إذ جرى تقسيم العمل اليومى بيـــن تأديـــة الأعمـــال الضرورية والهامة للحياة ، وبين تأدية الطقوس الدينية والصلوات بالكنيســـة وتلاوة الانجيل. وكان من الرهبان من يعمل فى الحدادة أو النجـــارة أو فـــى تنظيف الثياب أو فى صـــناعة الســـلال أو الدباغة . ومنهم من يقوم بحياكة

الملابس أو نسـخ الكتب الدينية والكتاب المقـدس أو بتعليم الرهبان مبادئ الديانة واصولها، كذلك كان من بين الرهبان مـن يعمـل فىالحقـل أو فـى الحديقة.

وكان الرهبان يرتلون المزامير وغيرها أثناء العمل، وكان العمل اليدوى يهدف إلى أن يكسب الراهب عيشه بعرق جبينه، وأن يشـغله العمـل عـن التعرض للتجارب والافكار الشيطانية. ومن ثم كان الدير الباخومى مجتمعـاً مهنياً يكفى نفسه بنفسه، بل ويقوم بتغطية احتياجات اديرة النساء المجاورة لـه فضلاً عن احتياجات المناطق القريبة منه، والمجاورة له.

وإلى جانب تأدية الأعمال الضرورية للحياة ، كان الرهبـان يجتمعـون للصلاة بالكنيسة ثلاث مرات فى اليوم فى الصباح الباكر، وعند الظهر، وفـى المساء. أما تأدية صلاة القداس فيومى السبت والاحد حيث يتنـاول الرهبـان العشاء الربانى (أوالعشاء الاخير).

وقضى باخوم - إلى جانب العمل اليدوى - على الامية فـى اديرتـه قضاء مبرماً، وجعل معرفة القراءة والكتابة شرطاً من شروط دخول الدير، ثم أنه نظم ثلاثة دروس يومية للمبتدئيـن، فـى السـاعة الواحـدة ، والثالثـة، والسادسة، ودروساً أخرى يقوم بها رؤساء الاديرة لتفسير الكتب المقدسـة أو التعاليم المسيحية، وكان حضورها اجبارياً لجميع الرهبان.

وقد قام باخوم بتقسيم الرهبان إلى ٢٤ رتبة كما جاء فى اللوح النحاسى تبعاً لحروف الابجدية اليونانية بداية من حرف الالف ونهاية بحرف الياء. وقد رعى عند التقسيم ميـول الرهبـان واسـتعدادتهم وعاداتـهم ، وسـلوكهم وتصرفاتهم، والعمل المنوطين به.

واتسم باخوم بالشدة والصرامة مع المخالفين ، وكان للعقاب درجات من بينها التوبيخ العلنى، والحرمان من وجبات الطعام أو العقاب البدنـــى كـــالجلد بالسياط، وحبس الراهب فى قلايته، ومنها ايضاً الحرمان والطرد من الدير.

ولم تجتذب اديرة باخوم الرجال دون النساء، بل اجتذبت عدداً كبيراً من العذارى والنسوة، وكانت أولى هؤلاء العذارى (مريم شقيقة باخوم) نفسه. فقـد ذهـبت إلى الدير فى أحد الأيام لتســأل عن أخيهــا، فبعــث إليها برســالة يقول فيها :

"يكفى أن تعرفى أننى فى صحة جيدة، وأننى حى سالم، وأن رغبتــى أن تتشبهى بى، فأنى ابنى لك ديراً تقضين فيه حياة النساك، وأننى لواثق مــن أن كثيرات من العذارى سيقتدن بك".

فأذرفت مريم الدموع، ولبت دعوة أخيها، وحذت حذوه، لذلك أمر باخوم بعض رهبانه أن يبنوا لها ديراً على مقربه من ديره، وعرف هذا الدير باســم (دير العذارى) وعين له باخوم شيخاً من شيوخ رهبانــــه يدعـــى بطـــرس . وسرعان ما كثر عدد العذارى اللاتى التحقن بهذا الدير ووضع باخوم لــــهن نفس النظام والقوانين التى وضعها للرهبان الرجال.

ومن أشهر النساء اللاتى مارسن حياة الرهبنة الجماعية غير مريم اخت باخوم - الام تاليدا، وقد مارست الرهبنة فى أحد أديرة الفيوم، وكانت تعيــش تحت رعايتها وفى كنفها ستون راهبة ، وكن جميعاً يحبونها ويطعن أوامرها عن رضى، وليس أدل على ذلك من أن بوابة الدير، كانت تظل مفتوحة طول النهار، ولا تستطيع أحداهن أن تخرج دون أن تحصل على تصريـــح منـــها، وظلت الأم تاليدا تدير هذا الدير حتى بلغت الثمانين من عمرها.

ظل باخوم يعمل جاهداً فى سبيل تدعيم اديرته حتـــى توفـــى بمـــرض الطاعون، الذى تعرضت له مصر فى عام ٣٤٨م، وذلك بعد أن وضع بـــذور الرهبنه الجماعية فى مصر.

مرسوم ميلان ٣١٣م

ترجمة النص

عندما وصلنا نحن قسطنطين اغسطس وأنا ليكينيوس أغسطس قرب ميلان محاطين بالرعاية والعناية، أخذنا نبحث كافة الأمور التى تتعلق بأمن وسعادة الشعب أو الصالح العام للرعايا، ومن بين هذه الأمور التى تصورنا انها تهم الكثيرين وتعود بالنفع والخير عليهم مسألة حرية العبادة. لذلك قررنا إصدار هذه القرارات أو المراسيم التى تتعلق بحرية العبادة وتبجيل الرب وتقديسه، ويجب ان يكون فى المقدمة؛ لذلك يجب ان نمنح المسيحيين وكافة الطوائف الأخرى الحرية الكاملة فى اختيار أو اتباع العقيدة التى يفضلونها أو يرفضونها وذلك حتى تضمن رضى جميع الالهه والقوى السماوية وعطفها علينا، كما نضمن رضى جميع رعايانا الذين يعيشون فى كنافنا.

وهكذا قررنا بمقتضى هذا القرار الصائب وتلك المشورة إلا يحرم أى شخص كائناً من كان الفرصة من اتخاذ المسيحية ديانة لـه، أو اختيار ديانة اخرى يرى انها تناسبه، وبذلك يضمن رضى الله الاعلى وتأييده لنا بنفس الكرم والقوة التى تعودناها منه.

ورأينا من المناسب ان نرسل امراً أو مرسوماً امبراطوريا لمحو الآثار التى ترتبت على قراراتنا السابقة بشأن المسيحيين والمرسلة لكم بصفة رسمية، من الآن فصاعداً فأن أى من هؤلاء المسيحيين حراً فى ممارسة عقيدته دون قيد أو بدون أى عائق أو مضايقة.

وأول ماتؤكده فى هذا المرسوم هو ان تعلموا : اننا منحنا هؤلاء

المسيحيين الحرية والسلطة المطلقة غير المقيدة لاختيار نوع العقيدة التى يرتضونها. كما اننا منحنا اصحاب الديانات الأخرى الحرية فى اتخاذ العقيدة أو الديانة التى تروق لهم وذلك من أجل ان يسود السلام جميع عهودنا. وقد فعلنا هذا حتى لاتبدو فى صورة من يريد الحط من شأن أو قيمة أية عقيدة أو ديانة أو عبادة ومن مكانتها ومنزلتها.

وعلاوة على ذلك فإنه فيما يتعلق بالمسيحيين بصفة خاصة وجدنا من الأفضل ان نأمر بأن ترد للمسيحيين الاماكن التى اعتادوا ان يجتمعوا فيها من قبل – والتى تضمن بشأنها خطابنا السابق الصادر لقداستكم رسمياً – والتى سبق ان صودرت . وفى حالة إذا ماثبت ان بعضها اشتراه أفراد من الخزانة العامة فانها تسترد منهم دون دفع أى تعويض وبدون خداع أو غش.

وإذا كانت بعض هذه الأماكن قد اهديت أو وهبت للغير، فإنها تسترد منهم فوراً وتعاد إلى المسيحيين، فإذا اعترض بعض أولئك الذين كانوا قد حصلوا على تلك الأماكن عن طريق الشراء أو الهبة والاهداء وطالبوا بشئ من عطفنا ، فعليهم ان يتقدموا بالتماسات إلى الوالى ، ولكن بعد ان يسلموا مابحوزتهم فى الحال لاصحابها المسيحيين بدون وساطة أو ابطاء أو تأخير.

ولما كان هؤلاء المسيحيون لايمتلكون فقط هذه الاماكن التى اعتادوا ان يجتمعوا فيها، ولكن كان لديهم ايضا ممتلكات اخرى، خاصة بالكنائس وسبق ان صودرت ، فأننا نأمر بمقتضى هذا المرسوم بأن تسترد الهيئة الخاصة بالمسيحيين كل ماصودر من ممتلكاتها بدون تردد ولاجدال على الاطلاق. ويستطيع الأفراد الذين استحوذوا على هذه الممتلكات أن يعتمدوا على كرمنا فى تعويضهم، ولكن عليهم ان يسلموا مامعهم دون طلب تعويض

ما من المسيحيين أنفسهم .

ونحن بهذه القرارات انما نبذل قصارى جهدنا لا من أجل المسيحيين والهيئة الخاصة بهم فحسب، بل ايضا من أجل ان يتحقق السلام العام باسرع مايمكن، وإذا نفذنا ماسبق فأننا سوف نحظى بالعناية الالهية التى طالما لمسناها فى كثير من الأمور الهامة؛ وكذلك سوف ننجح فى كثير من الأمور.

وهذا المرسوم الذى صدر من فيض كرمنا يجب ان يذاع على الجميع، ويجب ان يحاط به الجميع علماً ، وينشر فى كل مكان حتى لايفوت على أحد الأخذ به أو حتى لايخفى على أحد.

التعليق علي النص

وكان أكبر خطر هدد المسيحية هو ذلك الاضطهاد والتعذيب الذى أنزله الرومان بمعتنقيها . والحقيقة أن الأباطرة الرومان لم يكونوا أعداء للمسيحية كديانة ، فقد اشتهر هؤلاء بتسامحهم الدينى تجاه مختلف الديانات الموجودة داخل الإمبراطورية الرومانية ، تلك الإمبراطورية التى ضمت عددًا كبيرًا من الشعوب التى اختلفت عقائدها ودياناتها . ومع ذلك لم – تحاول الإمبراطورية أن تستأصل أى عبادة جديدة إلا إذا كانت تتنافى مع المبادىء الأخلاقية أو تتعارض مع السياسة العامة . ومن ثم فإن حركة الاضطهاد الدينى التى نزلت بالمسيحيين والمسيحية نبعت من أسباب أخرى بعيدة عن التعصب الدينى للأباطرة الرومان . ومن هذه الأسباب ما يلى :

١ – رفض المسيحيون مشاركة الرومان فى ممارسة شعائر الديانة الرسمية للدولة ، كما رفضوا عبادة الإمبراطور وتأليهه وتقديس صوره وتقديم القرابين لتمثاله وحرق البخور أمامه فى المناسبات العامة ، لأن عبادة الإمبراطور تتنافى مع ما تدعو إليه المسيحية من عبادة الله ، لذلك أدرك الأباطرة الرومان أن المسيحية خطر يتهددهم شخصيًا .

٢ – العزلة التى فرضها المسيحيون على أنفسهم ، إذ اعتزلوا المجتمع الرومانى وأنشطته المختلفة ، فلاهم يشتركون فى حفلاته ولاندواته العامة ، ولاهم يختلطون بالرومان ويندمجون فيهم ، بل أغلقوا على أنفسهم باب العزلة فى ظل التعاليم التى أشاعها آباء الكنيسة أو المسيحية الأول من فساد الحياة الدنيا وضرورة الزهد فيها . وأعتبر الوثنيون

اعتزال المسيحيين للشئون الدنيوية هروب من الواجبات المدنية وإضعاف للروح القومية . ولذلك اعتبرت السلطات الرومانية المسيحيين خارجين عن النظام العام للمجتمع وعن الحياة الرومانية وتقاليدها وأنهم أمسوا يشكلون خطرًا عليها ولهذا وقفت منهم موقفًا معاديًا .

٣ – أثار تجمع المسيحيين وخلواتهم الشك في نفوس السلطات الحاكمة التي اعتبرتهم جمعيات سرية تدعو ضد الإمبراطور الروماني وتشكل خطرًا على أمن الدولة وسلامتها . فقد عاش المسيحيون في شكل جماعات صغيرة وكبيرة لكل منها رئيس يختلف لقبه بحسب كبر الجماعة أو صغرها فالجماعات الصغيرة رئيسها (راعي) والجماعة الكبيرة رئيسها (أسقف) ، وكلاهما يشرف على شئون جماعته ؛ وله سلطان أوسع من سلطان الإمبراطور ، وليس لأحد عليه نفوذ سوى الكتاب المقدس وطاعة الله .

٤ – رفض المسيحيون في بادىء الأمر الاشتراك في الخدمة العسكرية للدفاع عن الإمبراطورية واعتبروا أنهم بأدائهم العمل العسكري إنما ينخرطون في العبادة الوثنية . هذا فضلاً عن أن انتشار المسيحية بين الجند يؤدي إلى القضاء على ولاء الجيش للإمبراطور ، وبالتالي لا يعد للرومان هيبة .

٥ – رفض أغنياء المسيحيين وأثريائهم تولي المناصب العامة في الدولة ، فاعتبر ذلك تهربًا من تحمل مسئوليات المجتمع ، وجعل ذلك الأباطرة الرومان ينظرون إليهم بعين ملؤها الشك والريبة .

٦ – طالب المسيحيون بالمساواة بين سائر الطبقات الاجتماعية فى المعاملة ، خاصة فيما يتعلق بتحسين أحوال العبيـــد والنســاء ، ولذلــك اعتــبرت السلطات الرومانية المسيحية ثورة اجتماعية تعمل على هدم الدعائم التى قام عليها المجتمع فى ذلك الوقت .

يتضح من هذه الأســـباب أن الأبـــاطرة الرومــــــان والســلطات الرومــــانية لم تقف موقفًا معاديًا من المسيحية ذاتها بل من سلوك المسيحيين أنفسهم ، ولذلك اعتبرت اعتناق تلك الديانة جرمًا فى حق الدولـــة ، وبــدأت تنظر إلى المسيحيين على أنهم منشقين مبتدعين لديانة جديدة غير مرغـــوب فيها . ولذلك حرمت اجتماعات المسيحيين ، وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم . هذا ولم يقم بموجة الاضطهاد هذه الأباطرة الطغاة والمتعسفين أمثال نيرون (٥٤ – ٦٩م) بل قام بها أيضًا أباطرة خــــيرين مصلحيــن أمثــال تراجان وهادريان وأنطونيوس بيوس وماركوس أوريليوس .

وما لبثت المسيحية أن نعمت بفترة من الهدوء والسلام بعد ما عانته من اضطهادات ، ودامت فترة الهدوء هذه أربعيـن عامـًا ، إذ أصدر الإمـبراطور جالللينوس (٢٥٣ – ٢٦٨ م) قرارًا فـى عـام ٢٦١م بالتسـامح مـع أصحـاب الديانات المختلفة . ومن الأسباب التى دفعته إلى ذلك الأخطار الخارجية التـى كانت تهدد الإمبراطورية فى عهده، إلى جانب مشاكل الإمبراطورية الخاصة. واعترف فى هذا المرسوم بـأن المسيحية مسـموح بهـا ، وسـمح للمسـيحيين بممارسة شعائرهم الدينية مع عدم تعرض الوثنييـن لأمـاكن عبـادتهم ، وأمـر كذلك بأن يرد للمسيحيين ما كان قد صودر من أملاكهم .

وبعد فترة التسامح والهدوء والسلام التى نعمت بها المسيحية و التـــى استمرت أربعين عاما ،شهد العالم المســـيحى أكـــبر موجــه مـــن موجـــات الاضطهاد والتى تعرضت لها المسيحية من قبل وذلك فى عصر الامبراطور دقلديانوس(٢٨٤ -٣٠٥م) .

أما عن الاضطهاد فقد تضمن أربعة مراسيم ، ويقضى المرسوم الأول بتدمير الكنائس المسيحية ، وأحراق الأناجيل والكتب المقدسة ، ومصادرة أملاك الكنائس ، وحرم المسيحيين الأشراف من التمتع بامتيازات هذه الطبقة التى ينتمون إليها ، هذا فضلاً عن أنه اعتبر المسيحيين جميعًا خارجين عن القانون وحرمهم بذلك من حق الدفاع عن حقوقهم أمام المحاكم . أما المرسوم الثانى والثالث فينصان على القبض على كافة رجال الأكليروس بمختلف طبقاتهم ، وعدم الإفراج عنهم إلا بعد أن يقدموا القرابين والأضحيات للآلهة . وقد صدرت هذه المراسيم الثلاثة فى عام ٣٠٣م . أما المرسوم الرابع فيلزم كل فرد فى الدولة بتقديم الأضحيات للآلهة وبتعذيب كل من يتمسك بالمسيحية، وإطلاق سراح من يكرم الآلهة . وصدر هذا المرسوم فى عام ٣٠٤م .

أما عن نتائج الاضطهاد فيمكن أن نوجزها فيما يلى :

١ - استشهد عدد كبير من المسيحيين خاصـة فـى مصـر نتيجـة لهـذا الاضطهاد ، لذلك اعتبرت الكنيسة القبطية عصر دقلديانوس هو " عصـر الشهداء " ولا زالت تؤرخ الأحداث بعصره ، كما اعتبرت عام ٢٨٤م الذى تولى فيه العرش بداية للتقويم القبطى .

١ - ازداد المسيحيون تمسكا بدينهم وبعقيدتهم ، كما ازدادت المسيحية انتشارًا ، فقد جذبت سير أولئك القسس والقديسين الشهداء وبطولتهم عدد كبير من الوثنيين ، ودفعتهم إلى الدخول فى الديانة المسيحية واعتناقها .

٢ - انتشار المسيحية فى الأماكن النائية عن طريق أولئك المسيحيين الذين تعرضوا للنفى خارج الإسكندرية عقابًا لهم على اعتناقهم المسيحية ، فقام هؤلاء بنشر الدين الجديد فى تلك المناطق التى نفوا إليها .

على هذا النحو أتى الاضطهاد بنتائج عكسية إذ ساعد على انتشار المسيحية انتشارًا واسع النطاق وخاصة فى مدن مصر وقراها . وعندما اعتلى جاليريوس العرش تمادى فى عدائه للمسيحيين ، وصب جام غضبه عليهم فى كافة أنحاء الإمبراطورية ومن بينها مصر فأصدر فى عام ٣٠٦م **أمرًا يقضى بإلزام جميع الأفراد بتقديم القرابين ، وأمر بقتل كل من يرفض تقديم الأضاحى للآلهة الوثنية ويتخلى عن عقيدته الجديدة بما فى ذلك النساء والشيوخ والأطفال . كذلك راح جاليريوس يتفنن فى وسائل تعذيب المسيحيين ابتداء من التشويه والتمثيل بهم إلى الأعمال الشاقة فى المناجم والمحاجر .**

على أن جاليريوس ما لبث أن غير سياسته تجاه المسيحيين إذ أصدر فى إبريل عام ٣١١م مرسوم التسامح الدينى ، جاء فيه : " .... ونحن نأذن لهم بالمجاهرة بمعتقداتهم الخاصة ، وبأن يمارسوا طقوسهم الدينية فى جمعياتهم دون خوف ، ومن أن يتعرضوا للأذى ، طالما أنهم يظهرون الاهتمام الواجب للقانون والحكومة ... ونأمل بقرارنا هذا بالعفو والتسامح للمسيحيين سوف يدعوهم إلى الابتهال للمعبود الذى يقدسونه لكى يمن على شخصنا بالسلامة وعليهم وعلى الإمبراطورية جميعًا بالسعادة والرخاء .

مرسوم ميلان والاعتراف بالمسيحية:

وسرعان مانالت المسيحية قسطا كبيرا من التأييد والانتشار وذلك بعد اصدار المرسوم الذى عرف خطأ بأسم (مرسوم ميلان فى عـــام ٣١٣م). اذ اثبتــت الدراسات التاريخية ان تسمية هذا المرسوم الذى اصدره كل من قســـطنطين وليكينيوس والذى عرف بأسم "مرسوم ميلان" تسمية غير صحيحة وانه عبارة عن رسالة بعث بها ليكينيوس الى حاكم نيقوميديا فى آسيا الصغرى يوضـــح فيها سياسة الحكومة تجاه المسيحيين فى تلك الانحاء، وهى عبارة عن تـــأكيد سياسة التسامح.

ويذكر بعض المؤرخين ان ماسمى بمرسوم ميلان لم يكن شيئا جديدا، انما هو تجديد لمرسوم التسامح الذى سبق ان اصدره جـــاليروس فـــى عـــام ٣١١م.

وعلى أية حال اصبحت المســـيحية بمقتضـــى مرســـوم ٣١٣م ديانـــة مرخص ومصرح بها داخل الامبراطورية الرومانية، ولم يعد اتباعها مهددين بالقتل أو التعذيب او الحرق. وتمتع المســـيحيون بمقتضـــى هــذا المرســـوم بممارسة شعائرهم الدينية فى حرية تامة، وفى اختيار المسيحية دينا لهم دون عقاب، كذلك استعاد المسيحيون بمقتضى هذا المرسوم ممتلكاتهم، التى فقدوها اثناء فترة الاضطهاد وذلك دون طلب تعويض او دفع أى شئ؛ كذلك تم اعفاء الكهنة وفقا لهذا المرسوم من الالزامات الاجبارية مع الاعـــتراف بالكنيســـة وممتلكاتها. ومن ثم يعد هذا االمرسوم اعترافا حكوميـــا، غـــدت المســـيحية بمقتضاه على قدم المساواة مع الديانـــات الاخـــرى داخـــل الامبراطوريـــة،

ومن الجدير بالذكر أن هذا المرسوم صدر باسم كل من جاليريوس وليكينيوس وقسطنطين ولم يشترك ماكسيميانوس فى اصداره وذلك لأنه كان يحكم القسم الغربى من الامبراطوريه، وهو القسم الذى سادته الوثنيه على أوسع نطـــاق وبه روما قلعة الوثنية.

وهكذا سمح جاليريوس بمرسومه للمســيحيين أن يجهــروا بمعتقداتهــم الخاصة ويمارسوا شعائرهم الدينيه دون خوف وفتح كنائسهم فى جميع أنحاء الامبراطوريه بشرط أن لا يقوموا بأى عمل ضد القانون أو ضـــد الحكومـــه أوضد النظام العام، وبشرط اخر هو أن يذكروا اسم الإمبراطور فى صلواتهم بالخير ويدعون له وللامبراطوريه بالرخاء والسعاده والسلام ، ومن ثم يعـــد هذا المرسوم اعترافا صريحا من جانب جاليريوس بما أقدم عليه من تحديات للمسيحيين، كما أنه يعتبر فى نفس الوقت دليلا واضحا علـــى فشـــل سياســـة الاضطهاد، التى سار عليها جاليريوس خاصة وان هذه السياسة استمرت عدة سنوات دون جدوى، مما جعل جاليريوس يدرك خطورة هذه السياســـة علـــى الامبراطورية خاصة وانه ركز ضرباته ضد الجنود المسيحيين فى الجيش.

اما عن الدافع الذى حدا بجاليريوس الى اصدار هذا المرسوم، فيذكـــر المعاصرون أن جاليريوس دهمه مرض عضال، فاعتقد أن اله المسيحيين قد انتقم منه بهذا الداء. وفى اثناء مرضه ادرك عدوم جدوى الاضطهاد، فقـــرر وقف المذابح البشرية ضد المسيحيين، واصدر قراره بالتســـامح فـــى عـــام ٣١١م. غير أن هذا المرسوم لم ينفذ تماما فى كل انحـــاء الامبراطوريـــة اذ توفى جاليريوس بعد اصداره بوقت قليل وفى مايو من نفس العام.

واضحت دينا شرعيا بعد ثلاثة قرون من الاضطهاد، وساد الكنيســـة ســلاما طلما تاقت اليه.

اختلف الباحثون حول الدوافع التى ادت الى اصـــدار هــذا المرســوم، فمنهم من يعتبرها دوافع دينية ، ومنهم من ارجعه الى اسباب سياسية.

اما عن الدوافع الدينية فيروى لنا المؤرخ الكنسى يوسيبيوس القيصرى وصديق الامبراطور قسطنطين أن قسطنطين قص عليه انـــه راى فـــى ســنة ٣١٢م قبيل خوضه معركة جسر ملفيان ضد خصمـــه ماكســينتوس صليبــا نورانيا على قرص الشمس يحيط بالأفق عند الغروب، مكتوبـــا عليـــه بهـذا ستنتصر، وفى الليلة التالية واثناء نوم قسطنطين شاهد فى رؤياه السيد المسيح حاملا معه نفس الشارة، ومخبرا الامبراطور بأن يتقدم الى المعركـــة ومعــه الصليب. ويقال ان قسطنطين استطاع أن ينتصر بالفعل فى معركـــة جســر ملفيان ، التى اتاحت له السيادة على الغرب بفضل هذه الشارة، ولذلك اعتقـــد قسطنطين بأن اله المسيحيين كان عونا له فى قتاله مع خصمه.

ويقال ايضا أن قسطنطين تأثر بامه القديســـة هيلانـــة التـــى اعتنقــت المسيحية وزارت بيت المقدس ، حيث وزعت الهبات بسخاء ، وساهمت فـــى تشييد الكنائس. ويقال ايضا انها اكتشفت صليب الصلبوت اثناء زيارتها لبيت المقدس غير ان المعاصرين لم يذكروا شيئا عن دور هيلانة فى مسالة العثور على خشبة الصليب ، كما يرجح بعض الباحثين انها توفيت قبل اكتشافه.

أما عن الدوافع السياســـية فـــيرى البعــض أن قســطنطين وجــد أن الامبراطورية سوف تعتمد بشكل رئيسى فى مواردها المالية على ولاياتها فى

اسيا الصغرى والشام ومصر حيث انتشرت المسيحية ، ولذلك رأى قسطنطين أن من الضرورى كسب ولاء سكان الولايات الشرقية حفاظا على وحدة الامبراطورية.

كذلك شعر قسطنطين بالخطر الذى يهدد الامبراطورية نتيجة للانقسام الذى شهدته واحس انه يمكن توحيدها عن طريق الدين ، وذلك فى حالة اذا مااعتنق شعبها دين واحد له نظام واحد ، وقد وجد قسطنطين فى المسيحية هدفه المنشود.

كما أنه أدرك بذكائه أن المسيحية سوف تصبح قوة عالمية بدليل أن اضطهاد المسيحيين لم يعق انتشارها بل زاد انتشارها وزاد المسيحيين تمسكا به. كما ادرك أن المسيحية أكثر انتشارا بالشرق أى فى ولايات آسيا الصغرى ومصر والشام ، وهذه الولايات هى عصب الحياة الاقتصادية فى الامبراطورية ، اذ تمدها بالموارد المالية وخاصة القمح والنقود ، لذلك راى من الضرورى كسب ولاء سكان هذه الولايات وذلك بتأييد المسيحية والاعتراف بها.

كما أن ماتدعو اليه المسيحية من مبادئ عظيمة كالمساواة والمحبة والايثار تستطيع بهذه المبادئ أن تشبع حاجات الناس النفسية مع قصور الوثنية فى ذلك الوقت.

أما عن النتائج التى ترتبت على الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية ومرخص بها فى الامبراطورية فى تثبيت دعائم المسيحية وتمهيد الارض لازدهارها وانتشارها ، ازدادت الكنائس غنى نتيجة ما كان يصل اليها من

هدايا واموال وهبات وارض واملاك من الدولة ومن سكان الامبراطوريـــة ، واعفى المسيحيون من حضور حفلات الوثنية ، بل ويقال أن قسطنطين أمـــى بتشييد عدد كبير من الكنائس فى كافة انحاء الامبراطورية مثل كنيسة القديس بطرس فى روما ، وكنيسة الصعود على جبل الزيتون ، وكنيسة المهــد فـــى بيت لحم وغيرها من الكنائس.

هبه قسطنطين

مقدمة الترجمة

يحتمل أن هبة قسطنطين هى قرار امبراطورى أصـــدره الامـــبراطور فى عام ٣١٧م.ويبدأ (القرار) بوصف كيف تحول قســـطنطين إلـــى العقيـــدة المسيحية من خلال الحلم الذى ظهر له فيه كل من الرسولين بطرس وبولـــس – وكيف عمد على يد الباب سلفستر – الذى شـــفاه بمعجـــزة مـــن الجـــذام Leprosy – الذى كان يعانى منه ، واعترافاً بالقوة التـــى منحـــها الســـيد المسيح Saviour للقديس بطرس، عزم قسطنطين عل منح البابوات – خلفـاء القديس بطرس – سلطة اسمى واعظم من سلطته هو نفسه.

واعتمد كاتب الوثيقة بثقل على اسطورة شعبيته عـــن حيـــاة سلفســـتر وتوسع فيها كثيراً أو إلى أبعد مـــدى، وبنـــى البـــابوات لفـــترات عديـــدة – ادعاءاتهم فى السيادة العالمية على هبه قسطنطين.

وكشف الباحث لورنزو فالا Lorenzo Valla منذ عصر النهضـــة أن الهبة مزيفة، وأن كانت هناك محاولة ضعيفـــة لاثبـــات انـــها اصليـــة، وأن قسطنطين قد اصدرها ، ولكن ليس هناك اتفاق مؤكد بيـــن البـــاحثين حـــول التاريخ الذى زيفت فيه ، ويتفق غالبية الباحثين أو المؤرخين المحدثين علـــى أنها صدرت عن البلاط البابوى Papal Curia فى منتصف القرن الثـــامن، ومن المحتمل أن البابا استيفن الثانى اطلع عليها ببين فى Ponthion.

نص الترجمة

فقرات من هبة قسطنطين المزيفة

١٣)... وقد بنينا ايضاً الكنائس للمباركين بطرس وبولس وهما من قادة الرسل والحواريين، وزيناها بالذهب والفضة، ووضعنا جسدهما المقدسين هناك باحترام كبير وشرف عظيم، وصنعنا لهما تابوتين من الكهرمان (أى المرمر) لحفظهما حتى لا يتمكن اى عنصر من عناصر الطبيعة من أن ينال منهما. ووضعنا فى كل تابوت صليب من الذهب الخالص، ومن الأحجار الكريمة، وثبتناه هناك بمسامير ذهبية.

ولقد منحنا (الكنائس) العقارات حتى تزداد ضياء ونوراً، كما منحناها ثروات كثيرة، ومنحناها - باوامرنا الامبراطورية المقدسة - الهبات فى الشرق والغرب، وأيضاً فى الاقاليم الشمالية والجنوبية، فلى فلسطين Judea واليونان وآسيا وتراقيا وأفريقيا وايطاليا ومختلف الجزر بشرط أن يقوم بادارتها جميعاً ويتصرف فى امورها ابونا المبارك البابا سلفستر وخلفائه.

١٤) دع جميع الناس وجميع الأمم فى العالم اجمع يفرحون معنا، ونحن نحثهم على أن ينضموا الينا فى تقديم الشكر بلا حدود لسيدنا يسوع المسيح منذ أن كان الهاً فى السماء العلا وعلى الأرض الدنى، فقد زارنا عن طريق حوارييه المقدسين، وجعلنا أهلاً لتلقى التعميد المقدس وطهارة الجسد health body وصحته. وكذلك نقدم الشكر للحواريين المقدسين انفسهما - سادتنا بطرس وبولس المباركين، وبواسطتهما لابينا المبارك سلفستر ايضاً - البابا الاسمى والبابا العالمى فى مدينة روما، (وكذلك نقدم الشكر) لكل من يخلفونه كبابوات يجلسون على عرش القديس بطرس حتى نهاية العالم .

ونمنح من الآن ونتنازل عن قصرنا الامبراطورى فى اللاتيران والذى يعد أكثر حسناً وبهاءاً من القصور الأخرى فىالعالم كله، ونتنازل أيضاً عن الاكليل والتاج الموجود فوق رأسنا، ونتنازل بالمثل عن غطاء الرأس الابيض والوشاح والعباءة الارجوانية، وعن الرداء والصديرى الارجوانى وعن كل الملابس الامبراطورية، وعن فرسان حرس الشرف الامبراطورى. ونتنازل ايضاً عن الصولجان وكذلك الرماح والكرة والنسر والرايات ومختلف الشارات الامبراطوريةوكذلك المكانة السامية الرفيعة للامبراطور ومجد سلطتنا كذلك.

١٥- وجعلنا لهؤلاء الرجال الموقرين المحترمين، رجال الاكليروس بمختلف رتبهم والذين يخدمون الكنيسة الرومانية المقدسة - السيادة والمكانة الفريدة والسلطة، التى كانت لمجلس شيوخنا المبجل وبها (سوف يصبح هؤلاء بطارقة وقناصل)، ونعلن أيضاً أنهم سوف يتولون الوظائف الامبراطورية الأخرى ، وأن الاكليروس (أى رجال الدين) فى الكنيسة الرومانية المقدسة سوف يتمتعون بنفس الامتيازات التى يتمتع بها الجند الامبراطورى.

- ونأمل ان تبجل الكنيسة الرومانية وتحترم وكذلك مختلف الوظائف مثل رؤساء الحجاب والحجاب وجميع الحراس كالسلطة الامبراطورية تماماً حتى يسطع مجد البابوات ويصبح أكثر اشراقاً ولمعاناً.

- وقررنا من قبل أن يزين الكتبة والمسجلين فى كنيسة روما المقدسة خيولهم بقطع صغيرة من القماش المصنوع من الكتان، وبلون زاهى ويركبونها كذلك. ويرتدون أيضاً احذية مصنوعة من شعر (الماعز) بيضاء

ناصعة مثل رجال مجلس شيوخنا (السناتو) بحيث تزين الاشـــياء الدنيويـــة لمجد الله مثل الاشياء السماوية.

– ونمنح فوق ذلك لابينا المقدس سلفستر بابا روما واسقفها ولجميع البـابوات (او الاساقفة) المباركين الذين سيخلفونه تصريح – لالهنا المســيح الشــرف والمجد – بتعيين واختيار شخص ليكون كاتباً أو مسجلاً من خارج اعضـــاء السناتو – للكنيسة الرسولية الكاثوليكية العظيمة، وبشرط أن يكون مقيداً مـــن بين رجال الدين الديريين، والابتعاد عــن أى شــخص يحتمــل أن يتصــف بالعجرفة والتعالى والتكبر.

١٦) وقد قررنا بان الأب سلفستر (البابا الاسمى) وكل من يخلفه من بـابوات – يلبسوا التاج (الاكليل) المصنوع من انقى انواع الذهب وأغلى الاحجــار الكريمة والذى نزعناه من فوق رءوسنا واعطيناه اياه وأن يحملونـــه علـــى رءوسهم كحمد للرب وتكريماً للقديس بطرس. ولكن البابا المقدس لم يســمح لنفسه بأى حال من الأحوال أن يلبس هـــذا التــاج الذهبـــى فــوق تاجــه الاكليروسى الذى يلبسه تكريماً للقديس بطرس.ولكن على أية حال لقد قمنــا بايدينا بوضع غطاء الرأس (frygium) الابيض اللامع أو النــاصع علـــى رأسه والذى يرمز إلى قيامة سيدنا (يقصد المســيح) المجيــدة. كمــا قمنــا بالامساك بلجام فرسه تبجيلاً للقديس بطرس وعملنا كسائس له. وقد قررنـــا أن كل بابا يليه عليه ان يرتدى هذه القبعة فى الموكب.

١٧) ووفقاً لتقليد امبراطوريتنا وحتى لا نقلل من المكانة العظمى للبابا ولكـن لنزيد من سلطته وشرفه ومجده ليفوق شرف الامبراطورية الدينـــوى، فقــد قمـــنا بترك قـــصورنا وتنازلنا عنها (كما سبق ذكره) . وكذلك المقاطعات

والاقاليم والمدن فى مدينة روما وفى كل ايطاليا وكل المناطق الغربية للبابا المبارك ابانا سلفستر البابا العالمى، وبموجب قرار مبرم من السلطة الامبراطورية فقد قضينا بهذا القانون العملى المقدس بأن تكون كلها تحت سيطرة سلفستر وحكومته وكذلك البابوات الذين ياتون من بعده ، وأننا نضمن أنها سوف تظل ممتلكات للكنيسة الرومانية المقدسة من الناحية القانونية.

١٨) وحيث أننا قررنا بأن تنتقل امبراطوريتنا وسلطتنا إلى الاقاليم الشرقية وذلك فى مقاطعة بيزنطه، فسوف يتم بناء مدينة – فى أفضل جزء منها – تحمل اسمنا، ونأسس امبراطوريتنا هناك إذ لا يجوز أن يحكم الامبراطور الدنيوى فى مكان حكم الاساقفة وكبار رجال الدين المسيحى الذى وضعه وأسسه امبراطور دينى أو حاكم دينى.

١٩) وقد قضينا بأن كل الأشياء التى اكدناها بهذا الامر الامبراطورى المقدس وبالقرارات الأخرى المقدسة سوف تظل مصونة ولن يصبها سوء أو يتعدى عليها أحد حتى نهاية العالم.

التعليق على نص هبة قسطنطين

المفروض فى هبة قسطنطين انها مرسوم أو قرار اصدره الامـبراطور قسطنطين فى عام ٣١٧م، ويبدأ بكيفية تحـول قسـطنطين إلـى المسـيحية وتعميده على يد البابا سلفستر الذى شفاه بمعجزة من مرض الجذام الذى كـان يعانى منه؛ ورداً للجميل عزم قسطنطين على منح البابوات خلفاء القديسـين بطرس وبولس سلطة اسمى من سلطته.

وقد اعتمد كاتب هذه الوثيقة على اسطورة شعبية عن حيـاة سلفسـتر، وتوسع فيها بدرجة كبيرة وقد جاء فى هذه الاسطورة مايلى:

مرض قسطنطين بمرض الجذام، وجمع له كهنة الاوثان عدداً كبـيراً من الاطفال الرضع لينحروهم ويغتسل قسطنطين بدمهم لكى يبرأ من مرضـه العضال. وأمر الامبراطور باعداد هذه المذبحة، غـير أن أمـهات الأطفـال راحت تولولن على صغارهن الذين اعدوا للذبح، عندئذ أشفق قسطنطين علـى هؤلاء الصغار الابرياء واعادهم إلى امهاتهم. وفى هذه الليلة زاره فى المنـام القديسان بطرس وبولس وارشداه إلى مخبأ البابا سلفستر وبشراه بأن شـفاءه من هذا المرض سوف يتم على يديه.

وقد عمد البابا الامبراطور وطهره من رجس هذا المرض الخبيث بماء المعمودية .. .لما برأ قسطنطين من دائه ومرضه، اراد أن يكافأ البابـا عـن حسن صنعه فقرر سلفستر اسقفاً للعالم الرومانى، وتنـازل لـه عـن تاجـه الامبراطورى وعن جميع سلطاته، وكرمز لخضوعه للبابا قام بوظيفة سـائس للخيول البابوية، وفى مقابل ذلك رد البابا الكريم على قسطنطين تاجه. كذلـك ترك الامبراطـور روما وايطاليا والعالم الغـربى كله للبابا، وذهب ليقيم له

عاصمة جديدة فى الشرق.

وقد بنت البابوية ادعاءتها فى السيادة العالمية علـــى هبـــة قســـطنطين لوقت طويل، خاصة وأن الهبة منحت البابا ورجال الدين والكنائس العديد مـــن الامتيازات على النحو التالى:

فبالنسبة للبابا: تنازل الامبراطور له عن قصره الامـــبراطورى فـــى اللاتيران وهو من أكبر القصور بهاء و أعظمها فخامة.

– وتنازل له عن التاج الامبراطورى وغطاء الـــرأس الابيـــض، والوشـــاح والعباءة الامبراطورية الارجوانية، وسائر الملابس الامبراطورية.

– تنازل الامبراطور للبابا عن حرس الشرف الامبراطورى وعن الشـــارات الامبراطورية (الكرة – والنسر) بل وعن مكانتـــه الرفيعـــه وســـلطته السامية.

– منح الامبراطور البابا سلفستر حكم ايطاليا والغرب الاروبى كله واقام هـــو امبراطوريته الجديدة فى الشرق.

– عمل الامبراطور سائساً لخيول البابا وتنازل له عـــن المكانـــة الســـامية الرفيعة

وبالنسبة لرجال الدين

قررت هبة قسطنطين ضرورة احترام رجـــال الديـــن وتبجيلـــهم، أن يتمتعون بنفس المكانة التى يتمتع بها السناتو اى مجلس شيوخ الامبراطوريـــة. كذلك يتمعتوا بنفس الامتيازات التى يتمعّ بها جنود الامبراطورية وضباطـــها. مع احترام جميع وظائف الكنيسة كبيرة كانت ام صغيرة.

كذلك منحت الهبة رجال الدين امتيازات اخرى منها: أن يمتطوا الجيـــاد

البيضاء، ويرتدوا احذية من جلد الماعز بيضاء ناصعة شأنهم فى ذلك شـــأن رجال السناتو، وكذلك يتمتعوا بحصانات البطارقة.

وبالنسبة للكنائس :

قررت الهبة ما يلى :

- بناء الكنائس باسم القديسين بطرس وبولس وتزيناها بالذهب والفضة
- منح الكنائس العقارات والاملاك فى الشرق والغرب.
- أن يتولى البابا سلفستر ادارة هذه الاملاك والعقارات بنفسه وكذلـــك مـــن يخلفه من بابوات.

وتعتبر هذه الوثيقة من اشهر المزيفات فى تاريخ العصور الوســطى إذ أنها لم تصدر عن قسطنطين فى عام ٣١٧م . وإنما عن التاريخ الذى زيفــت فيه، وهو موضوع خلاف بين الباحثين. يتفق المؤرخون المحدثون على انـــها صدرت عن المقر البابوى فى منتصف القرن الثامن، وقدمها البابـــا ســتيفن الثانى شخصياً لبيبن القصير - ملك الفرنجة - فـــى بـــاريس عـــام ٧٥٤م. وتقبلها بيبن على أنها قرار حقيقى بصلاحية السلطة البابوية.

ويرجع البعض سبب التزوير إلى أن البلاط البابوى لم يســتطع ايجــاد نسخة الوثيقة التى اعتقدوا ان قسطنطين قد اصدرهـــا لذلـــك فإنـــهم زوروا وثيقتهم الخاصة ، بنفس الطريقة التى زورت بها كثير من أديـــرة العصـــور الوسطى نسخاً جديدة من الوثائق الاصلية التى فقدت.

ويرى البعض الأخر أنه قبل نهاية القرن الثامن الميلادى الــف كــاتب رسولى المذهب يدعى ايسيدورتوس مركاتور Isidortus Mercator وكــان سئ السمعة، مجموعة من المستندات المزورة ومن بينها الوثيقـــة المعروفـــة

باسم (هبة قسطنطين). وقد كتبها لتخدم مصالح البابوية آنذاك معتقداً أنه بـــهذا يخدم الكنيسة ويعبر عن حبه للبابوية بطريقة عملية حيث الف هذه المجموعـة الوثائقية ليقر بها حق البابا النهائى فى اية منازعات تخص الكنيسة ورجالـــها وهى وثائق كالوثائق الاصلية تماماً.

أما عن البابوية فكانت تهدف من وراء هذه الوثيقة مايلى :

اولاً: أن البابا فوق جميع الحكام بما فيهم الامبراطور الرومانى الذى يديـــن بتاجه للبابا.

ثانياً: أن البابا له الحق المطلق لا على روما وكنيسة القديس بطرس فقـــط، ولكن أيضاً على ايطاليا والعالم الغربى باسره.

ثالثاً: اتساع سلطة البابا عالمياً ومسكونيا واتهام الاباطرة البـيزنطيين بانـــهم اغتصبوا سلطة البابوات وميراثهم الشرعى.

والحقيقة أن نفوذ البابوية قد تزايد فى القرن الثامن تزايـــداً ملحوظـــاً، خاصة عندما قام ملك الفرنجة بوظيفة سائس الخيول البابوية بشكل رســـمى، إذ أنه قام بقيادة حصان البابا لمســـافة قصـــيرة، بشـــكل يتوافـــق مـــع دور الامبراطور الرومانى، كما حددته هبة قسطنطين. ثم اقيم احتفال كبـــير فـــى كنيسة سانت دنيس St. Denis (الدير الملكى فى فرنسا) ولم يقتصر الامـــر على مسح البابا لبيبن بالزيت المقدس بل مسح زوجته واطفاله ايضاً، كما منـــح ملك الفرنجة لقب حامى الرومان،وفى مقابل ذلك تعهد بيبن بأن يعيد للبابويـــة حكم اقليم رافنا – الذى سقط فى ايدى اللمبارديين سنة ٧٥١م – إلى اوقـــاف القـــديس بطرس تمشـــياً مع ما جاء فى هبة قسطنطين من أن ايطاليا باكملها

منحة للقديس سلفستر وخلفائه.

وفى العام التالى غزا بيبن ايطاليا وانتزاع رافنا من ايـدى اللمبـاردين وسلمها للبابوية . وقبل أن يعود إلى فرنسا سنة ٧٥٦ م اودع علـــى مقـبرة القديس بطرس فى روما وثيقة عرفت باسم (هبه بيبن) تؤكد استقلال اوقـــاف القديس بطرس. وبذلك تكون البابوية قد حققت الزعامة على العـــالم الغربـــى فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى .

واكتشف زيف وثيقة "هبة قسطنطين" فى عصر النهضة وبالتحديد فـــى عام ١٤٥٠م حينما شك لورنزو فالا المؤرخ الكنسى الشهير وكذلك الفيلسوف نيقولا من كوس Nicolus of Cuos فى هذه الوثيقة وفى مضمونها كما شك فيها قبلهما رهبان دير سانت سابين Sr. Sabine وانكروها منذ بداية القـــرن الثانى عشر.

ويشيد عدد من الباحثين بفضل المؤرخ الكنسى لورانزو فى اكتشـــاف زيف وثيقة هبة قسطنطين،أما عن لورانزوفالا فقد ولد فى روما وتعلم تعليماً ديرياً والتحق بالسلك الكهنوتى بمدينة نابولى، وكانت تحـت حكـم الفونسـو الخامس فى القرن الخامس عشر الميلادى. وعندما مدت البابوية يديها إلـــى نابولى عام ١٤٠٠م وحكمتها حكماً مباشراً . دخل فالا فى خدمة البابا الشهير نيقولا الخامس الذى شجع العلم والعلماء – وعندما كان فـــالا يبحـث عـن الدعائم التى قامت عليها هذه المنحة، اكتشف انها مجرد ادعاء، وقد تمكن من معرفةذلك عن طريق ملاحظة نوع المداد والخط والـورق، وتـأكد مـن أن الوثيقة مزيفة وانها كتبت بعد خمسة قرون من التاريخ المدون فيها.

و اكدت الدراســات فعــلاً صدق ما ذهب اليه لورانزو، إذ أن انتقال

الامبراطور قسطنطين من عاصمته القديمة روما إلـــى عاصمتـــه الجديـــدة القسطنطينية ، كان قد تم بعد صدور هذه الوثيقة بفترة طويلة، بالاضافة إلـــى أنها وجدت ضمن كتابات ايسيدور المزور المشهور للوثائق في عصـــــره . علاوة على ذلك فإن اللغة التى كتب بها الوثيقة ليست اللغة اللاتينية الكلاسيكية لغة ذلـــك العصر ولكنها كتبت بأسلوب أقل رقياً ، أسلوب استخدم فى زمان لاحق ومتـــأخر عـــن هذا العصر علاوة على ما أكده فالا من أن البابا فى ذلك العهد لم يكن سلفستر بل كـــان ميليتادس .

وقامت الكنيسة والدنيا على فالا الذى أصر على موقفه . ومع ذلك فقـــد ظلـــت الكنيسة على رأيها من أن الوثيقة صحيحة وأصلية وإن كانت الأسباب التى ساقتها فـــى هذا الصدد واهية .

الديرية

نظام القديس بندكت حوالى ٥٣٠م

مقدمة الترجمة

سمح التنظيم الضعيف للأديرة لكثير من أوجه القصور أن تزحف على النظام الديرى، ويقصد بنظام القديس بندكت اصلاح هذا القصور وهذا النظام جدير بأن يدرس بعناية لأنه نظم لقرون عديدة حياة آلاف الرهبان؛ الذين اثروا فى حياة ملايين البشر من العلمانيين ودفعوهم قدما نحو الحضارة .

الترجمة

الفصل الأول : أنواع الرهبان

هناك أربعة أنواع من الرهبان :

النوع الأول : يسمون (**cenobites**) وهؤلاء هم الذين يعيشون حياة اجتماعية مشتركة، ويعيشون فى الدير وفقا للقانون، وتحت رعاية مقدم الدير وإداراته.

النوع الثانى : وهم النساك (**Anchorites**) وهؤلاء هم الذين تعلموا كيف يخوضون الحرب ضد الشيطان، وذلك لطول خدمتهم داخل الدير، وبالتعاون مع أخواهم الرهبان الآخرين، وكذلك لانهم تدربوا تدريبا جيدا، وفصلوا أنفسهم عن جماعات الرهبان لكى يكسبوا المعركة الوحيدة، وحتى يصبحوا بمساعدة الله قادرين على الاستمرار فى الصراع ضد خطايا الجسد بمفردهم.

النوع الثالث : وهو غير المرغوب فيهم أى **(Sarabities)** وهـؤلاء لا يتعرضون للاختبار، ويبرهنون على طاعتهم للقانون بـالخبرة المكتسبة (كالذهب الذى تزداد قيمته بوضعه فى الفرن)

وهؤلاء يعيشون حياة ناعمة مترفة مرفهه ، وهـم سـهلو الكسـر كمعدن رخيص، رغم أنهم يتظاهرون بحلق الرأس، الا أن ذلك ليس لـه قيمة عند الله، لأنهم مازالوا يمارسون حياتهم الدنيوية، وهؤلاء لا يلتحقون بقطيع الله، بل يعيشون بعيدا، اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة، او حتـى واحـد بمفرده، وبلا رع. وقانونهم هو رغباتهم وشهواتهم. فهم يسمون ما يحبون "بالمقدس" وما يكرهونه يعتبرونه أو يسمونه "غير قانونى".

النوع الرابع : يتـألف مـن الذيـن يسـمون بـالجوالين **(gyrovagi)** **(wanderers)** الذين يعيشون حياتهم فى تجوال عـبر أقـاليم كثـيرة، ويعيشون ثلاثة أو أربعة أيام فى قلايات مختلف الرهبان فـى آن واحـد: وهم يتجولون دائما ولا يستقرون فى مكان واحـد ابـدا لفـترة طويلـة. وتحكمهم رغباتهم وشهواتهم، وهؤلاء يكونون عادة اسوأ من النوع السابق وهو (غير المرغوب فيهم) ومن الأفضل أن نمضى فى هـدوء حتـى لا تذكر شيئا عن طريقة حياتهم أو سلوكهم، ودعونا نترك هذا جانبا فنحـن نعتبر -بعون الله - النوع الأولى أى الذين يعيشون حياة الجماعة، أعلـى مراتب هؤلاء الرهبان.

الفصل الثانى : الصفات الواجب توافرها فى مقدم الدير

يجب على مقدم الدير حتى يصبح أهلا لإدارة الدير، أن يضع فـى اعتباره الاسم الذى يسمى به، وأن يبرهن على ذلك بالتصرف بما يليق

بلقبه السامى. لأنه يمثل المسيح داخل الدير، وقد تلقى اسمه مـــن قـــول الرسول :"لقد اخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الأب" لذلك علـــى مقدم الدير الا يعلم أو يلقن أو يأمر بشئ مخالف لتعاليم الســيد المســيح، ويجب أن تكون اوامره متمشية مع العدالة الآلهية.

– على مقدم الدير أن يتبع طريقتيـــن فـــى توجيـــه تلاميـــذه أو اتباعـــه وسياستهم، فيدرس تعاليم السيد (المسيح) لاتباعه الاكفاء بكلماته وأعمالـــه وأوامره السهلة غير المتشددة، كما ينبغى الا يكون هناك تفـــاوت داخـــل الدير فى تقديره للاشخاص (الرهبان).

– دع مقدم الدير لا يحب راهبا أكثر من راهب آخر الا فى حالة إذا امتاز هذا الراهب بالأعمال الصالحة والطاعة، وفاق الآخرين .

ولا ينبغى أن يفرق أو يميز بين الراهب الحر ويفضله على الراهب الذى جاء إلى الدير وأصله غير حر، إلا إذا كان هناك سببا واضحـــا لأن الشخص سواء كان عبدا أم حرا، فالجميع سواء عند السيد المسيح .

– وعلى مقدم الدير أن يتبع قول الرسول : "وبخ، انتهر، عظ بكـــل انـــأة وتعليم".

– ويجب على مقدم الدير أن يجعل أساليبه تساير الظـــروف ، فيســتخدم التهديد حينا،والمدح حينا آخر،ويجعل نفسه سيدا قاســيا ، أو ابـــا حنونـــا محبوبا وفقا للظروف وما تقضيه الحال.

– وعلاوة على ذلك يجب على مقدم الدير الا يحرص على امتلاك الأشياء الدنيوية الفانية، أو العقارات والمنقولات، وعليه الا ينسى أو يهمل الاهتمام بالارواح المسئولة منه والعناية بها.

ولكن عليه ان يتذكر دائماً أن تولى حكم الأنفس أو الأرواح، التى يجب أن يضع فى الحسبان تحقيق الرفاهيه لهم.

الفصل الثالث : مشورة الأخوة داخل الدير

يجب على مقدم الدير – عندما تقع أحداث هامة داخل الديـــر – ان يعقد اجتماعاً يضم جميع الرهبان، أو يخبرهم بما يحدث، ويستشيرهم فـــى الأمر وبعد أن يستمع إلى نصيحة الأخوة (الرهبان)، يجب أن يمعن النظـو فيها، ثم يقر ما هو أصلح من وجهة نظره.

الفصل الرابع : وسائل الأعمال الصالحة

الأولى : محبة الله من كل القلب، وبكل الروح، وبكـــل مـــا أوتـــى الإنسان من قوة،وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لا يقتـــل، لا يزنـــى، لا يسرق، لا يطمع ولا يحسد، ولا يشهد زوراً، وأن يحترم الجميع، ولا يعمل للآخر ما لا يحب أن يعمله الآخر له.وأن ينكر ذاته حتى يتبع المسيح فـــى طهارة الجسد، والبعد عن حياة الترف ومحبة الصوم، وأن يطعم الفقـــير، ويكسو العريان، وأن يعود المريض، ويوارى الميت التراب . وأن يقدم يـد العون والمساعدة فى وقت الشدائد والازمات، وأن يواسى الحزيـــن، وأن يبتعد عن الأمور الدينوية.

– وأن لا يفضل شيئاً فوق حب السيد المسيح، ولا يسلك طريق الغضـــب، ولا يحمل حقداً لأحد، ولا يحمل فى القلب أى خداع أو حقد أو خبـث، ولا يعطى أماناً زائفاً، ولا يطمع فى الصدقات ، ولا يقسم أو يحلف حتـــى لا يحنث فى قسمه وحلفه، وأن يقول الصدق من قلبه، ولا يقابل الشر بالشـو، ولا يؤذى الأخرين، بل يتحمل الأذى فى صبر، وأن يحب أعداءه، ولا يرد

السب بالسب بل عليه أن يدعو بالبركة، وان يتحمل العذاب والألـــم فـــى سبيل العمل الصالح.

– ولا يكن متكبرا ولا سكيرا، ولا أكولا شرها، ولا ينام كثيرا، ولا يكون كسولا ، ولا يعتاد الشكوى ، ولا يكون واشيا أو نماما، وأن يجعل أمله فى الله. وعندما يحس فى نفسه شيئا طيبا عليه أن يعزوه إلى الله، وعندما يرى فيها شرا، فعليه أن ينسبه إلى نفسه. وعليه أن يخاف يـــوم القيامـــة ، وأن يعمل حسابا لجهنم.

الفصل الخامس : الطاعة

أن أول درجات التواضع والتذلل هى الطاعة بدون تأخير، وهى مـــا يتصف به هؤلاء الذين لايعتزون بشئ أكثر من المسيح. وعلى هذا عندمـــا يتلقى أحد الرهبان أمرا من رؤسائه ، فعليه أن يطيع فورا وكأنمـــا أخـــذ الأمر من الله نفسه .

الفصل الحادى والعشرين : رؤساء الدير

فى الاجتماعات العامة الكبيرة يتم اختيار بعض الأفـــراد مـــن بيـــن الأخوة المتميزين بأعمالهم وبارواحهم الطاهرة المقدسة، ليعملوا كرؤســـاء، ويتم اختيارهم ليديروا جانبا من (أعمال) الدير بتوجيه من مقدم الدير .

الفصل الثانى والعشرين : كيف ينام الرهبان ؟

يجب أن ينام الرهبان منفصلين فى أسرة منفردة، وعلى مقدم الديـــر أن يحدد أسرتهم حسب سلوكهم وتصرفهم.

ويجب أن تظل شمعة مشتعلة فى قاعة النوم الكبـــيرة طـــول الليـــل وحتى مطلع النهار. كما يجب أن يكون الرهبان مستعدين للاستيقاظ عنـــد

سماع الإشارة، وأن يسرعوا إلى تأدية الصلاة في هيبـــة ووقـــار واعتـــدال واتزان وتواضع.

ويجب ألا توضع أسرة الرهبان الشباب مع بعضها في مكان واحد بل توزع بين أسرة الرهبان كبار السن.

الفصل التاسع والثلاثين : مقدار الطعام :

يقدم للرهبان طبقين من الطعام المطبوخ، أما في الساعة السادسة وأما في الساعة التاسعة، بحيث تكفيهم للحياة اليومية، ويسمح بطبقين لاخـــتلاف الطعم والمذاق، وحتى يستطيع من لا يأكل أحد الطبقـــين أن يشـــبع جوعـــه بالطبق الآخر، ولكن الطبقين يكفيان كل الرهبان. وإذا تمكـــن الـــدير مـــن الحصول على الفاكهة والخضروات الطازجة فإنها تقدم كطبق ثالث. ويقدم رطل واحد من الخبز في اليوم سواء أن كانت هناك وجبة واحدة أو اثنتين.

أما عن الرهبان الذين يعهد إليهم بالقيام بأعمال شاقة فمن ســـلطة مقـــدم الدير أن يزيد لهم في مقدار الطعام المسموح به. وعليه في الوقت ذاته إلا يسمح للرهبان بأن يطلقوا العنان لشهواتهم وذلك بالإسراف في الطعام والشراب.

الفصل الأربعون : مقدار الشراب :

نعتقد أن نصف مكيال من النبيذ كاف فـــي اليـــوم الواحـــد لأي مـــن الرهبان، وكان يمكن السماح بزيادة هذه الكمية بالطبع في حالات المـــرض، أو تبعًا للمناخ، أو طبيعة العمل، أو حرارة الصيف ويمكن زيادة هذه الكمية في حالات أخرى. ولمقدم الدير الحرية في أن يقـــوم بهـــذه الزيـــادة تحـــت مراقبته، بحيث يحمي الرهبان دائمًا من أن يصلوا إلى حد الانغمـــاس فـــي الشراب أو الثمالة.

الفصل الثامن والاربعين : العمل اليومى للرهبان

الكسل هو العدو الأكبر للروح، لذلك يجب على الرهبان أن يشغلوا أنفسهم دائما أما فى العمل اليدوى أو فى القراءة المقدسة، ولكن إذا كانت ظروف المنطقة – التى يقع فيها الدير واحتياجات الدير تجعل من الضرورى زيادة ساعات العمل كما فى موسم الحصاد – فيجب الا يشعر الرهبان بانه قد اسئ استخدامهم، لان الرهبان الحقيقيين يجب أن يعيشوا من عمل أيديهم ومن عرق جبينهم، كما فعل الحواريون والاباء المقدسون.

وفى أثناء الصوم الكبير يجب ان يخصص الرهبان الوقت من اول النهار وحتى الساعة الثالثة للقراءة، ويؤدى بعد ذلك كل منهم العمل الذى حدد له وذلك حتى الساعةالعاشرة.

ويعطى كل راهب فى بداية الصوم كتابا من مكتبة الدير، ويجب على كل منهم أن يقرأه كله خلال أيام الصوم.ويتم اختيار واحد أو اثنين من الرهبان القدامى، ليتجولوا فى أرجاء الدير خلال الساعات المخصصة للقراءة، لتفقد الرهبان، حتى لا يصبح هناك راهب كسولا لا يقرأ، لأن هؤلاء لا يضيعون وقتهم فحسب، بل يزعجون الرهبان الآخرين، ويشوشون عليهم.

الفصل الرابع والخمسين : عدم تسلم الخطابات والأشياء أخرى

لا يسمح للرهبان بان يتسلموا خطابات أو هدايا أو أى شئ آخر من أسرهم أو من أى أشخاص خارج الدير. ولا يسمح لهم أيضا بأن يرسلوا شيئا الا بأمر من مقدم الدير.

التعليق على نص
الديرية نظام القديس بندكت حوالى ٥٣٠م

بدأت الديرية فى غرب أوربا فى عهد القديس بندكت (٤٨٠-٥٤٣م) لذلك يمكن القول بأن القديس بندكت هو صاحب الفضل فى تأسيس النظـام الديرى فى المسيحية فى الغرب. وتجدر الإشارة إلى أن الغرب الاوربـى عرف الرهبنة الانفرادية وكذلك الجماعية قبل عصر القديس بندكت فقـد وصل القديس اثناسيوس إلى روما منذ عام ٣٤٠م وبصحبته اثنيـن مـن الرهبان فرارا من الاضطهاد الاريوسى، وبدأت الحياة الديرية تنتشر مـن روما إلى جميع انحاء ايطاليا بل وغاليا (فرنسا) ، هذا فضـلا عـن دور الحجاج الا ان القديس بندكت هو الذي وضع اسس النظام الديري وقواعده التى اثرت فى مستقبله، حتى أن حياة بندكت تعتبر نقطة تحول خطيرة فـى تاريخ الديرية ونظمها. وقبل الحديث عن تلك الأسس التى وضعها القديـس بندكت لابد من القاء بعض الضوء على حياة هذا القديس.

ولـد القديس بندكت فى عام ٤٨٠م فى أسرة ايطاليـة ارسـتقراطية على درجة كبيرة من الثراء، وتلقى بندكت تعليمه فى أرقى مدارس روما، ولكنه ضاق ذرعا بما ساد روما من فساد أخلاقى، لذلك ترك حياة النعيـم والترف، وفضل حياة العزلة والانقطاع عن العالم، فعاش فى أحد كـهوف الجبال فى منطقة تقع فى وسط ايطاليا. واعتمد على ما يجلبه إليه اقاربـه من مأكل ومشرب - ولعل ذلك يذكرنا بحياة القديس انطون فـى مصـر مؤسـس الرهبنة الانفرادية - وبعد أن قضى بندكت فترة فى هذا الكهف

عزم على أن يترك هذا النوع من الرهبنه نظرا للمتـاعب الجمـة، التـى يصادفها الراهب والتى تدفعه للتخلى عن الطريق القويم.

وانشأ القديس بندكت ديرا فى (مونت كاسينو) - فى منتصف الطريق بين روما ونابلى - على انقاض معبد وثنى بهذه المدينة. ولـم تلبـث أن لحقت به مجموعة كبيرة من اتباعه وتلاميذه ومريديه.

وكان القديس بندكت شديد الاعجاب بالرهبنة المصرية، واتضح ذلـك من عبارته التى جاء فيها : "أن من يبغى الوصول لذروة الكمال المسـيحى يجد خير نموذج يحتذيه فى حياة الآباء المصريين وسيرتهم".

وكان الدير البندكتى يقوم على ثلاثة أركان أساسية هى :

أولا: انكار الذات أى عدم الانانية وحب النفس فقط وكذلك خدمة الآخريـن وعدم انتظار الجزاء.

ثانيا: الطاعة لمقدم الدير وسماع كلامه .

ثالثا: التواضع وعدم التعالى والتكبر.

أما الأسس التى قام عليها النظام البندكتى فهى :-

(١) امتازت الحياة داخل الدير البندكتى بروح جماعية اجتماعية ، نتيجـة لاشتراك مجموعة من رجال الدير وافراده فى حياة منظمة، تقـوم علـى التعاون فى كل شئ. ومن ثم لم يطبق النظام البندكتـى فكـرة الرهبنـة الانفرادية التى عرفها الشرق.

(٢) ارتباط اعضاء الدير بالمجتمع الديرى مدى الحياة، إذ دخلـوه عـن اختيار ورغبه منهم مما أدى إلى وجود نوع من الاستقرار داخل الديـر، جعل الدير بمثابة مؤسسة مسئولة عن نزلائها حتى مماتهم؛ ورعاية أمور

حياتهم دون الارتباط بأية اديرة أخرى.

(٣) اختيار اعضاء الدير لرئيسهم، الذى يشرف على الدير ويتمتع بالسلطة العليا المطلقة فى إدارة شئون الدير، وعليه أن يستشير اعضاء الدير فـــى مختلف المسائل التى تهم المجموعة، وعلى أعضاء الدير أن يطيعوه طاعة عمياء، لأنهم اختاروه عن محبة ورغبة لا عن ضغط وخوف. وأن يكــون الرأى النهائى والأخير لرئيس الدير باعتباره المسئول الأول عــن صـــالح الدير ومن بداخله من اعضاء.

أما عن الصفات الواجب توافرها فى رئيس الدير فأنظر نـــص الترجمـــة الفصل الثانى.

(٤) لم يحاول النظام البندكتى أن يجعل من نفسه منظمة عسكرية ، بل ظل أقرب إلى الحياة الاجتماعية المعتدلة، والتى امتازت بالمساواة التامة بيـــن اعضاء الدير سوء أن كانوا احرارا أم كانوا غير ذلك، وجعلم جميعا سواء دون أن يكون لبعضهم فضل على البعض الآخر الا بالعمل الصالح.

(٥) تجنب الدير البندكتى التطرف والبعد عن حياة الخشـــونة والصرامـــة التى اشتهرت بها الاديرة الشرقية. فقد كان الراهب البندكتى يحيا حيـــاة لا تختلف كثيرا فى مستواها عن حياته العادية خارج الدير. فقد تناول مقـادير كافية من الطعام، مع كميات محددة من النبيذ حسب الحاجة، وكـــان كـل راهب ينام ثمانى ساعات ليحصل جسده على الراحة المطلوبــــة، وكـــان الفرق الوحيد بين الحياة داخل الدير وخارجه هو الشعور الدينــــى الــذى يسيطر على الحياة داخل الدير سيطرة تامة .

(٦) امتاز الدير البندكتى ايضا بالعمل إلى جانب العبادة، فإذا كانت العبادة

هي الركن الأول إذ يتجمع الرهبان للاشتراك في الصلاة والتراتيل عدة مرات يوميا، فإن العمل هو الركن الثاني من أركان الحياة داخل أديرة بندكت.

وقد عمل الرهبان داخل أديرة بندكت بالعمل الزراعي وغير الزراعي وذلك لاعتقاد بندكت أن " الكسل عدو الروح " وعملا بأقوال القديس بولس : " من لا يعمل لا يأكل ".

وكان الأصحاء من الرهبان يعملون في فلاحة الأرض سبع ساعات يوميًا، أما كبار السن فعملوا في طهي الطعام أو نسخ الكتب الدينية أو تعليم الرهبان الجدد؛ وفي بعض الصناعات الخفيفة.

وقد قامت أديرة بندكت بزيادة الساعات المخصصة للعمل على الساعات المخصصة للعبادة. وخير ما قاله بندكت في هذا الصدد : " العمل عبادة Laborare est orare "، ومع ذلك فلم يمنع العمل الرهبان من تأدية واجباتهم الدينية والاشتراك في الصلاة والتراتيل ثمان مرات يوميًا.

اهتم دير بندكت إلى جانب العمل اليدوي بالعمل الذهني، وبالناحية العلمية اهتمامًا كبيرًا، فأنشأ القديس بندكت مكتبة في كل دير، تضم مجموعة لا بأس بها من الكتب، كما شجع على نسخ الكتب لذلك أمست أديرته مشعلاً للعلم والحضارة في غرب أوربا في تلك الفترة.

وتتلخص مزايا أديرة بندكت في :

(أ) الأعراض عن حياة الزهد والتقشف، ونبذ مبدأ التطرف في حرمان الجسد.

(ب) العمل إلى جانب العبادة، فلم يكن نشاط الرهبان قاصرًا على التأمل والعبادة فحسب، بل دفعهم إلى العمل والانتاج.

(ج) توفير عوامل الاستقرار والاطمئنان للرهبان، خاصة في وقت كانت أوربا تتعرض فيه لغارات الجرمان.

وهكذا جاء نظام القديس بندكت ملائمًا للحياة في غـرب أوربـا فـي العصور الوسطى مما أدى إلى انتشاره انتشارًا سريعًا في الغرب. ولكن هذا النظام ما لبث أن انحل ويرجع ذلك إلى (**عيوب النظام البندكي**) :

١- الاستقلال الذاتي للدير البندكتي فقد كان كل دير يكفي نفسه بنفسه دون الاعتماد على غيره من الأديرة.

٢- حياة العزلة التي عاشها أفراد الدير، فقد عاشوا في شبه عزلة تامة عن غيرهم وقد نتج عن هذه العزلة ما يلي :

أ- تعرض الدير في كثير من الأحيان للانحلال والتدهور، مثال ذلك : حدث في سنة ٩٣٦م أن قام اثنان من رهبان دير (يـدعى فارفـا Farfa) بقتل مقدم الدير وبسطا سيطرتهما على الـدير، وعـاش عيشة أقرب إلى حياة الأمراء. وصار لكل منهما زوجتـه وأولاده وأتباعه الذين ينعمون بخيرات الدير وضياعه.

ب- أن عزلة الدير البندكتي لم تمكنه من حماية نفسه واسـتقلاله عـن السلطة العلمانية.

ج- الابتعاد عن المجتمع الإنساني الكبير.

٣- ازدياد ثروات أديرة بندكت نتيجة لما بذله الرهبان من نشاط في العمل، ثم ميلهم إلى الكسل، والبعد عن العمل بعد أن ازدادت ثرواتهم وجنوحه إلى استخدام عامة الناس والأقنان في زراعة الأرض. وبذلك تخلوا عن الركن الأساسي من أركان الدير البندكتي مما أدى إلـى انهيـار هـذا النظام. ومن ثم أمست أديرة بندكت في حاجة ماسة إلى إصلاح ما علق بها من مفاسد، وهنا بدأت المرحلة الثانية من مراحل الديرية في غرب أوربا أي حركة الإصلاح الكلونية.

التعليق على نص قرار البابا جريجورى الثالث
بحرمان اللايقونيين ٧٣١م

الايقونات مفردها ايقونة وهى الصورة أو التمثال المقدس، وقد ظهرت عبادة الايقونات بعد الاعتراف بالمسيحية، حيث بدأ المسيحيون يزينون الكنائس بصور السيد المسيح والسيدة مريم العذراء وصور القديسين وانتشرت هذه الظاهرة فى القرن الرابع للميلاد، وبدأت تمثل مكانة خاصة فى قلوب كثير من اتباع الكنيسة، وامتلأت الكنائس والاديرة بهذه الصور المقدسة، وعلقت بالدور والحوانيت والميادين، وطرزت على الملابس، وأصبح الناس يسجدون لها ويلتمسون بركتها، ويطلبون منها الشفاء، وقضاء المصالح والحاجات لاعتقادهم انها احتوت على معجزة تحمى بيوتهم وحوانيتهم من كل أذى، وتعطيهم ثقة وشعوراً بالاطمئنان.

وقد اعتبر انصار عبادة الصور ان الصورة هى " انجيل الجاهل " بمعنى ان الصورة عند الجاهل لها من التأثير الروحى بمقدار مايستمع إليه الإنسان من آيات الكتاب المقدس. وقد استنكر المثقفون فى بيزنطه هذا كله ونادوا بتحريم عبادة الصور، وقد نادى الامبراطور البيزنطى ليو الثالث الايسورى (٧١٧-٧٤١م) بضرورة تحريم عبادة الصور المقدسة. الحقيقة ان لتحريم هذه العبادة سوابق على عصر الامبراطور ليو الثالث الايسورى ففى القرن الرابع للميلاد عقد فى اسبانيا(مجمع الفيرا) حرم اقامة الصور المقدسة أو وضعها فى الكنائس ، كذلك اشار مؤرخ الكنيسة يوسيبيوس إلى ان تقديس صور السيد المسيح والقديسين بطرس وبولس عادة وثنية. إما فى

القرن الخامس للميلاد فقد اشار ابيفانيوس القبرصى فى خطاب له إلى انه مزق ستارة احدى الكنائس لانها احتوت على صورة المسيح أو أحد القديسين وانها تدنس الكنيسة. كذلك قامت فى انطاكية فى القرن السادس للميلاد حركة ضد عبادة الصور، والقى الجند الثائرون فى الرها الحجارة على صور السيد المسيح. وشهد القرن السابع ايضا حوادث للهجوم على الصور المقدسة وتحطيم الايقونات، ولم تلبث عبادة الايقونات ان اشتدت فى الدولة البيزنطية .

اما عن موقف الامبراطور ليو من عبادة الايقونات ومناهضته لهذه العبادة فيذكر البعض انه تأثر فى ذلك بمؤثرات يهودية واخرى اسلامية اما عن المؤثرات اليهودية فترجع إلى ان اليهودية تحرم عبادة الصورة المقدسة. اما المؤثرات الاسلامية فيذكر البعض ان الامبراطور ليو الايسورى تأثر بقرار الخليفة الاموى يزيد بن عبد الملك الذى اصدره فى عام ٧٢١ أو ٧٢٣م والذى ينص على ازالة الايقونات والصور المقدسة من جميع الكنائس الموجودة فى دائرة الدولة الاسلامية وذلك للبعد عن الوثنية وحماية العقيدة من الشرك وعبادة الاوثان. ولايستبعد ان تكون تعاليم الاسلام قد تركت آثارها على الدولة البيزنطية والامبراطور ليو نتيجة للاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين. ويؤكد ذلك ان بعض الحوليات اشارات إلى ليو بانه ذو عقلية اسلامية .

هذا ويشير فريق آخر من الباحثين إلى ان ليو حرم عبادة الصور المقدسة ليقضى على نفوذ الاديرة بعد ان تضخمت ثرواتها وازدادت اراضيها المعفاة من الضرائب مما شكل خطراً كبيراً على الامبراطورية البيزنطية.

وأصدر الامبراطور ليو الثالث قراراً فى عام ٧٢٦م بإزالة جميع

التماثيل والصور المقدسة التى تزين الكنائس والاديرة. وتنفيذا لهذا القرار تم إزالة تمثال السيد المسيح الذى كان مقاما فوق أحد أبواب القصر الامبراطورى فى القسطنطينية، وقد ايد الامبراطور فى هذا القرار كبار موظفى الدولة من مدنيين وعسكريين، كذلك المثقفين من رجال الدين واساقفة آسيا الصغرى وجموع الجند الذين سايروا الامبراطور فى سياسته، هذا فى حين اثار هذا المرسوم سكان العاصمة والطبقات الدنيا وكذلك النساء نتيجة للجهل وانتشار البدع والخرافات، وقاموا بقتل قائد الامبراطور الذى عهد اليه الامبراطور بتحطيم تمثال السيد المسيح ، غير ان الامبراطور انتقم ممن قتلوه، وكان هؤلاء أول ضحايا عبادة الايقونات.

وكان الرهبان من أشد المتعصبين لعبادة الايقونات لذلك عارضوا سياسة ليو وتحريمه للايقونات وذلك لانهم كانوا من اشد المنتفعين من عبادة الايقونات، وقد ايدهم فى ذلك كبار النبلاء الذين ارادوا معارضة الامبراطور فانتهزوا هذه الفرصة ليزيدوا من عدائهم. كما عارض سياسة ليو اهل افسوس صناع الايقونات لان سياسة ليو كانت تهددهم فى رزقهم، إذ ان حرفتهم كانت رسم الصور وصناعة التماثيل وبيعها.

وعارض سياسة ليو ايضا عدد من علماء الدين ومفكريهم وعلى رأسهم حنا الدمشقى وهو من اهالى بلاد الشام ومن أصل يونانى، وكان يجيد اللغتين اليونانية والعربية، وعاش فى دمشق عاصمة الدولة الاموية، ونصب نفسه مدافعا عن الايقونات، وقد قضى السنوات الاخيرة من حياته بعيداً عن ايدى ليو وعلى مقربة من بيت المقدس فى دير سابا.

ولم يعبأ ليو بهذه المعارضة وأصدر مرسوماً آخر بتدمير كل

الايقونات ثم عقد اجتماعاً فى يناير ٧٣٠م، حضره كبار الموظفين المدنيين والكنسيين وطالب فيه الامبراطور بإصدار قرار بمناهضة عبادة الصور، غير ان جرمانوس بطريرك القسطنطينية رفض الانصياع لأمر الامبراطور، فعزله الامبراطور وعين أنستاسيوس فى منصبه بعد ان أبدى استعداده لاصدار القرار. وصدر بذلك مرسوم بتحريم عبادة الصور وترتب عليه تدمير الايقونات وتعرض اصحابها للاضطهاد.

اما عن موقف البابوية من سياسة ليو الثالث الايسورى فقد رفض البابا جريجورى الثالث هذا القرار وأصدر قرار الحرمان من جميع اللاايقونيين فى عام ٧٣١م بما فيهم الامبراطور ليو الثالث نفسه، ذلك فى مجمع دينى.

وجاء فيه : " يحرم كل من يدمر أو يدنس أو يسب أو يكفر بالصور المقدسة ... ويحرم من دم السيد المسيح وجسده كل من لايحترم ويوقر الصور المقدسة " .

ورد ليو على قرار البابا هذا باعتقال الممثل البابوى فى القسطنطينية وسجنه كما حرم الامبراطور البابوية من حقوقها واملاكها فى صقلية وجنوب ايطاليا، وفصل الكراسى الاسقفية فى هذه الجهات من سلطان البابا الدينى والقضائى وجعلها تحت سلطان بطريرك القسطنطينية. وبذلك انقسمت ايطاليا قسمين : قسم مع البابا يضم وسط ايطاليا وروما ورافنا، وقسم مع الامبراطور ويضم جنوب ايطاليا وصقلية . وبذلك ازدادت هوة الشقاق بين الشرق والغرب أى بين بيزنطة والبابوية.

وهكذا ترتب على تحريم الايقونات ان بدأت البابوية تخرج من دائرة

النفوذ الامبراطورى (أى من الشرق اليونانى) وبدأت بيزنطة تخرج من دائرة الغرب اللاتينى.

ومما تجدر الاشارة إليه ان هناك نوعين من قرارات الحرمان احدها صغرى والأخرى كبرى، والصغرى تحرم الفرد من تأدية الشعائر والطقوس الدينية اما الكبرى فتحرم الفرد من جميع المزايا التى يتمتع بها المسيحيون، وفى كلتا الحالتين يكون الجحيم مصير الفرد المحروم من رحمة الكنيسة ، وأى شخص يتعاون معه يكون بدوره معرضاً لتوقيع قرار الحرمان، ومن ثم كانت قرارات الحرمان أهم وأشهر سلاح اتخذته البابوية ورفعته فى وجه خصومها واعدائها.

ترجمة نص

تتويج شارلمان في ٢٥ ديسمبرعام ٨٠٠م

مقدمة الترجمة :-

وصل شارلمان مدينة رومافى ٢٣ نوفمبر من عام ٨٠٠ ليستمع الى الشكاوى المقدمة ضد البابا ليو الثالث Leo III الذى عزل بسبب سلوكه .

والحدث الذى نصفه فيما يلى يوضح ذروة العلاقة التى تطورت بين البابوية وملوك الفرنجة خلال خمسين عاما . ويمثل بداية محور جديد فى العلاقة بين البابا الرومانى والأمبراطور الجرمانى ؛ وهو ما سيصبح حقيقة واقعة فى تاريخ العصور الوسطى .

ويعد قرار البابا ليو من الناحية العملية قرارا غير شرعيا ؛ لأنه كان هناك أمبراطور رومانى فى القسطنطينية ؛ رغم أن أمرأة تدعى أيرين قامت بسمل عينيه .

ولكن الواقع يتغلب على الشرعية ؛ ويعترف أمبراطور الشرق وهو ميخائيل فى عام ٨١٣م - بشارلمان أمبراطورا .

نص الترجمة

فى ذلك اليوم المقدس يوم عيد ميلاد سيدنا المسيح (جاء الملك (يقصد شارلمان) لأداء صلاة القداس فى كنيسةالرسول بطرس المبارك) .

وضع البابا ليو التاج على رأسه ؛ وأعلن الرومان جميعا على أثر ذلك :

"حياة مديدة وانتصار لشارل أغسطس ؛ المتوج من قبل الله ، امبراطور الرومان العظيم الداعى للسلام "

وبعد أن أعلن البابا ذلك أنحنى فى تواضع له ؛ كما كانت العادة فى

العصور القديمة ؛ ونبذ أوترك (شارلمان) لقب لبطريق ؛ ولقــب بلقــب أمبراطور ولقب أغسطس .

التعليق على نص تتويج شارلمان ٢٥ ديسمبر ٨٠٠ م

منذ سقوط الأمبراطورية الرومانية ٤٧٦ م والغرب الأوربى يشــعر بفراغ سياسى كبير. حقيقة كانت هناك أمبراطوريـــة رومانيــة شــرقية (أى الأمبراطورية البيزنطية) وعلى رأسها أمبراطور فى عاصمتها القســطنطينية الا أن أهالى الغرب الأروبى بصفة عامة وأيطاليــا بصفــة خاصــة كــانوا يكرهون الأباطرة البيزنطيين ؛ وذلك بسبب : سياستهم تجاه عبادة الأيقونــات؛ وعدائهم للبابوية ؛ حتى أنهم أصبحوا فى نظر الأيطاليين(مجرد جباة أمــوال مبغوضين.)

هذا فى الوقت الذى نجح فيه شارلمان فى تكوين دولة ضخمــة فــى غرب أوربا هى الدولة الكارولنجية ؛ التى بلغت أزهى فتراتها فى عصــره ؛ اذ حارب المسلمين فى أسبانيا ودفع خطرهم ؛ ونجح فــى حمايــة البابويــة وقضى على أعدائها ؛ ونشر المسيحية بين السكسون ؛ وأحيا كثير من مظاهر الحضارة الرومانية فى الغرب . وقد أحيت هذه الأعمال ذكرى روما ومجدها القديم ؛ وجعلت الغرب يشــعر بالرغبة فى أحياء هذا المجد . هذا الى جانب رعاية شارلمان للعلوم ؛ فقد أهتم بالمدارس الأسقفية وبمدرسة القصر التــى كان هو أحد تلاميذها . ولاشك أن هذه الأعمال التى قام بــها شــارلمان قــد أوضحت للمــعاصرين أن شارلمان هو أكبر قــوة فى عصره تحمى البابوية والكنيسة بل والحضارة الغربية ؛ ولذلك فهو جــدير بلقب الأمبراطور بعد أن

قام بأعمال لاتقل عن تلك التى قام بها أعظم أباطرة الرومان .

ومن المعروف أن مسألة تتويج شارلمان أمبراطورا علـــى الغـرب أرتبطت بمسألة البابا ليو الثالث (٧٩٥-٨١٦) والذى أشتهر بالدهاء السياســى ؛ والذى لقى معارضة من بعض أعضاء المجلس البابوى الذين يمتون بصلـة للبابا السابق هادريان ؛ ومن سكان روما ؛ وذلك لمحاولاته التدخل فــى أدارة المدينة ؛ وزاد من كراهية الناس له ما اتهم به من الأخلاق الســيئة كالزنـا والتزوير؛ لذلك تعرض للأهانة على ايدى جماعة من ســكان رومـا الذيـن اتهموه بأخلاقه الشخصية ؛ وأنقضوا عليه فى أحد شوارع روما (٢٥ ابريـل ٧٩٩م) وأوسعوه ضربا ؛ وأودعوه السجن . غير أن البابا سرعان ما تمكـن من الهرب من سجنه وذهب إلى غاليا(فرنسا الحالية) يلتمـس العـون مـن شارلمان، الذى حرص على أن يعيد الثقة إلى البابوية. لقد كان شارلمان هــو الشخص الوحيد الذى له الحق فى أن يعيد البابا ليو، وهو وحده الذى يستطيع أن يكفل للكنيسة الأمان والاطمئنان بصفته أقوى الملوك فى ذلك الحين.

واتجه شارلمان إلى روما لتحرى الحقـائق وعـلاج الأزمـة وإعـادة الاستقرار إلى الكنيسة الرومانية. وعندما وصل إليها، عقـد محكمـة علنيـة برئاسته فى (٢٣ نوفمبر ٨٠٠م)، وظهر البابا وخصومـه أمـام شـارلمان وقضاته. وأقسم البابا على الإناجيل المقدسة أنه برئ من التهم الموجهة إليـه. ولما كان من الصعوبة بمكان على المتأمرين أن يحـضروا اثنين وسبعين

شاهدا، وهو الذى تتطلبه قوانين الكنيسة لإدانة البابا، فقد قرر القضاة تبرئـه البابا واعدام المتأمرين. وقبل أن ينفذ قرار المحكمة تدخل البابا لدى شـارلمان لصالح المتأمرين عليه، حيث استبدل النفى بالإعدام. وعاد البابا إلى منصبه .

وعلى هذا النحو ظهر شارلمان فى صورة الشخص، الذى أنقذ البابويــة، وفى صورة الحليف المخلص لها، وأقوى دعامة للكنيسة الغربية، وحاول البابا أن يرد له هذا الجميل، وذلك بأن يقوم بمنح شارلمان لقب الامبراطور. وفــى ليلة عيد الميلاد (٢٥ ديسمبر) من عام ٨٠٠م، فى الاحتفال الكبير الذى اقيــم فى كنيسة القديس بطرس بروما) وبعد انتهاء صلاة القداس، قام البابـــا ليــو الثالث بوضع تاج ذهبي على رأس شارلمان - الذى كان لا يزال جاثيا أمـــام المذبح- وتوجه بذلك امبراطور أو اغسطس وسط صياحات الحاضرين مـــن محاربى الفرنجة ورجال الدين الايطاليين.

أما عن دوافع البابوية من وراء تتويج شارلمان فـــهى علـــى النحـــو التالى :

أولا: رغبة البابوية فى استخدام التتويج وسيلة لاعادة تأكيد سلطتها وهيبتـــها فى الغرب الاوربى كما تذهب بعض الدراسات.

ثانيا: فشل بيزنطه فى الدفاع عن البابوية وممتلكاتها فى ايطاليـــــا، وفشـــلها كذلك فى حماية الكنيسة الرومانية وحقوقها وممتلكاتـــها مـــن خطـــر اللمبارديين، فى حين نجح شارلمان فى دفع هذا الخطر.

ثالثا: الاعتقاد الذى ساد فى ذلك الحيـــن مـــن أن العـــرش البـــيزنطى فـــى القسطنطينية أصبح شاغرا، وذلك لأن الامبراطورة ايرين الوصية علـــى ابنها الامبراطور قسطنطين السادس، قامت بسمل عينيه، وزجت به فى السجن، وتولت هى العرش، واعتبرت البابوية سلطة ايريـــن ســـلطة غـــير شرعية وغير قانونية لأنها امرأة، ولم يسبق فى تاريخ الامبراطورية الرمانيـــة أن حكمت امرأة الامبراطورية وأصبحت كل السلطات بيدها، ومن ثم أصبح

عرش بيزنطة فى رأى البابا شاغراً، ولابد من نقل التاج الامبراطورى إلــى شخص آخر، وكان شارلمان فى نظر البابوية هو المؤهل الوحيد لشغل هــذا المنصب.

<u>**نتائج تتويج شارلمان :**</u>

أولاً: بالنسبة لشارلمان نفسه:

يذكر مؤرخه اينهارد أنه فوجئ بهذا الإجراء الذى اتخذه البابــا ليــو الثالث، وأنه لم يكن يعلم به ولم يتوقعه، وأن كان يتمناه ويتطلع إليه. ويذكر اينهارد كذلك فى كتابه. (سيرة شارلمان) أن شارلمان لو كان يعلم بما اعده البابا فى ليلة عيد الميلاد لما دخل الكنيسة فى ذلك اليوم.

وتدعو رواية اينهارد هذه إلى الشك، وإلى التساؤل هل كان شــارلمان بالفعل لا يرغب فى التاج الامبراطورى، يؤكد الباحثون المحدثون أن التتويـج كان تلبية لرغبة شارلمان وطموحاته فى التاج الامبراطورى، وربمــا تــبرم شارلمان من الطريقة التى تم بها التتويج، ومن المحتمل أنه كان يرغب فــى اعداد حفل خاص يليق بهذه المناسبة، وربما لم يكن يريد أن يتوج علــى يــد البابا، إنما كان يرغب فى أن يتوج نفسه حتى لا يبدو التاج منحة أو هبة مــن البابا إلى شارلمان، وبالتالى لا يليق بالفاتح العظيم أن يأخذ التاج من يد أحــد رجال الدين أو رجال الكنيسة ولو كان البابا نفسه.

وقد ترتب على تتويج شارلمان احياء الامبراطوريــة الرومانيــة فــى الغرب على يد شارلمان بعد أن ظل العالم الغربى بلا امبراطور منذ أواخــر القرن الخامس للميلاد.

كذلك اصبح شارلمان هو مؤسس الامبراطورية الرومانية المقدســة فى

الغرب، والتى لعبت دورا هاما وكبيرا فى أحداث العصور الوسطى.

ثانيا: بالنسبة للبابوية :

- قطعت البابوية بتتويجها لشارلمان امبراطورا الرباط أو الخيط الذى كان يربطها بالامبراطورية البيزنطية، ودعمت فى نفس الوقت الرباط الذى يربطها بدولة الفرنجة، واكسبت هذا الرباط طابعا دينيا مقدسا.
- ظهرت البابوية بمظهر من قام بمنح التاج للامبراطورية، وكان لذلك فيما بعد أكبر الأثر فى النزاع بين الامبراطورية والبابوية.

ثالثا : بالنسبة للدولة البيزنطية :

جاء اعلان شارلمان امبراطورا فى الغرب صدمةقاسية وطعنة نجلاء صوبتها البابوية لصدر الدولة البيزنطية، فمنذ سقطت روما فى ايدى الجرمان فى عام ٤٧٦م، والعالم الرومانى لا يعرف سوى امبراطور واحد وهو الامبراطور البيزنطى، الذى تمتع بالسيادة على الغرب ولو كانت سيادة اسمية، وذلك باعتباره وريث الاباطرة الرومان. ولكن تتويج شارلمان أوجد بذلك منافسا خطيرا للامبراطور البيزنطى، وحرم الامبراطورية البيزنطية من كل سيطرة تدعيها على البابوية والعالم الغربى.

- اعتبرت بيزنطه تتويج شارلمان خرقا للتقاليد والعرف واغتصابا لحقوقها، خاصة وأن تتويج شارلمان لم يجعله امبراطورا فحسب بل والامبراطور

الأساسى فى الدولة الرومانية، وذلك لأن الامبراطورية فى العصور الوسطى لا تحتمل رأسين فى وقت واحد مثل البابوية، ولذا كان من الطبيعى أن تكون كفة شارلمان هى الراجحة، لانه متوج من قبل الكنيسة الغربية وهى الكنيسة العالمية.

- خافت بيزنطة من أن يترتب على تتويج شارلمان أن يقـــوم الامــبراطور الجديد فى الغرب وهو شارلمان بالتقدم نحو القســطنطينية، ويعــزل ايريــن ويغتصب العرش الامبراطورى بالقوة. لذلك رفضت الامبراطورية البيزنطيــة وعلى رأسها ايرين الاعتراف بامبراطورية شـــارلمان. وتكــررت ســفارات شارلمان إلى بيزنطة لمحاولة حمل البيزنطيين على الاعتراف باتخاذه لقـــب الامبراطور ولم يتم له ذلك الا بعد ١٣ سنة من تتويجه وبالتحديد فـــى عـــام ٨١٣م، عندما اضطر الامبراطور البيزنطى (ميخـــائيل الأول ٨١١-٨١٣م) إلى الاعتراف بشارلمان امبراطور حينما تعرضت امبراطوريته للفوضى فـــى الداخل، وحلت بها الهزائم فىآسيا الصغرى وفى البلقان على ايدى البلغار.

وهكذا ترك تتويج شارلمان امبراطور على الغرب أثارا واضحة علـــى البابوية والامبراطورية البيزنطية وشارلمان نفسه.

شارلمان كما وصفه اينهارد
(٧٧٠-٨٤٢م)

مقدمة الترجمة :

ولد اينهارد حوالى عام ٧٧٠م، وأرسل إلى دير بفولدا ليتعلم به، وأظهر كفاءة عالية واستعدادا طيبا لذلك رشحه رئيس الدير لوظيفة فى بلاط شارل (٧٩١م) . وفى الحال احتل اينهارد مكانة هامة، لأنه لم يكن مجرد باحث فى العلوم النظرية تعلم من خلال الكتب، بل حصل خلال فترة اقامته فى مدرسة الدير على كثير من المعارف العملية والأدبية. وله العديد من الكتابات ذات الأهمية والقيمة الكبيرة، ولكن كتابه المعنون "حياة شارلمان" من أكثرها اهمية وشهرة.

ترجمة النص

الفصل الخامس والعشرون

تميز شارلمان بسرعة البديهة وطلاقة الحديث، وكان قادرا على أن يعبر بوضوح تام عن كل ما يريد أن يقوله. ولم يكتف بقدرته الفائقة فى اداء ما يحب بلغته القومية أو الأصلية بل أهتم بدراسة اللغات الأجنبية، وبلغ من اتقانه للغة اللاتينية مثلا أن صار يتحدث بها كما يتحدث بلغته الأصلية . الا أن فهمه لليونانية كان يفوق قدرته على التحدث بها. حقا أن شارلمان كان فصيحا، بل كان فى امكانه أن يصبح مدرسا للبلاغة أو استاذا فى

القصاحة.لقداهتم شارلمان بحماسة بالغة بالفنون الحـــــرة[١]، فخـــص الذيـــن يعلمونها بقدر كبير من الاحترام، وانعم علهيم بكثير من التقدير.

وتلقى شارلمان دروسه فى النحو على يد الشماس بطـــرس البـــيزى – الذى كان فى ذلك الحين رجلا طاعنا فى السن. غير أن معلم شارلمان فـــى الفروع الأخرى من المعرفة كان شماسا آخر اسمه البين البريطانى الملقـــب باسم (الكوين) وهو رجل ينحدر من أصل سكسونى، وكان من أعظم علمـــاء عصره.

كان الملك شارلمان يقضى شطرا كبيرا من الوقت والجهد مع الكويـــن فى دراسة علم البلاغة أو البيان والجدل وعلم الفلك بصفة خاصة، كما تعلـــم الحساب، واعتاد أن يستخدمه فى فحص واستقصاء حركات الاجرام السماوية بفضول كبير وبدقة فائقة.

وحاول شارلمان أيضا تعلم الكتابة ولهذا الغرض اعتاد أن يحتفظ بالواح الكتابة والقراطيس فى السرير، وتحت وسادته، وذلك لكى يـــدرب يـــده فـــى أوقات الفراغ على رسم الحروف. غير أن شارلمان – على أية حال – لم يبدأ ببذل جهوده هذه فى السن المناسبة، وإنما فى وقت متقدم من حياته، ولهذا فقد كان لهذه الجهود قدر ضئيل من النجاح.

الفصل السادس والعشرون

لقد تمسك شارلمان – بكثير من الحماسة والـــورع – بمبـــادئ الديانـــة المسيحية التى شب عليها منذ طفولته المبكرة، ولذا فقد شيد فى (اكس لاشابل)

---

(١) الفنون الحرة السبعة وهى : النحو والبيان والجدل والهندسة والحساب والفلك والموسيقى ، وقد قسمها البعض إلى مجموعتين المجموعة الثلاثية والمجموعة الرباعية.

كنسية جميلة، وزينها بالذهب والفضة والقناديل ، وجعل لها سياجا وأبوابا مـن النحاس الخالص. وكان شارلمان قد جلب الاعمدة والرخام اللازميـــن لــهذا البناء من مدينتى روما ورافنا، لأنه لم يستطع أن يجد مثيلا ملائما أو مناسـبا فى أى مكان آخر.

وحرص شارلمان على مواظبة العبادة والصلاة فى هذه الكنيسة بصورة دائمة ما دامت صحته تسمح له بذلك، حيث كان يمضى أو يذهب إليها صباحا ومساء وحتى أثناء الليل ، هذا فضلا عن حضوره أوقات القداس. كما عنـــى شارلمان عناية بالغة بأن تؤدى كل الطقوس الدينية التى تجرى فى الكنيســـة بأسمى درجات الورع الممكنة، ودأب على تحذير حراس الكنيســة علــى الا يسمحوا أن يدخل إليها أو يحضر إليها أو يبقى بها أى شـــئ غــير مناســب يدنسها أو يفسد نظافتها.

وزود شارلمان الكنيسة بمقادير ضخمة من الأوانى المقدسة المصنوعــة من الذهب والفضة،ــ وبكمية كبيرة من الأردية الكهنوتية أو ارديــة رجــال الدين، حتى أن حراس الابواب - الذين كانوا يشغلون أدنى المنـــاصب فــى الكنيسة - كانوا مجبرين على ارتداء هذه الاردية عندما يؤدون واجباتهم .

كما وجه شارلمان عناية كبيرة إلى تحسين التلاوة والترتيل فى الكنيسة، لأنه كان بارعا وماهرا فى كليهما، مع أنه لم يتلوها ولم يرددها جــهارا بــل بصوت منخفض ومع الأخرين.

التعليق على كاتب النص

اينهارد (٧٧٠-٨٤٢م)

اينهارد مؤرخ فرنجى ولد فى عام ٧٧٠م فى مانيجاو فى منطقة نهر المـــاين Maine - وهى أحدى المقاطعات الشرقية فى مملكة الفرنجة انذاك - تلقـــى تعليمه الأول فى دير القديس بونيفاس فى فولده Fulda (تقع علـــى بعـــد ٦٠ ميلا إلى الشمال الشرقى من مدينة فرانكفورت). وكان هذا الدير هو المركـــز الرئيسى للتعليم والمعرفة فى البلاد الفرنجية فى ذلك الحين. وكان هذا الديـــر يجاور مسقط رأسه . كذلك عكف اينـــهارد فـــى هـــذا الديـــر علـــى نســـخ المخطوطات والدراية بالتقاويم. واشتهر بالكفاية والمقدرة.

وسرعان ما اكتشف مقدم دير فولده ويدعى بايوجولف ما يتمتع به اينهارد من امكانات ومواهب، فاصطحبه عام ٧٩١م إلى العاصمة الفرنجيـــة (اكـــس لاشابل) حيث اقنع شارلمان بضروة الافادة مما اجتمع فى شخص اينهارد مـــن علم وذكاء وثقافة ،وحكمة، ولم يكن اينهارد وقتذاك يزيد كثيرا على الخامســـة عشرة من عمره وبالفعل دخل اينهارد فى خدمة شارلمان، ولمع نجمه بسرعة فى مدرسة القصر، نتيجة مثابرته وتنوع معارفه وعمقها.

وكانت مدرسة القصر الموطن الذى انبعثت منه الاصلاحات التعليمية التى تعتبر من أهم عوامل شهرة شارلمان.

ولفت اينهارد انظار رجال البلاط بما اشتهر به من قصر القامة، وخفة الحركة، والميل إلى المرح والسرور، فضلا عما كان معروفا به من الجد والاجتهاد والدأب على الدرس والتحصيل. وأدرك (الكوين) ما اشتهر به اينهارد من سعة الإطلاع ووفرة المعرفة، وتذوقه للشعر اللاتينى القديم،

ولذلك كتب الكوين إلى شـــارلمان سنة ٧٩٩م يشير عليه بأن يرجــع إلى اينهارد فى شرح المؤلفين اللاتين، وفى حل المسائل الرياضية.

ويظهر من خلال كتاب "سيرة شارلمان" ان اينـــهارد ربطتــه صداقــة حميمة مع شارلمان وابنائه من بعده، وهذه الصداقة جعلــت منــه شــخصية متميزة فى البلاد، وسكرتيرا خاصا لشارلمان ومستشارا ثقة له فــى الشــئون السياسية والعلمية والعملية وغيرها.

فمن الناحية السياسية

كلف شارلمان اينهارد بمهام كثيرة منها أنه ارسله سفيرا إلى روما عــام ٨٠٦م للحصول على موافقة البابا ليو الثالث على الوصية التى كتبها شارلمان فى نفس العام، ويقسم فيها الامبراطورية بين ابنائه. كما شارك اينهارد فــــى صنع القرار السياسى فعندما عقد زعماء الفرنجة اجتماعا فى العاصمة اكــس لاشابل فى عام ٨١٣م لمناقشة مسألة تعيين لويس التقى ابن شارلمان خلفا له، اختاره هؤلاء الزعماء متحدثا بلسانهم، ونجح اينهارد فـــى اقنـــاع شـــارلمان بتعيين ابنه لويس التقى امبراطورا.

فى المجال العلمى :

عمل اينهارد مستشارا علميا لشارلمان، كذلك قام اينهارد بالتدريس فـــى مدرسة القصر إلى جانب عدد من الاعلام البارزين ومنهم الكوين، وبولــــس الشماس، وبطرس البيزاوى وغيرهم. وبذلك كان اينهارد واحدا ممن قـــامت النهضة الكارولنجية على اكتافهم.

من الناحية العملية :

عمل اينهارد ايضا مهندسا معماريا، وأشرف على الطرق والقنوات والمبانى والجسور فى مملكة الفرنجة، بل يقال أن اينهارد اشرف شخصيا على بناء القصر الملكى فى العاصمة اكس لاشابل.

وبعد وفاة شارلمان فى عام ٨١٤م ظل اينـــهارد صديقـــا مقربـــا مـــن الامبراطور لويس التقى (٨١٤-٨٤٠م)، وعمل مستشارا له وأمينـــا لســـره ومربيا ومدرسا لابنه لوثر خلال الفترة (٨١٧-٨٢٢م) .

وحوالى عام ٨٣٠م اعتزل اينهارد كل مناصبه ، وغادر العاصمة إلـــى الدير ، الذى بناه على نهر الراين مؤثرا وزوجته حياة الرهبنـــة. ويبـــدو أن سبب اعتزاله هو خوفه من التورط فى المؤامرات والدسائس والاحقـــاد التـــى نشبت بين أبناء الامبراطور لويس التقى. وظل اينهارد فى هذا الديـــر حتـــى توفى عام ٨٤٢م.

مؤلفات اينهارد

له مؤلفات كثيرة منها كتاب عن السكسون ولكنه مفقود، غـــير أن أهـــم كتاباته هو مؤلفه عن سيرة حياة سيده شارلمان والمعـــروف باســـم "ســـيرة شارلمان Vita karoli" والذى كتبه اينهارد باللاتينية، وقد قام اينهارد بتـــأليف هذا الكتاب بعد وفاة شارلمان، وفى ايام ابنه لويس التقى، وترجع أهمية هـــذا الكتاب إلى اتصال اينهارد المباشر بشارلمان من ناحية، واقامته على مقربـــة من القصر من ناحية أخرى.

ولهذا الكتاب ترجمة بالإنجليزية قام بها تورنر Turner بعنوان : حياة شارلمان The life of charlmagne وأخرى بالعربية " سيرة شارلمان " بقلـــم عادل زيتون .

وينقسم كتاب اينهارد "سيرة شارلمان" إلى مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا، واشار اينهارد فى المقدمة إلى الأسباب التى دفعته لتأليف كتابه وغرضه من وراء كتابته فقال : "سرد قصة الحياة العامة والخاصة لشارلمان" رغبة منه فى تخليد قصة سيده وتركها للأجيال القادمة بدلا من أن تذهب فى طى النسيان.

أما عن فصول الكتاب فتتضمن الحديث عن البيت الميروفنجى واجداد شارلمان، واعتلاء شارلمان العرش، وحروب شارلمان وفتوحاته وعلاقاته الخارجية وأعماله العامة، وخصص اينهارد الفصل الثامن عشر والتاسع عشر للحديث عن حياة شارلمان الخاصة، وتناول فى الفصل الثانى والعشرين المظهر الشخصى لشارلمان، وفى الفصل الثالث والعشرين تحدث عن ملابسه ثم عاداته، وفى الفصل الخامس والعشرين والسادس والعشرين – موضوع نصنا – عالج اينهارد "دراسات شارلمان" و "تقوى شارلمان".

وأظهر اينهارد من خلال هذه الفصلين مدى استعداد شارلمان للتعلم واهتماماته بدراسة لغته القومية واللغات الأجنبية والفنون الحرة. ثم تحدث اينهارد عن العلماء الذين لعبوا دورا بارزا فى أيام شارلمان مثل بطرس البيزاوى والكوين البريطانى ،واختتم اينهارد حديثه عن دراسات شارلمان بالإشارة إلى أنه حاول تعلم الكتابة، ولكنه لم يحقق الا نجاحا ضئيلا فى هذا السبيل.

ثم تحدث اينهارد عن تقوى شارلمان، وتمسكه بمبادئ الديانة المسيحية مبينا الجهود التى بذلها فى بناء كنيسة اكس لا شابل التى جلبت اعمدتها الرخامية من مدينتى روما ورافنا. واشار اينهارد إلى حرص شارلمان على

رعاية الكنيسة وحرمتها ونظامها وتحسين التلاوة فيها. أمــا بقيــة فصــول الكتاب فقد تحدث فيها اينهارد عن كرم شــارلمان وتتويجــه إمبراطــورًا، واصلاحاته، ثم تتويج ابنه لويس، ووفاة شارلمان ودفنه في كنيسة العاصمة، وأخيرًا تناول وصية شارلمان في فصله الأخير من هذا الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أن اينهارد له ثلاثة أعمال أخرى هي :

العمل الأول : يحمل عنوان : " رسائل اينهارد " وهــو عبــارة عــن أبحاث في إدارة أعماله في ألمانيا، ويعتبر شاهد عيان على النظام الإقطاعي في المجتمع الألماني في القرن التاسع الميلادي مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى.

العمل الثاني : وهو عبارة عن ترجمة حياة القديســين مارســيلينوس وبطرس ومعجزاتهما.

العمل الثالث : وهو بعنوان : " مذكرات في تمجيد الصليب ".

تتويج اوتو العظيم فى عام ٩٣٦م

مقدمة الترجمة :

يصف الراهب فيدوكيند Widukind من دير كورفو فى هذه الفصـول من حوليته – الإجراءات التى اختير اوتو بموجبها ليخلف اباه هنرى كملـك على الفرنجه والسكسون، وكيف توج فىآخن فى عام ٩٣٦م.وتحتـوى هـذه الفقرة على تقرير قيم عن الاحتفالات التى تعبر عن الحكـم المثـالى للملـك الجرمانى، والتى ترمز للسياسة التى بدأها هنرى. وهذه السياسـة تسـتهدف الاقلال من عدد الدوقات ليصبحوا خداماً ملكيين.

نص الترجمة

تتويج اوتو السكسونى فى آخن فى السابع من أغسطس عام ٩٣٦م.

II) بموت هنرى – ابو المانيا وأعظم الملـوك وأحسـنهم، اختـار الشـعب الفرنجى والسكسونى كله ابنه اوتو كرئيس لهم، و كان أباه قد عينـه ملكـاً. وحدد الجميع مكاناً لهذا الاختيار، وقرروا أن يتم هذا الاختيار فى القصر فـى آخن – القريبة من يوليخ Jülich (وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسـها وهو يوليوس قيصر).

وبالوصول إلى هناك اجتمع الدوقات والحكام معا مع مجموعة أخـرى تتألف من الجنود الرئيسيين – فى كنيسة شارل العظيم (شارلمان) ووضعـوا قائدهم الجديد على عرش اقيم هناك . ووفقاً لعاداتهم نصبوه ملكاً بمصافحتـه (أى بالسـلام عليه) ووعـدوه بالـولاء وبمساعدته ضد جميع اعدائه. وبينما

يعاهده الدوقات والقضاة الآخرين، كان الاسقف الأعلى، وجميع طوائف القساوسة وفرقهم، وكل الناس، ينتظرون مجئ الملك الجديد إليهم فى الكنيسة.

وعندما وصل الملك قام رئيس الاساقفة وكان يرتدى رداء كتانياً ووشاح (أو بدلة القداس)، وخرج لمقابلة الملك، ولمس يد الملك اليمنى بيده اليسرى، وحمل فى يده اليمنىالصولجان، وذهب إلى وسط هذا المكان المقدس ثم توقف، والتفت إلى الناس الذين كانوا يقفون فى شكل حلقة، لأن الكنيسة كانت دائرية، وكان هناك ممرات حولها أعلى وأسفل. ولهذا استطاع كل الناس رؤيته . وقال : "انظروا، انتبهوا، لقد احضرت لكم اوتو - الذى اختاره الله، وعينه من قبل السيد هنرى، والآن نصبه جميع الامراء ملكاً- إذا كنتم موافقين على هذا الاختيار، فأظهروا ذلك برفع أيديكم اليمنى إلى أعلى. وعند هذه الكلمات، رفع كل الناس يدهم اليمنى إلى أعلى. ودعوا لقائدهم الجديد بالنجاح بصيحة عالية .

ثم تقدم رئيس الاساقفة مع الملك، الذى كان يرتدى صدرى لاصق على جسده وفقاً للتقاليد الفرنجية - نحو المذبح حيث وضعت الشارات الملكية والسيف والترس،والعباءة العسكرية باربطة الذراع، وعصا الصولجان والتاج.

وكان الاسقف الأعلى فى ذلك الحين هو هيليدبرد Hildibert وهو راهب فرنجي، نشأ وتربى وتعلم فى دير فولدا Fulda، وترقى فى هذا الدير إلى مرتبة رئيس الدير، وترقى من هذه الوظيفة بجدارة لمرتبة أعلى فى اسقفية مينز Mainze- لقد كان رجلاً عظيم القداسة، وحكمته تفوق البشر، تميز فى دراسة الآداب وقد قيل أنه كان يتمتع بقدرة على التنبؤ بالأشياء، بالإضافة إلى مواهب أخرى.

وكان هناك خلاف ونزاع بين أسقفية ترير Trier وكولوني حول رسامة الملك، وكانت ترير الكرسى الاقدم والافضل لأن القديس بطريس هو الذى أسسها، بينما كانت آخن تابعة لابرشية كولونى. وتصورت كل منهما – على هذا الاساس – انه يجب أن يكون لها شرف رسامة الملك. ولكن عهدت كلاهما بذلك إلى هيليد برد، الذى كان لطفه معروفاً للجميع أو لكل واحد.

وتقدم هيليد برد إلى المذبح، والتقط السيف والترس (الدرع) والتفت إلى الملك وقال : "تسلم هذا السيف الذى سوف تطرد به كل أعداء المسيح، والبرابرة، والمسيحيين المخالفين للكنيسة، وذلك بالقوة الإلهية التى انتقلت إليك، وبقوة الامبراطورية الفرنجية كلها، وكذلك لتقيم السلام الدائم بين سائر المسيحيين، ثم أخذ الاربطة كما أخذ العباءة والبسهم للملك وقال : "عندما تتدلى هذه الاربطة من فوق كتفيك فإنك سوف تعرف حماسة الإيمان الذى يجب أن تمتلئ به، وتعرف واجبك للمحافظة على حماية السلام حتى النهاية" ثم أخذ الصولجان والعصا وقال : "سوف تكون لك هذه الشارات مرشداً حتى تصنع نظام مثل نظام الأب (أى المسيح) مع اتباعك، وبداية تضع يد الرحمة على ممثلى الله وعلى الارامل والايتام، وأن تظل عطوفاً رحيماً حتى تفوز بالمكافأة الابدية فى الوقت الحالى وفى المستقبل".

وبعد أن قام الاسقف هيليد برد وويكفرد بسمحه بالزيت المقدس وتتويجه بالتاج الذهبى، اكتملت بذلك كل مراسيم التتويج طبقاً للقانون واصطحب الاسقفان اوتو إلى العرش، الذى وصلوا إليه عن طريق سلم حلزونى، والذى اقيم بين عمودين من الرخام بجمال عجيب. ومن هذا المكان استطاع اوتو أن يرى كل فرد من مكانه هذا وأن يراه كل فرد.

ونزل الملك إلى القصر، واقترب من مائدة رخامية مزدانـــة بـــالجلال الملكى وجلس مرة أخرى مع الاساقفة وسائر الناس والدوقات يخدمونهم.

....

ثم صرف الملك الحشد الكبير فى فرح شديد، وانعم بـــالكرم الملكـــى على كل أمير بعطية ومنحة مناسبة.

التعليق عن نص تتويج اوتو العظيم ٩٣٦م

اوتو الأول ٩٣٦-٩٧٣م:

اوصى هنرى الصياد (أبو المانيا) قبل وفاته فى عام ٩٣٦ م أن يخلفـه على العرش ابنه اوتو من بعده ، وبالفعل ما أن توفى هـــنرى حتـــى اجتمـــع الامراء، وعينوا ابنه اوتو ملكاً على المانيا، وكان عندئذ فى العشـــرين مـــن عمره. ويعتبر هذا الحدث بداية لمبدأ الوراثة فى حكم المانيا ونهايـــة لمبـــدأ الانتخاب بها.

ويحتل اوتو الأول أو اوتو العظيم أهمية كبيرة فى تاريخ ألمانيا ويرجع ذلك للأسباب التالية:

أولاً: انه جعل من المانيا دولة موحدة بعد أن كانت بمثابة اتحاد قبلـــى، يضم عدد من الدوقيات أو الدوقات الذين ينفرون مـــن الخضـــوع للحكومـــة المركزية.

ثانياً: يعتبر اوتو الأول هو الذى أحيا الامبراطورية فى الغرب، وهـــو مؤســـس الامبراطورية الرومانية المـــقدسة بالمعنى الذى يعبر عنه اسم هذه

الامبراطورية، والذى يشير إلى ارتباط المانيا وايطاليا تحت سيادة حاكم واحد.

وتكونت تلك الامبراطورية بالتحديد فى عام ٩٣٦م، وهو العام الذى توج فيه اوتو الاول امبراطورا فى آخن (اكس لا شابل) على يد رئيس اساقفتها هيلدبرت Hildbert، وهى عاصمة الامبراطورية الكارولنجية، وقد حرص اوتو على أن يتوج فيها، وقد تم تتويجه وفقاً للطقوس الدينية والتقاليد الكنسية . وكان هذا بمثابة اعلان عن قيام الامبراطورية الرومانية المقدسة.

وقد اشار الكاتب الفرنسى فولتير (القرن ١٨م) الي انها لم تكن امبراطورية رومانية ولا مقدسة، ومع ذلك فهى حقيقة واقعة. وفيما يتعلق بكلمة (رومانية) ما هى الا دلالة على وراثة التاج الامبراطورى الرومانى، وذلك لأن العنصر السائد فى هذه الامبراطورية كان العنصر الألمانى وليس الرومانى.

أما كلمة (مقدسة) فلم تستعمل بصورة رسمية الا فى عهد الامبراطور فردريك الأول(بربروسا) حيث لقب بها عام ١١٧٥م، ثم أكثر هنرى الرابع وفردريك الثانى من استعمال لفظة مقدسة، ثم غدا اللفظ شائعاً.

سياسة اوتو الداخلية : سياسته تجاه دوقات المانيا :

كان أوتو يعتقد فى سمو مركزه، لذلك بدأ يبسط نفوذه على مختلف أنحاء المانيا، وبذل اوتو جهده من أجل احكام السيطرة على الدوقيات الالمانية، والحد من سطوة الدوقات وذلك عن طريق :

أولاً: انشاء دوقيات جديدة منحها لاصدقائه واقربائه الاقوياء وترتب على ذلك :

- أن ذاب الدوقات المتمردين فىمحيط الدوقات الموالين.

- غير الدوقات - الذين كانت تراودهم فكرة التمرد والعصيان - مـن سياستهم ، حتى لا يظهروا أقلية معارضة وسط الكثرة المؤيدة من اتباع اوتو. وبذلك نجح اوتو فى احكام سيطرته على الدوقات والحد من سطوتهم.

ثانياً: اتجاه اوتو نحو الكنيسة لاتخاذها سلاحاً يشهره فى وجه الدوقات وكبار الامراء الذين ثاروا على سياسته.

وبهذه السياسة نجح اوتو فى احكام سيطرته على المانيا، كما تمكن من القضاء على المؤامرات، التى دبرها الدوقات لعزله مـن العـرش، ومنـها تحريض الدوقات الحداقدين عليه لأخيه (هنرى) على تدبير مؤامرة لخلعه من العرش,وتوليته مكانه,ولكن علم اوتو بهذه المؤامرة قبل تنفيذها ، واحبطها قبل أن تولد، وبدلاً من أن ينزل العقاب باخيه هنرى ، عفى عنه، مما جعل كثـير من الدوقات ينحازون إليه، ويغيرون سياستهم نحوه، ويظهر ذلك مـا كـان يتمتع به اوتو من ذكاء سياسى.

<u>سياسة اوتو تجاه رجال الدين والكنيسة:</u>

قرب اوتو اليه رجال الدين، واعتمد عليهم اعتماداً كبيراً فى مختلـف شئون الدولة، وأخذوا يباشرون سلطات واسعة فى النواحى القضائية والماليـة والإدرية، وأصبحوا بمثابة مستشاريه فى الشئون الدينية والدنيوية على حـد سواء. وبذلك جمع رجال الدين فى المانيا بين السلطتين المدنية والدينية فى آن واحد.

- توسـع اوتو فى منح الاسـاقفة ومقدمى الاديرة الاقطاعات الكبـيرة،

وترتب على ذلك أن تحول الاساقفة ومقدمو الاديرة إلى امـــراء اقطــاعيين، يتمتعون بسلطات علمانية واسعة، كذلك جعلهم اوتو خاضعين للملك خضوعــاً مباشراً، ومن حق الملك وحده أن يقلدهم مناصبهم، ومن حقه عزلهم أيضاً مما اضر بالكنيسة.

– نصب اوتو نفسه حامياً على الكنيسة ورجالها، كما ســـعى لمــزج الكنيسة بالدولة، ويبدو أن تدخل اوتو فى شئون الكنيسة الالمانية، ومحاولـــة العمل دائماً على اخضاعها لسيطرته المطلقة، لم يتم دون معارضة من جـانب بعض رجال الدين، إذ لجأ بعض الاساقفة على رأسهم (وليم) ابن اوتو نفسه – إلى عرض الأمر على البابا – وعلى الرغم من ان البابوية كانت عندئذ فـــى شغل عن المانيا وكنيستها، الا ان هذا الإجراء جعل اوتو يشعر أن الكنيســـة الالمانية ليست وحدة قائمة بنفسها، وإنما ترتبط بالبابوية فى روما، وتخضـــع لهيمنتها، وعلى هذا فإذا اراد اوتو السيطرة على الكنيسة الالمانيـــة، كوســـيلة للسيطرة على ألمانيا، فإنه يجب أن يبدأ أولاً باخضاع البابا، أو علـــى الأقـــل يكسبه إلى صفه. وهذا الأمر يتطلب تدخل اوتو فى شئون ايطاليـــا للســـيطرة على البابوية ، ويدفعنا ذلك ايضاً للحديث عن سياسة اوتو الخارجية.

سياسة اوتو الخارجية

استهدفت سياسة اوتوالخارجية ما يلي :

(١) القضاء على غارات المجريين، وقد تمكن من الانتصار عليهم فى موقعة لخفلد Lechfeld عام ٩٥٥م.

(٢) مواصلة سياسة ابيه الخاصة بالزحف نحـــو الشـــرق، وبنـــاء المعـــاقل العسكرية على الحدود الشرقية.

(٣) السعى لابقاء فرنسا ضعيفة ومنقسمة على نفسها.

(٤)التوسع في ايطاليا للسيطرة علـــي البابويـــة و الحصـــول علـــي التـــاج الامبراطوري،واحياء الامبراطورية الرومانية.

وقد ساعدته الظروف على التدخل فى شئون ايطاليا، إذ استنجدت بـــه أديلايد Adelaide ارملة لوثر حـــاكم لمبارديـــا لمســـاندتها ضـــد برنجـــار Berengar حاكم فريولى، ولم يتوان اوتو فى تلبية هذا الطلب، واسرع علـــى رأس جيشه إلى ايطاليا عام ٩٥١م لمساعدة اديلايد، ونجح فى هزيمة حـــاكم فريولى هزيمة ساحقة، ولكن لم يشأ اوتو أن يقضى عليه قضاء تماماً وإنمـــا تركه ليكون بمثابة أمير اقطاعى تابع له، كما عرض على الارملة الحســـناء اديلايد الزواج، فوافقت، وبذلك ضم اوتو املاكها فى ايطاليا إلى جانب أملاكه فىالمانيا ، أى أصبح له الحق فى الأجزاء الشمالية من ايطاليـــا (لمبارديـــا) وأصبح قاب قوسين أو أدنى من التاج الامبراطورى . ولكن اجبرته الأحـداث التى وقعت فى المانيا على سرعة العودة إليها، وتتمثل هذه الاحداث في:

حركة التمرد التى تزعمها ابنه لودلـــف Ludolf – دوق ســـوابيا وزوج ابنته كونراد الاحمر، مما تطلب سرعة العودة إلى ألمانيا للقضاء على حركـة التمرد هذه والحفاظ على عرشه بالمانيا.ونجح اوتو فى القضاء على حركـــة التمرد هذه، وعفى عن ابنه، كما عفا عن أخيه من قبل، وازداد قوة بذلك فـــى نظر امراء المانيا.

ولم تكد سنة ٩٦١م تنتهى حتى كان اوتو قد فرغ من المشاكل الداخليـــة والخارجية التى واجهته، وعاد يفكر من جديد فى حلمه القديم هو حمل التاج الامبراطورى، ويقال أن الرغبـــة فـــى احيـــاء الامبراطوريـــة عندئـــذ لـــم

تكن وليدة تفكير اوتو وحده، بل شاركه فى هذه الرغبة كثير من المعـاصرين، الذين رأوا فى هذا الاحياء منفذاً للخلاص مـن الفوضـى والاخطـار التـى تعرضت لها اوربا حينئذ، ولاسيما وأن لفظة الامبراطورية ارتبطت دائماً فـى اوربا العصور الوسطى بالاستقرار والأمن والنظام.

ولاحت الفرصة لاوتو لتحقيق حلمه فى عام ٩٦١م، إذا قام برنجـار حاكم فريولى بمضايقة رجال الكنيسة ومناوئة البابا، فاستنجد البابا (حنا الثـاني عشر) باوتو، وما أشبه الليلة بالبارحة فقد سبق واستنجد البابـا ليـو الثـالث بشارلمان ٧٩٩م، ولم يضيع اوتو الفرصة من يده، واسرع بالتوجه إلى رومـا فى مطلع العام التالى ٩٦٢م لحماية البابوية ومقابل ذلك كافـأ البابـا اوتـو بتتوجيه امبراطوراً فى فبراير من نفس العام. وقد تعهد اثناء تلقيه التاج بإعادة املاك البابوية كاملة.

هذا وأن كان اوتو قد حرص على أن يفرض ارادته على البابوية، ولم يمانع البابا هذا الاتجاه، مادام اوتو يقوم بحمايته ضـد خصومـه، علـى أن الشرط الذى ضايق البابوية وافزعها، هو أن اوتو اصر على أن يقسم البابـا قبل ترسيمه يمين الولاء للامبراطور، وإذا كان البابا قد وافق فى البدايـة الا انه عاد ورفض.

على اية حال حمل اوتو لقب الامبراطورية وتاجها ونجح فى احيـاء الامبراطورية الرومانية فى الغرب وقيام مـا عـرف باسـم الامبراطوريـة الرومانية المقدسة ، التى سبق أن أقامها شارلمان من قبل عام ٨٠٠م على أن امبراطوريته اختلفت عن امبراطورية شارلمان.

-كانت الامبراطورية فى نظر اوتو ، مسـالة المانية بحتة، فلم يكن

يعنيه من أمر ايطاليا الا تنفيذ سياسته الداخلية فى المانيا نفسها.

- كذلك استغل اوتو الكنيسة والبابوية واللقب الامبراطورى فى تنفيــذ مشروعاته الالمانية، لأنه أدرك أن المانيا هى منبع قوته الحقيقة.

- لم تحظ امبراطورية اوتو بالطابع العالمى، فكانت محلية، وأن حاول اوتو بعد ذلك أن يجعلها ذات صفة عالمية بأن سعى إلى تزويج ابنــــه اوتــو الثانى من الأميرة ثيوفانو Theophano ابنة الامبراطور البيزنطى رومانوس الثانى (٩٥٩-٩٦٢م) عام ٩٧٢م، ودفعه إلى ذلك ايضاً أن حادثـــة تتويجـــه اثارت السلطات البيزنطية، فحاول بهذه الزيجة أن يحصـــل علـــى اعـــتراف البيزنطيين به، الا أن رومانوس رفض ذلك، ولهذا لجأ اوتو إلى توسيط البابـا فى ذلك الموضوع على أثر وفاة رومانوس واعتلاء نقفور فوكـــاس العـــرش البيزنطى، والذى أصبح وصياً على ثيوفانو بحكم زواجه من والدتـــــها وتـــم زواج اوتو الثانى من الأميرة البيزنطية ثيوفانو.

وبمقتضى هذا الزواج ضم اوتو املاك الدولة البيزنطية فـــى جنـــوب ايطاليا إلى الامبراطورية الرومانية المقدسة، وبدا لاوتو أيضاً تحقيق ما هـــو أكثر من ذلك الا وهو توحيد الامبراطوريتين الشرقية والغربية، وهو ما فكـــر فيه شارلمان من قبل عندما شرع من الزواج من ايرين امـــبراطورة الدولـــة البيزنطية.

وقد وجه المؤرخون المحدثون وخاصة الألمان منهم اللوم إلى اوتـــــو العظيم لأنه بذل جهداً كبيراً فى سبيل الحصول على اللقـــــب الامـــبراطورى وعلى ايطاليا، وأن المانيا نفسها كانت احق بهذا الجهد. الا انه من الواضح أن هذا النقد غير عادل لأن اوتو لم يجر وراء ايطاليا والبابوية والامبراطورية

الا لتحقيق أهداف بعيدة ترمى إلى السيطرة على المانيا ذاتها، فقد نظر اوتـــو إلى تتويجه فى روما بعين الاهتمام لا لشئ سوى أن هذا التتويج سيمكنه من:

– اتمام سيطرته على الكنيسة الألمانية بمساعدة البابا.

– اتمام سيطرته على مختلف انحاء المانيا والتصدى للدوقات.

ولعل خير شاهد على ذلك اعمال اوتو بعد تتويجه امبراطوراً إذ عكف فى همة ونشاط على إصلاح الكنيسة الألمانية لا خضاعها لاشرافه، كما شـهد عصره نهضة فكرية كبرى إذا أن الاحياء الدينى فـــى هــذا العصـــر جــاء مصحوباً باحياء ثقافى حتى غدا القصر الملكى فى المانيــا كمــا كــان ايــام الكارولنجيين، وقد تزعم تلك النهضة التى تعرف فى التاريخ باسم (النهضـــة السكسونية) ، برونو Bruno الاخ الاصغر للامبراطور اوتــو، كمــا ظـــهر الكثير من الادباء الذين كتبوا فى مختلف الوان الشعر واللغة اليونانية . وقـــد اسهم الامبراطور أوتو نفسه فى هذه النهضة ، على الرغـــم مـــن مشـــاغله الكثيرة، فقد تعلم قراءة اللاتينية وتفهمها، وأن صعب عليه التحدث بها.

ترجمة النص

معركة مانزكرت أو ملازجرد
(٢٦ اغسطس ١٠٧١م)

لم تكن هذه الحرب الثانية التى خاضها رومانوس الرابع ناجحة تماماً مثل الحرب الأولى. وفى الحقيقة ان هذه المعركة – بوجه عام – لم تكن معركة حازمة، واحتفظ فيها الاعداء باماكنهم – ولو أن جنودنا سقطوا فى المعركة عشرات الآلاف، بينما حفنة قليلة من جانب اعدائنا اخذوا اسرى، لم نكن لننهزم ولنجحنا على الاقل فى احداث نوعاً من الاضطراب للبرابرة، ولكانت نتيجة هذا كله أن يصبح رومانوس اكثر فخراً وأكثر عجرفة عما كان فى الماضى، لأنه حقيقة قاد الجيش مرتين، وفقد احترام الجميع، واسوء من هذا أن مستشاريه الاشرار قادوه إلى الضياع الكامل.

خرج رومانوس الرابع على رأس حملته الثالثة والأخيرة ضد البرابرة، الذين اشتد عداؤهم عندئذ للامبراطورية، فغادر العاصمة تصحبه فرق مساعدة كثيرة من الحلفاء وغيرهم، أكثر مما كان فى المرات السابقة.

وقد خرج فى الحال دون الاصغاء او الاستماع لاى نصيحة كما هو معتاد بالنسبة له سواء فى الأمور العسكرية أم المدنية، وأسرع الامبراطور إلى قيصريه وعند وصوله إلى هذا الهدف احجم عن التقدم، وأخذ يلتمس الاعذار للعودة إلى بيزنطة، ليس لمصلحته فقط بل لمصلحة الجيش أيضاً.

وكان من المفروض عندما وجد أنه من العار الانسحاب والتراجع أن

يحاول الوصول إلى بنود صلح أو اتفاق مع العدو ليضع حداً لغاراته السنوية، ولكنه بدلاً من هذا - سواء أن كان يائساً أم واثقاً فى نفسه أكثر مما ينبغى - فقد تقدم لمهاجمة العدو دون أن يتخذ الإجراءات الكافية لحماية مؤخرة جيشه. ولما رأى الأعداء اندفاعه وتقدمه نحوهم قرروا اغراءه بالتقدم أكثر، ثم يوقعوا به فى شرك بحيلة ومكر. وكان ان تقدم الاعداء نحوه، ثم تراجعوا ثانية، وهكذا كان التراجع مخططاً له. واجروا هذه المناورة عدة مرات، تمكنوا خلالها من فصل بعض قادتنا الذين سرعان ما وقعوا فى الأسر .

وعندئذ شعرت بالقلق على الرغم من أن السلطان نفسه - ملك الاكراد والفرس لم يحضر بنفسه على رأس جيشه، وكانت معظم انتصاراتهم تعزو لقيادته. ورفض رومانوس أن يصدق أى شخص اشار إلى تأثير السلطان فى تحقيق هذه الانتصارات. وفى الحقيقة أنه لم يكن يريد السلام، وتصور أنه سوف يستولى على معسكر البرابرة بدون قتال. ولسوء حظه، ونتيجة لجهله بالعلوم العسكرية وفن الاستراتيجية كان قد وزع قواته، البعض تمركز حوله، والبعض الآخر ارسلهم مع القوة الكاملة لجيشه إلى أماكن متفرقة ولم يشترك بالفعل فى المعركة الا اقل من نصف القوات.

وعلى الرغم من اننى لا استطيع أن امتدح تصرفه التالى الا أنه من المستحيل أن الومه. الحقيقة أنه تحمل صدمة الخطر كلها بمفرده. ويمكن أن نفسر تصرفه بطريقتين، وأن كان رأى الشخصى يمثل رأياً وسطاً بين الاثنتين. فمن ناحية إذا نظرت إليه كبطل يواجه الخطر، ويحارب بشجاعة، فمن المعقول أن تمتدحه فى هذه الحالة . ومن ناحية أخرى إذا نظر إليه الإنسان كقائد كان عليه أن يتبع القواعد العسكرية الاستراتيجية المعترف بها،

والتى توجب عليه أن يظل بعيداً عن خط المعركة، يشرف علـــى تحركـــات جيشه ويصدر الأوامر الضرورية للرجال الذين يعملون تحت قيادتـــه، فـــإن تصرف رومانوس فى هذه الحالة يبدو متهوراً إلى ابعد مدى، لأنـــه عـــرض نفسه للخطر بدون التفكير فى نتائج ذلك. أما أنا فأميل إلى امتداح رومـــانوس أكثر من لومه.

ومهما يكن من أمر، فإن رومانوس الرابع ارتدى عدة الحرب كاملـــة كجندى عادى، واستل سيفه لمنازلة الاعداء، واستطاع حقيقة وفقاً لما تذكـــره مصادر عديدة لمعلوماتى – أن يقتل الكثير منهم، وارغم أخرين على الفـــرار، ولكن حدث بعد ذلك أن ادرك اعداؤه حقيقة شخصيته فأحاطوا به من جميـــع الجهات، وكان أن جرح، وسقط عن فرسه، وقبضوا عليه. وسيق امـــبراطور الرومان أسيراً إلى معسكر الاعداء . وهؤلاء الذين تمكنوا من الفرار كـــانوا جزءا صغيرا جداً من الجيش، أما غالبية الجيش فجزء منه أسر والباقى ذبح.

وبعد المعركة بأيام قليلة وصل احد أولئك الذين استطاعوا الفرار – قبل زملائه– يحمل إلى المدينة انباء سيئة مفزعة. ثـــم تبعـــه رســـول ثـــان وآخرين. ولم تكن الصورة التى رسموها واضحة تماماً، لأن كل واحد شـــرح الكارثة بطريقته الخاصة. قال البعض أن رومانوس مات ، فـــى حيـــن قـــال البعض الآخر أنه أسير وأنهم رأوه باعينهم يقاد مكبلاً بالاغلال إلى معســـكر العدو(البرابرة) . وفى ضوء هذه المعلومات عقد مجلس فى العاصمة، بحثت الامبراطورة [أوداكيا] سياستنا المستقبلية ، واستقر رأى المجلـــس بالإجمـــاع على أنه يجب عليهم فى الوقت الحالى ،أن يتجاهلوا كون الامبراطور قتيلاً أم أسيراً، وعلى الامبراطورة Eudocia أن تتولى هى وابنها شئون الحكم فـــى الامبراطورية.

وعندما أدرك قائد قوات العدو ان امبراطور الرومان قد وقع فى يديه، فإنه بدلاً من أن يفرح بانتصاره غلب عليه التواضع لـــهذا الانتصـــار غـــير المتوقع. واحتفل بانتصاره فى اعتدال يفوق كل ما كان متوقعاً. ولم يلبث قـائد الاعداء ان واسى الامبراطور الاسير، ودعاه إلى مشاركته الطعام، وعاملـــه كضيف شرف جدير بالتكريم، وخصص له حرس خاص، وفك قيود بعـــض الأسرى الذين ذكر الامبراطور اسماءهم، واطلق سراحهم. وأخـــيراً اطلـــق سراح رومانوس نفسه بعد أن عقد معه معاهدة صداقة، وبعد أن أخـــذ عليـــه ضمانات وقسم بأن يظل على الولاء ويفى بالاتفاقيات التى عقدها. ثم اعـــاده بعد ذلك إلى الاراضى الرومانية يصحبه حرس خاص، يتألف من عدد كبـــير كما يتمنى أى انسان.

التعليق على النص

اولا: كاتب النص ميخائيل بسللوس Michael Psellus

ولد ميخائيل بسللوس فى عام ١٠١٨م، وكانت عائلتـــه لا تتصـــف بالثراء، ولا بالارستقراطية كباقى العائلات الكبيرة فى بيزنطة، ولكنها كـــانت تتصف بشدة التقوى والتماسك، كان والده يعمل بالتجارة، وكان مـــن التجـــار متوسطى الحال، وأن كان يعود فى أصله لجذور نبيلة فقد حمل بعض أفـــراد أسرته مرتبة القنصلية ولقب البطريق.

عاش بسللوس حياة ميسورة معتدلة، ولكنها لم تتيح له أن يســـير فـــى خطى تعليمه بصورة منتظمة، لقد أفاد من موت أخته التـــى تكـــبره، حيـــث استخدم صداقها فى الانفاق على دراسته، وقد تحملت امه الكثير من المتـــاعب والمشاق لتربية ولدها بسللوس تربية ممتازة على أمل أن يصبـــح بســـللوس عالماً من العلماء.

كان بسللوس واسع الاطلاع غزير المعلومـــات، حـــاد الذكـــاء، درس البلاغة والفلسفة والطب والفلك والهندسة، وبدأ حياته العملية قاضياً فى مدينـة فيلادلفيا فى آسيا الصغرى، ثم عين سكرتيراً للامبراطور ميخائيل الخـــامس وأمه بالتبنى الامبراطورة زوى Zoe ، ثم عمل سكرتيراً امبراطوريـــاً لـــدى الامبراطور (قسطنطين التاسع ١٠٤٢-١٠٥٥م) وهو امـــبراطوره المفضـــل وبطل تاريخه، وقد خلع عليه آيات التمجيد والاطراء والمديح، ويرفعه مكانـــاً عالياً، ويتحدث عن صفاته ويتغنى بجماله ويشبه فى الجمال بـــأخيل، بـــل أن جمال أخيل فى رأيه "كان شيئاً اضفته عليه الاسطورة، أما جمال قســـطنطين فهو ما حبته به الطبيعة حقاً". ويفيض فى الحديث عن رقتـــه ودماثـــة خلقـــه وكرمه وعذب حديثه ، وسماحته ازاء اعدائه وحلمه مع خصومه، ولا عجـب فى ذلك فقد كان الامبراطور قسطنطين التاسع صاحب فضل على بســـللوس فقد جاء على لسانه : "لقد التحقت بخدمة الامبراطور فور اعتلائه العـــرش، وعملت معه طيلة عهده، ورقيت إلى مرتبة السناتور، وعـــهد إلـــىّ بمعظـــم الأعمال ذات الأهمية الخاصة، وهكذا فليس هناك شئ لم أعرفه، ولم يخـــف علّى عمل علنى أو دبلوماسية سرية ".

وعندما أقدم الامبراطور قسطنطين التاسع على اعادة تنظيـــم جامعـــة القسطنطينية ١٠٥٤م، انتهز بسللوس فرصة قربه من الامبراطور، واعجـــاب الأخير به، فسعى لديه جاهداً من أجل الاقدام على هذا العمل. وقـــد شـــهدت الجامعة نهضة فكرية جديدة تمثلت فى كليتين للقانون والفلســـفة والدراســـات الإنسانية، وقد عينه الامبراطور قسطنطين رئيساً لكلية الفلسفة، واصبح كذلـك استاذ كرسى الفلسفة بها، حيث كان يقوم بتدريس الفلسفة الافلاطونية بها.

وعندما أحس بسللوس بقرب نهاية الامبراطور قسطنطين التاسع بدأ يضع نصب عينيه تأمين مستقبله السياسى، وفى سبيل ذلك ابتكر اسلوباً "هلع له فؤاد الامبراطور" وهو انسحابه إلى دير فى جبل الالمب فى بيثينيا فى عام ١٠٥٥م، وحلق شعر رأسه وارتدى ملابس الرهبنة ، واتخذ اسم ميخائيل الذى اشتهر به فى التاريخ، والذى توارى إلى جواره اسمه الحقيقى وهو قسطنطين.

ولكن الحياة الديرية التى مارسها بسللوس لم تستمر طويلاً فبعد أن توفى قسطنطين تلقى بسللوس وهو فى الدير دعوة عاجلة من الامبراطورة ثيودروا ترجوه أن يطرح من رأسه فكرة الرهبنه وأن يكون إلى جوارها بعد وفاة زوجها الامبراطور. فلبى بسللوس طلبها ومنذ ذلك الحين وفى عام ١٠٥٦م عاد بسللوس إلى الحياة العامة، واستأنف نشاطه الدنيوى، وخطا خطوات واسعة فى سلم الترقى فى المناصب السياسية. فاصبح أولاً المستشار الأول لثيودورا التى كانت لا تصدر أمراً الا بعد استشارته، كما عهدت إليه بكتابة رسائلها التى تعد على جانب كبير من الأهمية والسرية.

وعندما ارتقى ميخائيل السادس (١٠٥٦-١٠٥٧م) ذلك الشيخ الفانى عرش الامبراطورية خليفة لثيودورا، حرص بسللوس على أن يكون من خاصته، وكان الامبراطور ميخائيل السادس معجباً اشد الاعجاب ببسللوس وعمق تفكيره وذوقه وبلاغته "كما لو كان العسل يسيل من بين شفتيه" على حد تعبير بسللوس نفسه.

وما أن تولى اسحاق كومنين العرش (١٠٥٧-١٠٥٩م) خليفة لميخائيل السادس حتى راح يخطب بسللوس بقوله: "انى احمل لحديثكم كل الاعجاب

والتقدير، وانى لاعتبرك حقاً أقرب اصدقائى إلى قلبى، وحتى اثبت لك صدق قولى، فلسوف تحمل من الآن لقب "رئيس مجلس السناتو". كما أصبح بسللوس أشد المستشارين قرباً للامبراطور والامبراطورة التى كانت تلجأ إليه خاصة بعد أن دهم المرض زوجها لتستشيره فى أدق الأمور وأكثرها تعقيداً .

وبعد اعتزال اسحق كومنين العرش ولعل ذلك بسبب مؤامرة دبرها كبار ملاك الأراضى، لم يجد بسللوس صعوبة فى مصادقة رئيس مجلس السناتو الذى وقع اختيار اسحق عليه ليكون خليفة له،وهو الذى اعتلى العرش باسم (قسطنطين العاشر) ١٠٥٩م، فقد تقدم اليه بسللوس وأجلسه على العرش، ووضع على كتفه العباءة الارجوانية، كما البسه الخف (الصندل) الرومانى فى قدميه. عندئذ نهض قسطنطين من فوق العرش، وعانق بسللوس ، وعهد إليه لثقته فيه بالقاء خطبة العرش.

وكان ارتقاء قسطنطين العاشر العرش يعنى انتصار المدنية البيروقراطية فى العاصمة، على الارستقراطية العسكرية في الولايات التى كانت ممثلة من قبل فى اسحاق كومنين، وأصبح بسللوس الذى كان أحد أعمدة الحزب المدنى فى بيزنطة المستشار الرئيسى لهذا الامبراطور، والمؤدب والمعلم الخاص لابنه وولى عهده (ميخائيل السابع). وأصبحت بذلك له السيطرة على كل أوجه السياسة الامبراطورية إلى أن أنتقلت مقاليد الأمور من جديد إلى الحزب العسكرى بوفاة قسطنطين العاشر، وزواج ارملته يودوكيا Eudocia من القائد العسكرى رومانوس الرابع ديوجينس واعلانه امبراطوراً (١٠٦٧-١٠٧١) وعندما علم بسللوس بذلك احس وكأن صاعقة قد وقعت على رأسه.

وكان على بسللوس أن يعود سيرته الأولى فى ممارسة الدهاء والمراوغة التى يجيد فنونها بصورة تبعث على الدهشة وذلك حتى لا يكتسب عداء رومانوس. خاصة وأن الامبراطور رومانوس قد غل يده عن التدخل فى شئون الدولة، وفى هذا الصدد يذكر بسللوس : "أن الامبراطور كان يرغب فى إدارة دفة الأمور فى الامبراطورية منفرداً ودون تدخل أى إنسان". وقد أثر ذلك فى نفس بسللوس وبالتالى فى كتاباته، فيعد رومانوس الامبراطور الوحيد فى سلسلة الاباطرة الذين عايشهم بسللوس ،الذى تعرض لسخريته اللاذعة ونقده البالغ، كما أنه لم يتحدث عنه كثيراً فى تاريخه رغم كونه أقدراباطرة هذه الفترة باستثناء اسحق كومنين. الا أنه لم يستطع انكار شجاعته العسكرية فى حروبه ضد الاتراك السلاجقة إذ يقول : "أجد نفسى مضطراً للثناء على الامبراطور وشجاعته".

وحاول بسللوس خلال مدة حكم رومانوس الرابع (١٠٦٧-١٠٧١م) أن يبذل كل جهده فى سبيل الخلاص منه، ولاحت له الفرصة فى عام ١٠٧١م عندما جاءته البشرى بأن رومانوس قد وقع أسيراً فى أيدى الاتراك السلاجقة بعد هزيمته فى معركة مانزكرت. وفى الاجتماع الذى عقد فى القسطنطينية على أثر ذلك اقترح بسللوس أن يشترك ميخائيل وأمه فى الحكم وعندما سمع بإطلاق سراح رومانوس اعلن بأنه يجب أن ينظر إليه باعتباره طريداً، ولابد وأن ترسل التعليمات إلى الولايات بانقضاء عهده. وذلك لأنه كان على يقين من أن عودة رومانوس إلى العرش تعنى القضاء على آماله وطموحاته.

واستعاد بسللوس فى عهد ميخائيل السابع سلطاته الواسعة ومركزه المرموق، واصبح وزيره الأول، بيده مقاليد الأمور كلها، لذلك فقد خصص

الجزء الأخير من كتابه لمدح ميخائيل السابع الذى يقول عنه "معجـــزة هــذا الجيل". وأن كان فى حقيقة الأمر على غير ذلك، فقد كان ميخائيل السابع كمـا يصفه يوحنا سكيلتزس John Scylitzes صاحب (التاريخ الزمنى) "أنه كـان يقضى وقته، ويبدد طاقته فى أمور تافهة، فقاد امبراطوريتـــه بالتـالى إلـى الدمار، ولقد اضله مستشاره بسللوس، الذى كان يركز السلطة كلها فى يديه... لقد جعله بسللوس رجلاً لا يصلح مطلقاً لهذا المنصب الذى يشغله".

وتوفى بسللوس ١٠٨٧م واختفى بذلك النموذج البيزنطى للسياســى المثقـف، الذى عرف على حد تعبير أحـــد المؤرخيــن "مــن أيــن تؤكــل الكتــف".

كتب بسللوس العديد من المؤلفات فى اللاهوت والفلسفة والعلوم الطبيعيـة والتاريخ والقانون، كما كتب بعض الاشعار وعدد من الخطـــب والرســائل، ولكن أشهر ما كتبه فى مجال التاريخ والذى جعله فى مصاف أشهر مؤرخـى بيزنطه كتابه الذى يحمل عنوان "التـــاريخ الزمنـــى Chronographia" ، وقسمه إلى سبعة كتب اختصت الستة الأولى منها بأباطرة الأسرة المقدونيـــة الاواخر بداية من عهد باسل الثانى منذ توليه العرش فى عـــام ٩٧٦ ونهايـــة بثيودورا آخر سلالة البيت المقدونى. وأما الكتاب الســـابع فيشـــمل ابـــاطرة الانتقال بين الاسرة المقدونية واسرة كومنين . وقد اتضح مـــن خـــلال هـــذا التاريخ الذى كتبه بسللوس دوره فى الحياة العامة وفى تسيير أمور الدولة إلى حد تدخله فى اختيار الاباطرة فى بعض الأحيان أو اقصائهم عـــن العـــرش احيان أخرى.

ثانيا: التعليق على النص

يتناول هذا النص معركة مانزكرت[١] أو ملازكرد التى دارت بين السلاجقة والبيزنطيين فى عام ١٠٧١م.

والسلاجقة قبائل رعوية تتصف بالخشونة والبساطة والحماسة للإسلام، وهم فرع من الأتراك الغز الذين رابطوا على نهر الدانوب، وقد هاجر هؤلاء من بلادهم لسوء الأحوال الاقتصادية والقحط المنتشر بها وذلك بحثاً عن موطن جديد يمكن العيش فيه.

وسمى هؤلاء بالسلاجقة نسبة إلى زعيم جماعة الاتراك أو جدهم سلجوق بن دقاق أو تقاق، وهو والد سلجوق الذى دخل خدمة خان التركستان حوالى عام ١٠٠٠م، ونزح سلجوق ومعه قومه إلى بلاد ما وراء النهر (سيحون) واستقروا قرب بخارى. وأعتنق السلاجقة الإسلام هناك على المذهب السنى، وتعصبوا له ، وساعدهم على ذلك الحياة القبلية التى كانوا يعيشونها.

وفى عام ١٠٢٩ أغار السلاجقة على حدود إيران الشمالية الشرقية، واستولوا على خراسان، ثم غزوا إيران قرب منتصف القرن الحادى عشر.

ومن أشهر ملوك السلاجقة طغرل بك وألب ارسلان وملكشاه، وساس

---

[١] تقع مدينة مانزكرت فى ارمينية إلى الشمال من بحيرة فان Van. وعدد اسم هذه المدينة فى المصادر العربية فتذكر باسم ملازكرد، وملازجرد ومنازجرد، ومنازكرد. أما المصادر البيزنطية فتكتبها بشكل واحد وهو Manzikert(مانزيكرت).

امور دولتهم الوزير المشهور نظام الملك والذى كان عصـــره مـــن ازهـــى عصور التاريخ السلجوقى.

وبعد أن سيطر السلاجقة على الخلافة العباسية، وأصبح الخليفة مجــرد رمز دينى يعيش فى ظل حمايتهم، بدأوا يتوسعون على حساب جيرانهم مـــن البيزنطيين، وذلك فى عهد طغرل بك ثم في عهد ألب أرسلان، الــذى أغــار على أطراف الدولة البيزنطية فى قبادوقيا. والحقيقة أن اغارات السلاجقة على الاراضى البيزنطية حتى وفاة طغرل بك فى عـــام ١٠٦٣م، كـــانت بـــهدف السلب والنهب وليس الاستقرار والإقامة فى الاراضى الامبراطورية، ولكـــن عندما خلف طغرل بك ابن أخيه ألب أرســـلان (١٠٦٣-١٠٧٢م) أصبحــت سياسة السلاجقة تستهدف الاستيلاء على الأراضـــى البيزنطيـــة وأمتلاكـــها، ولذلك قام ألب أرسلان بالاستيلاء على قلب أرمينية وعلى عاصمتها مدينـــة آنى وهى مدينة محصنة ذات موقع استراتيجي هام، وباستيلاء السلاجقة علـــى هذه المدينة سيطروا على هضبة ارمينية، التى كانت تمثـــل حـــائط الحمايـــة للدولة البيزنطية من ناحية الشرق.

وكان على البيزنطيين أن يواجهوا السلاجقة بعد أن أشـــتدت أغاراتـــهم على الاراضى البيزنطية، ولذلك حـــاول الامـــبراطور رومـــانوس الرابـــع ديوجينس استرداد الأقاليم التى استولى عليها الســـلاجقة، وأيقـــاف الزحـــف السلجوقى ، ووضع أولاً خطة تستهدف منع السلاجقة من النفاذ إلـــى داخـــل الدولة البيزنطية، لذلك قام رومانوس بعدة حملات مـــن أجـــل تحقيـــق هـــذا الغرض.

نجحت الحملة الأولى والثانية التى قام بها رومانوس الرابع فى الشام إذا انتصر فى الأولى على أمير حلب محمود المرداسى، ووصل فى الحملة الثانية إلى منبج من أعمال حلب، واسر كثيراً من أهلها ثم سار إلى اعزاز شمال حلب ، وخرب القرى الواقعة بين منبج والاراضى البيزنطية ، ثم عاد لقلة المؤن. غير أن الحملة الثالثة التى قام بها رومانوس اصابها الفشل، وانتهت بهزيمة الامبراطور هزيمة منكرة.

إذ علم الب أرسلان بأن الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع خرج فى جمع لا يحصى عدده من الروم والروس والغز والقفجاق والكرج والخزر والفرنج والارمن، وكان عددهم كما يذكر الفتح بن على ثلثمائة الف ويزيدون، أما السلطان الب أرسلان فكان معه خمسة عشر الف فارس من رجاله، ولذلك رأى ضرورة مواجهة الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع ولقائه.

وكانت مقدمة الجيش البيزنطى وعددها عشرين ألف فارس من الروس قد هاجمت مدينة خلاط ، وعملت فيها السلب، ولكن صنداق التركى استطاع أن يحقق عليهم نصراً عند خلاط، وقتل عدداً كبيراً منهم، وأوقع قائدهم أسيراً، فأمر السلطان ألب أرسلان "بجدع أنفه وأرجاء حتفه" وذلك فى عام ٤٦٣هـ./١٠٧١م.

وأرسل ألب أرسلان إلى رومانوس الرابع رسولاً يعرض عليه الهدنة إذ يقول له : "ان كنت ترغب فى هدنة اتممناها، وأن كنت تزهد فيها توكلنا على الله فى العزمة وصممناها "ويبدو أن ألب أرسلان كان يهدف من وراء ذلك كسب الوقت ومعرفة أسرار عدوه وأحواله إذ يقول العماد "وكان مقصوده أن

يكشف سرهم ويتعرف أمرهم" ولكن رومانوس رفض الهدنة وقال : "انى سوف أجيب عن هذا الرأى بالرى" وذلك ظنا منه أن السلطان ، طلب الهدنة عن ضعف وخور وكانت مدينة الرى تقع فى خراسان وفى قلب الدولة السلجوقية، ولذلك غضب السلطان، وعزم على القتال.

وتم اللقاء بين البيزنطيين والسلاجقة فى يوم الجمعة ٧ من ذى القعدة ٤٦٣هـ/ ٢٦أغسطس ١٠٧١م، وعند موضع يعرف بالزهرة بين خلاط ومنازكرد، بعد أن قضيا طيلة يوم الخميس فى اعداد العدة للقتال والنزال. قسم ألب أرسلان رجاله وكانوا من الفرسان الرماة إلى أربع فرق ، كل فرقة منهم فى كمين، وحمل الامبراطور البيزنطى بجيشه – وكان من الفرسان الثقال مع المشاه – على المسلمين، فنجح هؤلاء فى جذبهم إلى الكمين، بحيث احاطوا بهم من كل جانب، ففرت منهم طائفة ولم تثبت على القتال ولم تصبر، وقاتلت طائفة أخرى، فقتلت صبراً، ولم ينج منهم ألا عدداً يسيراً وكسرت الروم وأسر الامبراطور ولم يجد له معينا ولا معيداً، وغنم منهم المسلمون غنائم لا تعد كثرة ولا تحصى.

والحقيقة أن هناك عدة أسباب ادت إلى هزيمة الجيش البيزنطى فى معركة مانزكرت ١٠٧١م ومن أهم هذه الاسباب:

أولاً: افتقار الجيش البيزنطى إلى التجانس وحسن التنظيم فكما سبق أن اشرنا كان هذا الجيش يتألف من جنود مرتزقة من الروس والغز والخزر والفرنج والارمن البشناق وغيرهم، وكانوا فى حاجة إلى التدريب الجيد وحسن التنظيم هذا فضلاً على أنهم كانوا من الفرسان الثقال، ولذلك لم يستطيعوا مقاومة فرسان السلاجقة الذين اتسموا بسرعة الحركة. هذا فضلاً

عن أن هؤلاء الجنود المرتزقة وخاصة من التركمان والغز، تركوا البيزنطيين وانضموا إلى جانب السلاجقة بدافع من رابطة الدم، وكان هؤلاء الترك يشكلون غالبية الجيش البيزنطى، كذلك انسحب الارمن للخلاف المذهبى بينهم وبين الامبراطورية .

ثانياً: خيانة بعض الضباط البيزنطيين وتخليهم عن الامبراطور وانسحابهم من الجيش ، واشاعتهم نبأ هزيمة الامبراطور قبل انتهاء المعركة.

فقد فر القائد اندرنيقوس دوقاس من أرض المعركة، وكان هذا القائد ابن أخ الامبراطور قسطنطين العاشر دوقاس، وكان يود أن يضمن مستقبل أسرته بعد أن أبعد الامبراطور رومانوس اباه عن وظائفه، ولهذا نشر الاشاعة الكاذبة بأن الامبراطور هزم، وانسحب من ميدان القتال بقواته، وكان قائدا لمؤخرة الجيش البيزنطى، مما أدى إلى حدوث الفوضى والاضطراب فى الجيش البيزنطى كله.

ثالثاً: تقسيم الجيش البيزنطى ، إذ قام الامبراطور بتقسيم الجيش إلى قسمين أحدهما اتجه إلى مدينة خلاط على شاطئ بحيرة فان، والآخر ترأسه الامبراطور وذهب به إلى مانزكرت.

وهكذا ساهمت هذه العوامل فى أنزال الهزيمة بالجيش البيزنطى فى معركة مانزكرت.

أما عن أهم النتائج التى ترتبت على معركة مانزكرت ١٠٧١م، فيأتى على رأسها هزيمة البيزنطيين وأسر الامبراطور لأول مرة على أيدى المسلمين، واضطر الامبراطور الاسير إلى عقد اتفاق مع السلاجقة وسلطانهم ألب ارسلان ومن أهم بنود هذا الاتفاق :

ا- اطلاق سراح الامبراطور البيزنطى رومانوس مقابل فدية ماليـــة، وأن يدفع البيزنطيون للسلاجقة اتاوة سنوية.

ب - اطلاق سراح الاسرى الاتراك الموجودين بالبلاد البيزنطيـــة، وأن يقدم الامبراطور المساعدة العسكرية للسلاجقة ولسلطانهم إذا ما طلبـــها . وأن يرسل لهم التحف والهدايا.

ج - أن يرد الامبراطور البيزنطى انطاكية والرها ومنبج للمسلمين.

د - أن تكون مدة الهدنة خمسين عاماً.

وأدت معركة مانزكرت أيضاً إلى ضياع الأجزاء الشرقية للامبراطوريـــة وكذلك ارمينية وقبادوقيا، تلك الأجزاء التى امـــدت الامبراطوريـــة بخـــيرة جنودها وأشهر قوادها ، وأمهر رجالها الذين ساسوا أمـــور البـــلاد ودافعـــوا عنها، وكان فقدان الدولة البيزنطية لآسيا الصغرى معناه بداية النهاية للدولـــة البيزنطية إذ عندما فقدت بيزنطة ولاياتها الغنية فى آسيا الصغرى أصبحـــت عاصمتها القسطنطينية رأسا بلا جسد، فقد تزايد نفوذ السلاجقة بعـــد معركـــة مانزكرت، ولذلك بدأوا يتوسعون فى آسيا الصغـــرى دون أن يجـــدوا أدنـــى مقاومة ، إذ عجز البيزنطيون عن الوقوف فى وجههم وصدهم، وقد مهد ذلـك لسقوط الدولة البيزنطية فيما بعد. وبدأت اسيا الصغرى تفقد طابعها اليونـــانى البيزنطى بأنضمامها إلى الاتراك السلاجقة، إذ انتقلت ولاياتها مـــن الديانـــة والآداب المسيحية والحضارة اليونانية إلى العقيدة والحضارة الإسلامية.

جاءت معركة مانزكرت ١٠٧١م دليلاعلى نهايةالدور الذى لعبته الدولة البيزنطية فى حماية المسيحيين من ضغط الإسلام، ونهاية دورها أيضاً فـــى

حراسة الباب الشرقى لاوروبا من غزو السلاجقة المسلمين ، وأصبح علـــى الغرب الاوربى أن يقوم بدوره بدلاً من اعتماده على الامبراطورية البيزنطية.

ويرى بعض المؤرخين أن مجئ الحملات الصليبية إلى الشــوق ١٠٩٥م أنما كان رد فعل لهزيمة البيزنطيين فى معركة مانزكرت ١٠٧١م، إذ أن تلك المعركة كانت هى السبب المباشر للحروب الصليبية.

كذلك ادت معركة مانزكرت ١٠٧١م إلى ابعاد خطـــر التحـــالف بيـــن البيزنطيين والفاطميين، وهو (التحالف الذى كان يهدد الخلافة العباسية) بقـــدر ما كان يهدد السلاجقة ، هذا فضلاً عن اضعاف نفوذ الفاطميين أنفسهم الذيـــن بسطوا سيطرتهم على أمارات الشمال حتى حلب وأنطاكية.

أما عن الدولة البيزنطية نفسها فقد أصابها الضعف لعشرين سنة تاليـــــة وأصبحت مسرحاً للمـؤامرات والدسائس والفتن.

الكسيوس الاول كومنين (١٠٨١-١١١٨م)
بقلم آنا كومنينا

الكتاب الأول

كان للامبراطور الكسيوس كومنين الذى هو أبى أيضا، فضل كبير. فقد قدم خدمة جليلة للامبراطورية الرومانية (البيزنطية) حتى قبل أن يصل إلى العرش. بدأ رحلته مبكرا اثناء حكم رومانوس ديوجينس Romanus Diogenes. اشتهر بين معاصريه بأنه مغامر محب للخطر، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره ، كان تواقا للانضمام إلى الامبراطور ديوجينس، فى حملته الشاقة التى قادها ضد الفرس (يقصد الاتراك السلاجقة). وعبر عن رغبته هذه بأن أعلن بغضه للبرابرة وكراهيته لهم، وأنه إذا ما اصطدم أو التقى بهم فسوف يجعل سيفه يرتوى بدمائهم وهكذا كان الفتى محبا للحرب ومع ذلك فلم يسمح له الامبراطور ديوجينس بأن يصحبه معه، لما يترتب على ذلك من شعور أمه بالحزن العميق، خاصة وانها كانت لا تزال ترتدى ملابس الحداد لموت ابنها الاكبر مانويل، وكان رجلا قدم لبلده الكثير من الأعمال العظيمة التى اثارت الاعجاب، كما أن امه لم تقبل العزاء كلية لانها لم تعرف بعد أين وارت اكبر ابنها التراب، وإذا ما أرسلت الابن الاصغر للحرب فإنها سوف تخاف وتتشأم مما قد يحدث للفتى، خاصة وأنها لا تعرف فىأى بقعة من العالم قد يموت. ومن أجل هذه الأسباب أجبر الامبراطور الفتى الكسيوس على العودة إلى أمه. وعلى هذا فقد فصله عن زملائه الجنود فى هذه الحملة وأن كان ذلك على غير رغبته. ولكن فتح المستقبل أمامه

فرص لا تعد لاعمال بطولية. فتحت حكم الامــــبراطور ميخــائيل دوقــاس Michael Ducas - الذى خلف الامبراطور ديوجنيس - أظــهر شــجاعة فعهد إليه الامبراطور بمحاربة روسل Ursel.

وكان روسل هذا فرنجياً بحكم المولد، وجند فــــى الجيــش الرومــانى ووصل إلى درجة كبيرة من المكانة والثراء، وكون جيشاً يعتد به مـــن بنــى جلدته ومن أجناس أخرى. وأصبح ثائراً ومتمرداً مخيفاً. إذ اســتغل فرصــة تعرض نفوذ الرومان (البيزنطيين) للعديد من الاختبارات وحظ الاتراك فـــى صعود، وتراجع الرومان مثل التراب المتناثر من اقدامهم. وفى هذه اللحظــة هاجم الامبراطورية، وبعيداً عن طبيعته التمردية، فقد كان هناك ما دعاه أكثر ليعلن تمرده وهو عندئذ ذلك الانهيار فى الشئون الامبراطورية ، فقام بتخريب كل الاقاليم الشرقية تقريباً.

وعلى الرغم من وجود العديد من الرجال الذيـــن اتصفــوا بالشـــجاعة والمعرفة والخبرة الكبيرة فى ميدان الحرب والقتال، وكان يثقون فى الانتصار عليه الا إنه قهر خبرتهم الطويلة، فكان يهاجم بنفسه فـــى بعــض الأحيــان، ويهزم خصومه بهجمات خاطفة اشبه بالشهب، وأحياناً أخرى كـــان يحصــل على مساعدات من الأتراك. وكانت هجماته لا تقاوم، فقد هزم بالفعل بعضـــاً من الزعماء الاقوياء، وقهر كتائبهم تماماً. وكان الكسيوس يعمل فـــى ذلــك الوقت تحت قيادة أخيه، وخدم كملازم تحت قيادة هذا الرجل الذى عهد إليـــه بقيادة جميع الجيوش فى الشرق والغرب.

وبينما أحوال الامبراطورية واوضاعها فى هذة الحالة السيئة، إلى جانب هذا الهجوم البربرى، الذى يشبه الصاعقة، فقد نظر إلى أبى على أنه الرجــل

الوحيد القادر على مقاومة (اى هجوم)، إذ بدأ (نجمه) يتألق، ولذلـــك عينــه الامبراطور ميخائيل قائداً مطلقاً. وبناء على ذلك استجمع كل ذكائه ومهارتــه والخبرة التى اكتسبها كجندى وقائد. هذا وأن لم يكن لديـــه الوقــت الكــافى والكبير ليجمعها . ولكن بفضل حبه الطاغى للمثابرة، وذكائه الحاد فقد اختــار من الرومان من ينظرون إليه بصفته قد وصل إلى قمة الخـــبرة العســكرية، ويعتبرونه من المشاهير أمثال : اميليوس Aemilius الرومانى، أو ســـكيبيو Scipio أو هانيبال القرطاجى Hannibal لأنه كان بالتأكيد صغيراً...

وأسر هذا الشاب روسل وهو يهاجم الرومان بقـــوة، وأصلـــح شــئون الشرق فى ايام قلائل. وكان سريعاً فى اكتشاف ما هو ملائم ومناسب، وأسـرع منه فى اتمامه وانجازه. وقد تحدث عن طريقه اسره القيصر Caesar (تقصد آنا هنا بالقيصر زوجها نقفور برينيوس) فى الكتاب الثانى من تاريخه وعصره، ولكننى سوف أروى ذلك ايضاً فيما بعد وفيما يخص تاريخى.

<u>التعليق على النص</u>

<u>اولا</u> : كاتبة النص "آنا كومنينا"

المعروف آنا كومنينا هى الابنة الكبرى للامبراطور الكسيوس كومنيـــن من زوجته ايرين دوكاس، ولدت فى أول ديسمبر من عام ١٠٨٣م وتوفيـــت فى عام ١١٤٨م أو فى ١١٥٣م، وحظيت آنا بحظ وافر من التعليم والثقافـــة، فدرست العلوم اللاهوتية والإنسانية، مما اكسبها ثقافة عالميـــة، ومعلومـــات غزيرة، وأسلوباً ادبياً رائعاً. كما اتصفت بكونها امرأة بالغة الذكاء، ضربت

مثلاً طيباً للطبقة الارستقراطية فى بيزنطة فى ذلك العصر.

تزوجت آنا من نقفور برينيوس حوالى سنة ١٠٩٦ أو ١٠٩٧م وكـــان رجلاً عسكرياً عهد إليه الامبراطور الكسيوس بعد زواجه مـــن آنـا بتـأمين حراسة اسوار القسطنطينية ضد هجوم شنه الصليبيـــون. وقـد انعـم عليـه الامبراطور الكسيوس بلقب (قيصر) بمناسبة زواجه من ابنته آنــــا، وتولــى نقفور قيادة الجناح الأيمن للجيش البيزنطى فى آخر حملة قادها الكسيوس ضد الاتراك السلاجقة فى قونية عام ١١١٦م. وما لبث أن أحتـل نقفـور مكانــة كبيرة وهائلة إذا أصبح بمثابة المتحدث الرسمى باسم الامبراطورية.

واستماتت آنا ووالدتها ايرين فى اقناع الكسيوس بتعيين نقفور خليفه لــه على عرش الامبراطورية البيزنطية، بدلاً من ابنه الأكبر حنا كومنين ولكـــن الكسيوس رفض الانصياع والرضوخ لتوسلات زوجته ايرين ودموعها وقـال لها :

" من من اباطرة الروم القدامى فضل صهره على ابنه خلفاً لـــه علـــى عرش الامبراطوية؟ إذا لبيت طلبك فسوف اكون اضحوكة الامبراطورية، بل سيعتقد الشعب البيزنطى أننى معتوه ويحجر علىّ". وبذلك فشــلت محـــاولات ايرين زوجة الكسيوس وابنته آنا فى تنصيب نقفور امبراطوراً .

ومن الجدير بالذكر أن علاقة آنا بأخيها حنا ظلت سيئة يشوبها الشـــك، بل أنها قادت ثورة فاشلة ضده حين تولى العرش، فنفاها حيث عاشـــت بقيـــة حياتها.

أما عن كتابها المعنون (بالالكسياد The Alexiad) فهو عبـــارة عـــن سجل شامل لتاريخ الامبراطورية البيزنطية خلال الفترة من ١٠٦٩-١١١٨م.

بدأت فى تدوينـــه بعــد نحــو عشــرين عاماً مـــن وفــــاة أبيهـــــا ، وبعـــــد وفاة زوجهــا نقفـــور برينيـــوس أى فـــى عـــام ١١٣٧ م ، وأتمتـــه قبــــل وفاتها بفترة قصيرة وتقول آنا : "أنها أرادت أن تسجل أعمال والدها حتـــى لا يجرفها تيار الزمان إلى محيط النسيان، كما أنـــها ارادت أن تعـــدد أعمالـــه وانجازاته وخدماته التي أداها للامبراطورية قبل أن يعتلـــي عرشـــهاوقبل أن يتوج امبراطورا. ولهذا سعت لكتابة الالكسياد" .

وقد اعتمدت آنا فى كتابها على المادة التى وضعها زوجها عـــن حيـــاة والدها، كما اعتمدت على ما سمعته من والدها ووالدتها، ورجال البلاط الذيـن عاصروا الاحداث قبل مولدها أو خلال فترة طفولتها، هذا إلى جانب اعتمادها على عدد كبير من الوثائق والأوراق الرسمية فى أرشيف الدولة والخطابـــات والمراسلات بين أبيها وجيرانه الامراء والملوك والبابوات وكذلك نصـــــوص الاتفاقيات والعهود التى تمت بين الامبراطور والملوك المعاصرين.

والمعلومات التاريخية التى تمدنا بها آنا كومنين على درجة كبيرة مـــن الأهمية خاصة منذ أن بدأ نجم ابيها يلمع كأحد القادة العسكريين الأكفاء فـــى القضاء على تمرد روسل باليل، وعلى ثورة نقفور برينيوس وجــــهوده فـــى العمل على استقرار عرش بيزنطة.

ونظراً لأن آنا كانت شديدة الشغف بأبيها والولاء له، فحرصت علـى أن تبين ان اباها كان دائماً عاقلاً، بالغ الدقة فى عمله، شديد العطف والاحســان. ولذا حذفت كل ما من شأنه أن يفسر للتشهير فى رأيها أو ينتقص مـــن قـــدر اصدقائه.

ويؤخذ على آنا تعصبها الشديد عند الحـــديث عما وقع خارج حـــدود

الامــبراطورية، ويظهر ذلك من خــلال حديثها عن الاتراك السلاجقة والبابا جريجورى السابع. كما أنها وقعت فى بعض الاخطاء التى تتعلــق بــالترتيب الزمنى والتاريخى للأحداث التاريخية ، ولعل مرجع ذلك إلــى أنــها كتبــت تاريخها عندما امست امرأة عجوز، وبعد أن مضى على الحملــة الصليبيــة الأولى نحو اربعين عاماً، لذلك فإن ذاكرتها كانت تخونها فى بعض الأحـوال، فكانت تقع فىالخطأ . كذلك أوردت الاميرة آنا بعض الأخطاء عن الشــعوب المجاورة للامبراطورية البيزنطية، فضلاً عن غمــوض بعــض المعلومــات الجغرافية الواردة فى الكتاب. ومع ذلك فإن الالكسياد يعــد مــن المصــادر البيزنطية الهامة.

واكملت آنا بكتابها الالكسياد تاريخ زوجها نقفور برينيوس الذى حــاول أن يضعه عن حياة الامبراطور الكسيوس كومنين، غير أن الموت منعه مــن إتمام هذا التاريخ بعد أن وصل إلى الكتاب الرابع. فقد كتــب هــذه الكتــب الاربعة فى عجالة بناءعلى طلب ايرين زوجة الكسيوس والدة زوجتــه آنــا وكتبها فى أواخر حياته حتى توفى فى عام ١١٣٧م.

ومهما يكن من أمر فإن آنا كانت أديبة ومؤرخة، شهد لها المؤرخــون المعاصرون بالمعرفة والفصاحة فضلاً عن معاصرتها لكثير مما اوردته مــن أحداث.

ثانيا : التعليق على النص

"الكسيوس كومنين بقلم آنا كومنينا"

تتحدث آنا فى هذا النص عن والدها الكسيوس كومنين والدور الذى لعبه قبل أن يصل إلى عرش الامبراطورية البيزنطية فى القضاء علىحركات التمرد التى هددتها.

والكسيوس كومنين هو ابن حنا كومنين اخو الامبراطور اسحاق كومنين (١٠٥٧-١٠٥٩م) من زوجته آنا دالاسينا Anna Dalassena ولم يتمكـــن حنا كومنين والد الكسيوس من الوصول إلى العرش ، ومات فى عام ١٠٦٧م تاركاً للام أربعة ابناء غير الكسيوس وثلاث بنات. وعملــت الأم آنـــا علـــى رعاية اسرتها والحفاظ عليها وإعداد الابناء لتحقيق حلمها وحلم ابيـــهم فـــى الوصول إلى العرش، فعلمتهم فنون الحرب والسياسة، وحاولت أن تجد للبنات زيجات مناسبة.

ونجحت آنا فى أن تأخذ بيد ابنها الاكبر (مانويل) حتى وصل إلى أعلـــى المناصب بالدولة، فتولى قيادة الجيش فى الشـــرق فـــى عـــهد الامـــبراطور رومانوس الرابع ديوجينس، وحقق مانويل من البطولات ما أعاد لاسم كومنين شعبيته مرة أخرى داخل معسكرات الجيش . ولكن ما لبث مـــانويل أن وقـــع فريسة للمرض ومات. ومع ذلك لم تعرف الام آنا اليأس فسرعان ما الحقـــت ابنها الثالث صاحبنا هو الكسيوس بالجيش ليخدم بجانب أخيه الثانى اسحاق.

وبدأ نجم اسحاق والكسيوس فى التألق، وإن فاقت شهرة الكسيوس شـــهرة

أخية الاكبر اسحاق. واثبت تفوقه فى المكر والدهاء وفنون القتـــال ولاســيما أثناء معالجته لمشكلة روسل باليل على نحو ما سنرى.

اعد الامبراطور ميخائيل السابع – خليفة رومانوس الرابع قائد معركـــة ماتزكرت – حملة للتصدى للاتراك السلاجقة، اسند قيادتــــها إلـــى إســحاق كومنين ، الذى اصطحب معه اخاه الكسيوس. ودخل فى تشكيل هذه الحملـــة اربعمائة مقاتل بقيادة (روسل باليل). وعسكرت الحملة فى قيصريــــه لينــال جنودها قسطاً من الراحة ، وفى تلك الأثناء حدث أن قام اســـحاق كومنيــن بمعاقبة أحد جنود الفرنجة بسبب سوء معاملته للأهالى، فاتخذ روسل باليل من هذا التصرف ذريعة للتمرد، وانسحب بقوته. فكلف اســحاق كومنيــن اخيــه الكسيوس بأن يصحب جزءاً من الجيش لمطاردتـــه، ولكــن قبــل خــروج الكسيوس من المعسكر جاءتهم الاخبار باقتراب جيش تركى ضخـــم، فــترك إسحاق أخاه فى حراسة المعسكر وخرج لملاقاة الأعداء، غير أنه هزم ووقــع فى الأسر وعاد الكسيوس إلى القســـطنطينية، واســتطاع أن يجمـــع الفديــة المطلوبة لاطلاق سراح أخيه إسحاق، ثم عاد إلى آسيا الصغرى ثانية ليطلــق سراح أخيه. وبعد اطلاق سراحه انسحب الجيش التركى من آسيا الصغرى.

أما عن روسل باليل الذى كان يحلم بتكوين دولة نورمانية فـــى آســيا الصغرى على غرار ما اقامه النورمان فى جنوب ايطاليا، فبعد انسحابه مـــن معسكر اسحاق كومنين استولى على اقليمى جلاتيـا وليكاوينيـا Lycaonia. ويتضح من خلال ذلك لحكومة القسطنطينية أن ما قام به روسل باليل ليـــس تمرداً يعتاد أن يقوم به المرتزقة للمطالبـــة بمســتحقاتهم الماليــة او زيــادة اجورهم،

إذ أنه يستهدف ابعد من ذلك، يستهدف تكوين دولـــة نورمانيـــة فـــى آســـيا الصغرى.

وحاولت الحكومة البيزنطية قمع تمرد روسل باليل بأن ارسلت للتصـدى له (القيصر يوحنا دوكاس) ولكن انتهى اللقاء بينهما بهزيمة قاســـية لجيــش القيصر ووقع هو وابنه فريسة للاسر فى يد روسل. وبعد هذا الانتصار لم تعد هناك بارقة أمل لقمع تمرد روسل باليل، فقد انضم إليه عدد كبير من الفرنجة، كما استغل انتصاره على القيصر يوحنا دوكاس وقام باخضـــاع كـل المــدن الواقعة على نهر سنجار لسلطته، ثم تقدم إلى البوسفور، واشعل النــــار فـــى مدينة خريسبوليس المواجهة للقسطنطينية.

وأصبحت الحكومة البيزنطية فى موقـــف لا تحســد عليـــه، وحـــاول الامبراطور ميخائيل حل مشكلة روسل بطلب المساعدة مـــن صـــهره أمـــير اللان، فارسل إليه جيش من المرتزقة يقدر بستة آلاف مقاتل من اللان، ولكن لم يستطع الامبراطور دفع أجورهم ، فتركه معظمهم وعادوا إلـــى وطنـــهم، ونجح روسل فى ايقاع الهزيمة بهذ الجيش كذلك.

وهكذا فشلت كل المحاولات التى بذلتها الحكومة البيزنطيـــة لاخضـــاع روسل ولم يعد لدى الامبراطورية جيش يمكنه أن يحـــارب فـــى معركتـــها، فاضطرت إلى شراء المساعدة الحربية سواء من الترك أم من الكرج.

وفى نفس الوقت انعدمت ثقة الحكومة والجنود فى القـــادة العســـكريين الذين اخفقوا عدة مرات فى تحقيق النصر على قوات روسل . لذلك اتجـــهت الأنظار لتكليف القائد الشاب الكسيوس كومنين لمحاربته. استطاع الكســـيوس بفضل ما كان يتمتع به من طـــاقة ودهاء أن يحقق بعض النجاح ، هـــذا فى

الوقت الذى تصادف فيه وصول جيش سلجوقى ضخم للاناضول بقيادة تتش فأسرع روسل بالتحالف معه، واتفقا على غزو اراضى الامبراطورية فى آسيا، وعندما علم الكسيوس بهذا التحالف ارسل بعض الهدايا القيمة لتتش، وبعد أن أقنعه أن من مصلحة الدولتين القضاء على روسل ، الذى يمثل خطورة عليهما، ووعده بالمزيد من الهدايا والاموال إذا ما سلمه روسل. واستجاب تتش لعرض الكسيوس كومنين، وعندما توجه روسل لزيارة تتش فى معسكره، القى القبض عليه وسلمه لالكسيوس بعد أن تسلم الفدية المتفق عليها.

وهكذا فشلت حركة روسل باليل لتكوين امارة نورمانية مستقلة عن الإدارة البيزنطية فى آسيا الصغرى ، ولم نسمع بعد ذلك عن قيام قيادة نورمانية جديدة لمتابعة الدور الذى بدأه روسل باليل، مما يدل على ان حركته كانت مجرد طموح شخصى انتهى باختفاء صاحبه من مسرح الاحداث.

ونجح الكسيوس بعد ذلك فى القضاء على جميع محاولات التمرد الأخرى التى واجهت الامبراطورية البيزنطية قبل اعتلائه العرش. مما كان سبباً فى اعجاب ابنته آنا بهذا الدور البطولى الذى اداه والدها.

خطبة البابا اوربان الثانى فى كليرمونت
٢٦ نوفمبر ١٠٩٥م

مقدمة الترجمة :

هناك أربع روايات لهذه الخطبة كتبها اربعة اشخاص، من المحتمل أن هـؤلاء الاربعة قد حضروا المجمع ، ولكنهم لم يدعوا أنهم اقتبسوا كلام اوربان الثانى أو نقلوه بالضبط. طلب الامبراطور الكسيوس المساعدة من البابا ضد الاتراك السلاجقة وبعد أن ترأس البابا مجمع بياكنزا (فى شمال ايطاليا) فى ربيع عـام ١٠٩٥م، اتى إلى فرنسا، وأقام خلال الصيف فى تولوز، وكلونـى وأمـاكن أخرى حيث دشن كنائس وكاتدرائيات وهياكل جديدة، وفى تلك الاثناء لم يكـن هناك اتفاق لدعوة البابا للحرب الصليبية. ومن المحتمل أن سعيه كان بعيـداً عن الفكرة فى مناقشاته مع النبلاء العلمانيين والاكليريين، وأن خطبتـه هـذه كانت غير معدة.

هذه رواية فوشيه من شارتر

نص الترجمة

ايها الأخوة الاحباء، أنا اوربان -بدافع من الحاجة الملحة فى الوقت الحـاضر - ارتديت بأمر الله الرداء البابوى، وأصبحت الحاكم الروحى للعالم أجمـع. وقد اتيت إليكم هنا (يقصد كليرمونت) يا خدام الله نذيراً لاذيع عليكـم عظـة مقدسة. وأننى لأمل أن أجعل اولئك الذين اعتقد انهم الخدام المخلصيـن لله - يبرهنوا على أنهم خدام الله. وبالتالى لا يحدث بعد ذلك رياء مخجل، ولكن إذا كان شيئاً ما يخالف قانون الله أو عيب أو اعوجاج عن الطريق الصحيح وذلك

بسبب : انكم فقدتم روح الاعتدال والاناة والعدالة، فسوف أجاهد بكـل قوتـى لاستئصال هذا الخطأ والقضاء عليه.

وما دمتم يا ابناء الله قد اعطيتم الكلمة، ووعدتم الاله - بحرص أكـثر مما مضى - أن تحفظوا السلام والدين فى قلوبكم، وأن تخلصوا فى الحفـاظ على قوانين الكنيسة أكثر من أى وقت مضى، فإنه ما زال أمامكم يا من بعثتم الاصلاح المقدس حديثاً - مهمة أخرى عاجلة منوطة بكـم وتخـص الـرب أيضاً، ومن خلال هذه المهمة يمكنكم اظهار قوة ارادتكم وحسن نواياكم. يجب عليكم أن تسارعوا إلى مساعدة اخوتكم المسيحيين فى الشرق، الذين يحتاجون إلى مساعدتكم، وطالما طلبوها.

وبناء على ذلك فأننى أصلى واحثكم لست أنا ولكن الله يحثكـم ايضـاً باعتباركم من مبشرى المسيح واتباعه أن تحثوا الناس فى كل مكان ومن كـل الطبقات، الفرسان، الجنود المشاه، الاغنياء، الفقراء - لمد يد العون سـريعاً لهؤلاء المسيحيين، وأن تمحوا ذلك الجنس الشرير من أرض اخواننـا! وأنـا أقول ذلك لمن هو حاضر الآن ليعلنه لمن هم غائبين. وفوق ذلك فإن ذلك مـا يأمر به المسيح.

بالإضافة إلى ذلك تغفر ذنوب وخـطايا أولئك الذين سيذهبون إلى هناك (أى إلى الشرق)، وإذا فقـدوا حياتهم فى رحلتهم براً أم بحراً، أو فى حروبهم ضد الكفرة فسوف يكافئ هؤلاء من هذه الساعة. هذا ما امنحه لكل من يذهب إلى هناك بحكم السلطان الذى خولنى الله اياه.

يا له من عار إذا قام جنس محتقر، منحل، تستعبده الشـياطين بـالتغلب على شعب يتحـصن بالايمان بالله القدير، شعب يتألق ويفاخر باسم المسيح،

وما أكثر اللوم الذي سيلحق بكم من الله نفسه إذا لم تساعدوا هــؤلاء الــذين يعدون مثلكم من إتباع الديانة المسيحية، دع أولئك الذين كانوا قد اعتادوا من قبل على النضال أو القتال بضراوة في الحرب الخاصة ضد المؤمنين، دعهم يقاتلون الكفرة، ويصلوا إلى النهاية المنتصرة، التي مضى عليها وقت طويل منذ أن بدأت.

دع أولئك الذين ظلوا حتى الآن قطاع طرق ولصوصًا، أن يصــبحوا الآن جنود السيد المسيح، دع هؤلاء الذين كانوا يناضــلون ضــد إخــوانهم وأقربائهم يحاربون البرابرة. دع أولئك الذين كانوا من قبل جنودًا مرتزقــة بأجور زهيدة، دعهم يحصلون الآن على مكافآت أبدية، دع أولئك الذين كانوا يجهدون أنفسهم لإيذاء الجسد والروح أن يعملوا الآن من أجل مكافــآت ذات شقين أي لسمو الروح والجسد معًا.

التعليق على النص

خطبة البابا أوربان في مجمع كليرمونت

٢٦ نوفمبر ١٠٩٥م

هناك أربع روايات تحدثت عن خطبة البابا أوربان الثــاني فــي مجمــع كليرمونت في ٢٦ نوفمبر ١٠٩٥م في فرنسا، وقد كتبت هذه الروايات الأربــع بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى، وحضر أصحابها المجمع، ونقلــوا الكلمــات التي وردت على لسان البابا أوربان. وأصحاب هذه الروايات الأربع هم :

١- فوشيه دي شارتر.
٢- روبرت الراهب.
٣- المؤلف المجهول صاحب كتاب أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس.
٤- بلدريك الدوللي.

أولاً: فوشيه دى شارتر أو فولشر دى شارتر Fulcher of chartres

من المرجح أن فوشيه ولد فى شارتر فى فرنسا حوالى عـــام ١٠٥٨ أو ١٠٥٩م ولا نعرف شيئاً عن مستهل حياته، الا أنه من المعروف جيـــداً انـــه شارك فى الحملة الصليبية الأولى، تلبية لنداء البابا اوربان الثـــانى (١٠٨٨-١٠٩٩م) فقد حضر مجمع كليرمونت، بل ويروى بعض المؤرخين انه كـــان يمتلك نسخاً لقررات مجمع كليرمونت الذى عقـــده البابـــا فـــى ٢٦ نوفمـــبر ١٠٩٥م. وخرج فولشربصحبة الحملة الصليبية الأولى، وانضم إلى بلدويـــن الأول عندما انشـــق عن جيش الحملة الرئيسى فى آســيا الصغرى، وزحف بجموعه شرقاً عبر الفرات، واسس امارة الرها الصليبية عام ١٠٩٨م.

وظل فوشيه فى الرها لمدة عامين إلى جوار بلدوين إلى أن تولى الاخـير عرش ممـــلكة بيت المقدس بعد وفاة اخيه جودفرى . وكان فوشـــيه قســـيس بلدوين الخاص، ورافقه فى جميع حروبه واسفاره. ومن المحتمل أنـــه كـــان مستشاراً له. وقضى فوشيه بقية حياته فى القدس حتى توفى وربمـــا فىعـــام ١١٢٧م عن عمر يناهز الثانية والستين عاماً.

ومن الواضح أن مركز فوشيه كقسيس خاص لبلدوين مكنه من الاطـــلاع على دخائل الأمور وبواطنها، واتاح له ان يكون شاهد عيان لاحداث ينفـــرد بها عن غيره. ومن ثم فإن لكتابه قيمة تاريخية كبيرة إذ يعد مصدراً أساســـياً للخطبة وللحملة الصليبية الأولى وهو بعنوان "تاريخ الحملة إلى القدس".ويقـــع فى ثلاثة كتب، الكتاب الأول يبدأ بمجمع كليرمونت وخطبة البابـــا اوربـــان الثانى التاريخية. ويهتم هذا النص بنص فوشـــيه دى شـــارتر دون غـــيره - وينتهى هذا الكتاب (الفصل) بوفاة جودفرى حاكم بيت المقدس. ويبدأ الكتاب

الثانى باعتلاء بلدورين الأول عرش مملكة بيت المقدس، ويصـــف الاحـــداث التى جرت فى عصره حتى وفاته بالعريش بمصـــر، ويبـــدأ الكتـــاب الثـــالث باعتلاء بلدوين الثاني عرش مملكة بيت المقدس، ثم يتوقف فجأة عنـــد عـــام ١١٢٧م.ومن المرجح أن فوشيه توفى فى هذا العام أو أصيب بمرض اقعـــده عن الكتابة.

أما نص الخطبة الذى اورده فى كتابه فقد كتبـــه خـــلال الفـــترة مـــن (١١٠٠-١١٠٦م).

ثانياً: روبرت الراهب Robert the monk

يعرف أحياناً باسم روبير الريمسى نظراً لأنه تولى رئاسة دير القديـــس ريمس St . Remis وحضر مجمع كليرمونت، أما عن الخطبة التى اوردهـــا على لسان البابا اوربان الثانى فهى تعكس الموضوع الرئيسى لروايته، حيـــث يدور الموضوع حول الرب القادر الذى اختار الفرنجة ليعمل مـــن خلالـــهم. وبذلك يرى أن الحملة الصليبية هى أكبر دليل على تدخل العناية الألهية فـــى أمور العالم. وقد تميزت روايته بنوع من المبالغة فـــى تصويـــر المســـلمين ووحشيتهم، وهى المبالغة التى كانت تميز كتابات رهبان العصور الوســـطى عموماً بما تحمله من تعصب وجهل.

وقد كتب روايته عن الخطبة فى عام ١١٠٧م فى كتابه الذى يحمل نفس عنوان كتابه فوشيه دى شارتر وهو "تاريخ الحملة إلى بيت المقدس".

ثالثاً: المؤلف المجهول:

وهوغير معروف على وجه التحقيق رغم كثرة الاشارة إلـــى الاعتمـــاد على روايته اعتماداً كبيراً فى الدراسات المتأخرة الخاصة بالحملة الصليبية

الأولى، وقد ذكر بعض الكتاب ومنهم الكونت ريان Riant أنه اسكندر، كاتب وقسيس ستيفن دى بلوا، الذى ساهم فى الحملة الصليبية الأولى إلـــى جـــانب النورمان.غير أن ذلك غير مؤكد لان المؤلف المجهول لم يشر فى روايته إلى ثمة علاقة تربطه بستيفن دى بلوا. بل أنه يهاجمه فى مواطن كثيرة من كتابـه ويتهمه بالجبن والضعف، وعدم خدمة الصالح الصليبى. كل ما يشير إليه عن حياته من خلال روايته انه لم يكن من طبقة النبلاء أو الامراء او القادة بـــل كان إذ صح لنا أن نقول "من الطبقة الوسطى" .

وقد اشترك المؤلف المجهول فى الحملة الصليبية الاولى، وحضر مجمـع كليرمونت، وتحدث عن خطبة البابا اوربان والاثر العميق الذى تركتـــه فـــى الذين حضروا المجمع. واوردها فى كتابه الذى يحمل عنوان "اعمال الفرنجـة حجاج بيت المقدس". ويتناول هذا الكتاب تاريخ الجماعات الصليبيـــة التـــى خرجت تلبية لدعوة البابا اوربان الثانى، وهى الجماعات التـــى تســـمى فـــى التاريخ الغربى باسم "الحجاج" رغم أنها نهضت للقتال واسترداد بيت المقدس. وسجل الخطبة فى عام ١١٠٠-١١٠١م. وكتابه مترجم الي اللغة العربية بقلم د.حسن حبشي.

رابعاً: بلدريك الدوللى Baldric of Dol

اعتمد بلدريك على المؤلف المجهول صاحب أعمال الفرنجـة حجـاج بيت المقدس، ويعد بلدريك من أقل كتاب أو مؤرخى الحملة الأولـــى شـــأنا، وكان مقدماً لدير سان بير دى يورجى خلال الفـــترة مـــن (١٠٨٩-١١٠٧م) وحضر مجمع كلير مونت، وسجل خطبة البابا اوربان فى عام ١١٠٨م فـــى روياته "تاريخ الحملة إلى القدس" . وهو كاتب رشيق العبارة ، كتب روايته

من وجهة نظر لاهوتيه للغاية. ويركز فى الخطبة التى اوردها علىلسان البابا اوربان على أن المسيحيين سواء فى الشرق أم فى الغرب هم أخوة على حــد سواء.

أما عن صاحب الخطبة وهو البابا اوربان الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩م) فهو أكبر البابوات المصلحين فى القرن الحادى عشر، وذلك لاصلاحاتــه علــى المستوى الادارى والقضائى والمالى، فقد أعاد للبابويــة بــهذه الاصلاحــات سلطتها وفعاليتها بعد ما حاق بها بعد بابوية جريجــورى الســابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) . لذا لابد من القــاء بعــض الضوء على حياته واعماله والظروف التى القى فيها هذه الخطبة الشهيرة فى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامــة وفى تاريخ الحروب الصليبية بصفة خاصة.

كان اوربان يدعى (اودو دى لاجيرى) ولد فى شاتيون، وكان ينتمــى إلى أسرة من النبلاء، تلقى تعليمه فى المدرسة الكاتدرائية فى ريمس. وأقــام اودو فى ريمس حتى صار قساً ثم رئيساً لشمامسه الكاتدرائية ، غير أنه لــم يقنع بذلك، فقرر فجأة أن يلجأ إلى ديركلونى، وما لبث أن عين مقدمــاً لــهذا الدير، الا أنه بعد أن أمضى مدة وجيزة فى العمل كمقدم دير كلونــى، انتقــل إلى روما. وخلال اقامته في روما ترك اثرا واضحا فيها،ووصلت شهرته الي مسامع البابا "جريجورى السابع الذى عينه كاردينالاً، ومندوباً له فى فرنســا والمانيا خلال عامى ١٠٨٢و ١٠٨٥م.

وعندما عاد اودو من مهمته هذه، ظل ملازماً للبابا السنوات الأخيرة مــن بابويته، وأوصى البابا جريجورى أن يخلفه اودود على عرش البابوية. ومــا لبث أن اختير اودو لهذا المنصب فى عام ١٠٨٨م باسم" اوربان الثانى".

وكان البابا اوربان رجلاً طويل القامة، طليق اللحية، قوى الحجة فاق جريجورى السابع فى اتساع الافق والمهارة ومعاملة الناس. واشتهر اوربان بحسن الإدارة والتنظيم، فنجح فى أن يخضع لسيادته واشرافه كل النظام الكنسى فى فرنسا موطنه الأصلى. كذلك كانت له السيادة العليا فى اسبانيا ، وسرعان ما أخذت بقية البلاد فى اوربا تعترف بسلطته الروحية.

وترجع شهرة البابا اروبان الثانى فى تاريخ الحروب الصليبية إلى أنه صاحب الدعوة لاول حملة صليبية خرجت من اوربا، وصاحب فكرة الحروب الصليبية التى ارتبطت بشخصيته، وبخطبته فى مجمع كليرمونت – موضوع النص الذى بين ايدينا .

والواقع أن البابا اوربان الثانى كان أصلح شخصية معاصرة لتنفيذ المشروع الصليبى ،إذ كانت لديه الجرأة على الدعوة للحرب الصليبية ورعايتها ، فقد أرسل الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) سفارة إلى البابا اوربان الثانى تحمل له اخلاص الامبراطور ومحبته. على أن تبادل السفارات والمجاملات بين الرجلين لم يكن كافيا لتخليص آسيا الصغرى من خطر السلاجقة لذلك اراد الامبراطور استغلال العلاقات الطيبة مع البابوية للحصول على مساعدة عملية من الغرب ضد المسلمين ، فانتهز فرصة عقد مجمع دينى برئاسة البابا اوربان فى بياكنزا (شمال ايطاليا) فى مارس ١٠٩٥م، وارسل وفداً من القسطنطينية لحضور المجمع ، وطلب مساعدة البابا.

وقد نجح وفد الامبراطور الكسيوس فى اقناع البابا بأن السلاجقة لا يهددون الدولة البيزنطية وحدها، وإنما يهددون المسيحية جمعاء، وأن قوتهم

أخذت فى الضعف والانحلال، وانه لولا حاجة الامبراطورية البيزنطية إلـــى رجال لقامت بتوجيه ضربة قاسية ضد السلاجقة. وأمن البابا اوربان الثـــانى بضرورة مساعدة الامبراطورية البيزنطية ضد المسلمين، فعقد مجمعـــاً فـــى كليرمونت فى الفترة من ١٨-٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م شهده ثلاثمائة من رجـــال الدين، وانتهز البابا هذه الفرصة واعلن أنه سوف يعقد جلسة يـــوم الثلاثـــاء الموافق ٢٦ نوفمبر ١٠٩٥م ليلقى فيها اعلانـــاً هامـــاً. واحتشـــدت جمـــوع القساوسة والعلمانيين فى هذا اليوم لسماع هذا الإعلان الذى تمثل فى خطبتـــه فى المجمع.

ونظراً لأن البابا كان فرنسياً، وكان يتحدث إلى الشعب الفرنسى، فإنه لم يستخدم اللغة اللاتينية، بل استخدم لغته القومية حتى لا يدع مجالاً للشك فـــى حديثه أو فى جدية ما يقول.. وقد اشتملت الخطبة على النقاط التالية :

أولاً: بدأ البابا اوربان الثانى فى مقدمة خطبته بالمناداة بـــالاصلاح الداخلـــى للحالة الاخلاقية فى اوربا الغربية، فحث على التواضـــع والتعليـــم والســـلام والتقوى والعدل والمساواة والعفة، لتكون هـــذه الاخـــلاق هىعـــدة الحركـــة الصليبية وزادها.

ثانياً: ثم انتقل البابا فى خطبته إلى "التصديق على الهدنة الالهية " التى تمنع خرق السلام بين المسيحيين.. ذلك حتى تزداد المحبة بين سكان الغرب. وهذا هو المقياس المبدئى لاتخاذ عمل موحد فى الشرق.

ثالثاً: يقدم البابا بعد ذلك بياناً لحالة الشرق، فيوضح ان انتصـــار المســـلمين والاتراك على الامبراطـــورية البيزنطية يدعو إلى اتـــخاذ خطوة من الغرب المسيحى لتحرير تلك البقاع، وكذلك الاراضى المقدسة من نير الكفرة الطغاة،

وأن يحمى المسيحيين الشرقيين الذين ساءت حالتهم.

رابعاً: يعلن اوربان الحرب الصليبية فى كلمات حركت العواطف عندما قال: " وبناء على ذلك فإنى أو بالاحرى فإن الله يطلب اليكم باعتباركم من اتبـــاع المسيح أن تنشروا هذا الخطاب فى كل مكان لحث الناس من كل الطبقــات... وفوق هذا فإن ذلك ما يأمر به المسيح".

خامساً: أن مكافأة كل من يحمل الصليب هي نيل الغفران فوراً لجميع خطاياه.

سادساً: يطلب البابا من جميع الافراد ان يجتنبوا عداء بعضهم لبعـــض، وأن يحولوا قتالهم نحو الشرق.

سابعاً: فى ختام الخطبة ، يطلب البابا اوربان اتخاذ الاســـتعدادات اللازمـــة علىالفور، ويحثهم على أن يؤجروا اراضيهم، ويجمعوا المال اللازم للنفقـات، حتى يصبحوا مستعدين فى العام التالى للخروج إلى الشرق.

ترجمة النص

الملك ريتشارد يطلب من صلاح الدين الهدنة
لمدة ثلاث سنوات (عام١١٩٢م)

وفى هذه الأثناء بدأ الملك ريتشارد يشعر بالقلق على صحته ؛ وبعد تفكير عميق ؛ أرسل الى قريبه الكونت هنرى مع الداوية والاسبتارية ؛ يشرح لــــه حالة الضعف التى أمسى عليها جسده ؛ وأنه يتحتم عليه مغادرة المكان فـــــى الحال نتيجة للجو الفاسد والحالة السيئة التى أمست عليها التحصينات . ولكـــن أعترض الجميع على هذا الآقتراح ؛ وأجمعوا على ذلك فى رأى واحد وقلـــب واحد . وغضب ريتشارد وتحير لهذا التصرف ؛ وتألم الما مرا لأنــــه ليـــس هناك من يتعاطف مع ظروفه السيئة وحظه العاثر .

وعندما وجد أن الجميع قد تركوه ؛ وليس هناك مـــن يـــهتم بالقضيـــة العامة أمر باعلان وهو على كل من يأمل فى أن يتسلم عطاء الملك أن يـــأتى اليه ويقدم له مساعدته. وفى الحال جاء اليه الفان من المشاة وخمســـون مـــن الفرسان . ولكن صحة الملك بدأت تزداد سوء ويأس من أن تســـتقر ثانيـــة . ونظرا لقلقه على نفسه وعلى الأخرين فكر فى أنه أفضل من كل الخطط التى أقترحوها بأنفسهم ، أن يطلب الهدنة بدلا مــــن أن يـــترك الأرض فريســـة للتخريب ؛ مثلما فعل الأخرون قبل أبحارهم الى بلادهم .

وهكذا طلب الملك – المتردد المتحير فى عمل ما هو أفضل – سيف الدين

أخو صلاح الدين ليتوسط بينهما ؛ وحصل على بنود أعظم وأشرف هدنة بنفوذه وسلطته . وكان سيف الدين فى ذلك الوقت رجلا كريما غاية الكرم فقد قام بواجب الضيافة للملك بوحى من خصاله المنفردة ؛ وفى مناسبات عديدة . وهو الذى بذل جهدا كبيرا ليحصل ريتشارد على هدنة بالبنود والشروط الأتيه: يجب أن تخرب عسقلان التى كانت تسبب دائما قلقا خلال حكم صلاح الدين ؛ ولا يعاد بنائها لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات ؛ تبدأ من الاحتفال بعيد الفصح القادم . ولكن مع نهاية المدة يجب على من يمتلكها أن يقوم بتحصينها .

– يسمح للمسيحيين بأن يعيشوا فى مدينة يافا Jappa بدون عائق وبلا مضايقة ؛ وأن يعيشوا معا فى كل الأقاليم المجاورة ؛ سواء على ساحل البحر أم فوق الجبال .

– يراعى تطبيق مبدأ السلام بين المسيحيين والمسلمين ؛ فلكل منهم كامل الحرية فى الذهاب والأياب كما يحلوا لهم .

– أن يكون للحجاج الحرية فى زيارة القبر المقدس ودخوله بدون أى الزام مالى أيا كان نوعه ؛ وتترك لهم الحرية أيضا فى حمل البضائع لبيعها عبر الاراضى كلها ؛ وممارسة الحرف التجارية بدون ممانعة .

وقدمت هذه الاتفاقية مكتوبة للملك ريتشارد الذى وافق عليها بسبب حالته الصحية السيئة ؛ وقلة القوات لديه ؛ كما أن العدو كان على بعد ميلين منه ؛ كما أنه لا يعتقد أن سلطته تضمن له بنودا مناسبة أكثر من هذه البنود . وأن من يؤمن برأى مخالف لذلك فيما يخص هذه المعاهدة فأننى أخبره بأنه سوف يعرض نفسه للاتهام بالانحراف عن جادة الصواب/.

كيف أتصل الملك وصلاح الدين أحدهما بالأخر وديا عـــن طريـــق السفراء والرسل ؟

عندما أستقر رأى الملك على ما سبق ذكره نتيجة للظروف الطارئـــة الخاصة به وأنطلاقا من شهامته التى كانت تسعى لتحقيق هدف متواضـــع وصعب ؛ فقد أرسل الى صلاح الدين معلنا له فى حضور عدد من قادتـــه انه يطلب هدنة لمدة ثلاث سنوات بغرض العودة الى بلاده ؛ حتى يجمـــع أكبر عدد من الرجال والأموال ثم يعود لانقاذ أراضى بيت المقدس كلـــها من سيطرته ؛ واذا كان لدى صلاح الدين الشجاعة حقا فليواجهه فى ساحة القتال عندئذ .

ورد صلاح الدين على ذلك بان أقسم بشريعته المقدسة وأشـهد الله القدير بانه يؤمن بعظمة الملك ريتشارد ومجده وشهامته وتفوقه ؛ وأنه كان يفضل أن يخسر ممتلكاته فى قتال مع الملك ريتشارد على أن يفقدها أمـــام اى ملك أخر رأه ؛ وهذا على افتراض أنـــه سـيضطر لفقـد ممتلكاتـه. ولكن وا أسفاه !!

فكم يعمى البشر عند أدراك الحقيقة بينما يضعون الخطط لسنوات عديدة قادمة ؛ فهم يجهلون ما تقذفهم به الأقدار فى المستقبل ؛ فبينما يتطلع عقل الملك الى المستقبل أملا فى استعادة القبر المقدس للرب ؛ لكنـــه لـــم يستطع ؛ فكل انسان يعلق فى رقبته قلادة ذات خيط رفيع (قد ينقطع فـــى أى لحظة) .

التعليق على النص

الهدنة بين ريتشارد وصلاح الدين ١١٩٢م

كان لسقوط مدينة بيت المقدس فى أيدى صلاح الدين فى عـــام ٥٨٧ هـ/١١٨٧م ؛ وضياع معظم الممتلكات الصليبية فى بـــلاد الشـــام صدى قوى فى أوربا ؛ خاصة بعد أن ذهبت سفارة على رأســـها رئيـــس أساقفة صور يصطحب معه جماعة من الرهبان والقساوسة ؛ وتوجهوا الى أوربا وهم يلبسون السواد ويحملون صورة السيد المسيح ؛ وأمامه رجـــل عربى يضربه بعصا ؛ وقالوا هذا هو نبى العرب يضرب المســـيح ،وقـد بالغوا فى دعايتهم ؛ وأعلنوا أن المسلمين قد دنسوا قبر المسيح فى مدينـــة بيت المقدس .

ولذلك قامت البابوية وعلى رأسها البابا كلمنـــت الثـــالث (٥٨٣ - ٥٨٧هـ / ١١٨٧ -١١٩١م) بدعوة ملوك أروبا وأمرائـــهاللقيام بحملـــة صليبية كبرى تسترد بيت المقدس من أيدى المسلمين ؛ وتثأر ممـــا حـــل بالصليبيين بالشام على أيدى صلاح الدين . ولم يلبث أن أســـتجاب لـــهذه الدعوة كل من ريتشارد قلب الأسد (٥٧٦ -٦٢٠هـ / ١١٨٠ -١٢٢٣م) ملك أنجلترا ؛ وفيليب أغســـطس (٥٨٥ -٥٩٦هـــ /١١٨٩-١١٩٩م) وفردريك بربروسا أمبراطور المانيا . وقد فرضت أوربـــا لتمويـــل هـــذه الحملة ضريبة خاصة عرفت بأسم "عـشرصلاح الدين ".

وبالنسبة لفردريك بربروسا فقد أختار أن يأتى الى الشام عن طريق البر عبر البلقان وآسيا الصغرى ليصل الى بلاد الشام ؛ هذا فى حين سلك

كل من فيليب ملك فرنسا وريتشارد ملك أنجلترا طريق البحر .

على أن الحملة الالمانية لم يحالفها التوفيق إذ تعرضت فى الطريق لمصاعب عدة من جانب الدولة البيزنطية أولا ثم من جانب السلاجقة ؛ وانتهى مصير هذه الحملة بغرق الامبراطور فردريك فى أحد أنهار آسيا الصغرى وهو يعبرها بفرسه ؛ وتشتت على أثر ذلك حملته ولم يمكنها الوصول الى الشام .

أما عن فيليب فقد وصل بحملته الى بلاد الشام فى ٢٠ أبريل ١١٩١م فى الوقت الذى شرعت فيه البقايا الصليبية فى الشام ؛ والتى تجمعت فى صور – فى حصار عكا ومحاولة استردادها من ايدى المسلمين ،اذ كانت الميناء الرئيسى لمملكة بيت المقدس ؛ ويسهل عن طريقها الوصول الى مدينة بيت المقدس، كما يستطيعون عن طريقها الحصول على المؤن والامدادات من الغرب .

وتولى فيليب مسئولية قيادة القوات الصليبية فور وصولها الى عكا وأنضم اليه ريتشارد عقب وصوله الى عكا للتسليم بعد حصار دام عامين (٥٨٥ –٥٨٧هـ) وبعد مقاومةعنيفة من جانب والى المدينة وحاميتها ؛ وبعد أن فشل صلاح الدين فى محاولة انقاذها أو تزويدها بالمؤن عن طريق ميناء بيروت .

وبسقوط عكا فى أيدى الصليبيين ارتفعت روحهم المعنوية ؛ وأضعفت منها لدى المسلمين بعد أن توالت هزائمهم ؛ كذلك ضمن الصليبيون ميناء هاما على البحر المتوسط ؛ يحصلون عن طريقه على المؤن والأمدادات من الغرب .

وبعد نجاح الصليبيين فىاستعادة عكا حدث خلاف بيــن كــل مــن فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد ؛ وترتب على ذلك أن أعتذر فيليــب بالمرض وأبحر عائدا الى الغرب (أغسطس ١١٩١م) فـــى حيــن ظــل ريتشارد فى الشام ليصفى الحساب مع صلاح الديـــن ؛ وتزعــم القــوى الصليبية ؛ وعزم علىاسترداد بيت المقدس وأعادتها الى سابق عهدها .

وبدأ ريتشارد مشروعه بمحاولة الاستيلاء على المدن الساحلية مــن عكا الى عسقلان ؛ ونجح الصليبيون فى الاستيلاء على عدد من هذه المدن من بينها حيفا وقيسارية ؛ ثم أتجه الى ارسوف ولم يترك صـــلاح الديــن الصليبيين يزحفون فى سهولة ؛ وانما أخذ فى مطاردتهم ؛ وخاض معـــهم معركة فى أرسوف ؛ وأوشك أن يقضى عليه فى هذه المعركـــة وأصيــب بجروح ولولا ثباته واعادته تنظيم رجاله فى سرعة ما أستطاع أن يحـــول المعركة لصالحه . وبعد نجاح ريتشارد فى ارسوف ؛ جمع صلاح الديــن رجاله ؛ وأتفق معهم على ترك المدن الساحليه بعد تخريبها فبدأ بعســـقلان ثم باللد والرملة ؛ ثم اتجه بعد ذلك نحو بيت المقدس لتقويتها وتحصينــها اذ كانت الهدف الذى يسعى اليه الصليبيون .

وفى الوقت الذى نجح فيه الصليبيون فى الأســـتيلاء علـــى المــدن الساحلية ؛ وبدأوا يستعدون للتقدم نحو الخارج حدث خلاف بيـــن حـــاكم صور وهو المركيز (كونراد مونتفرات) وبين الملك ريتشـــارد ؛ وحـــاول كلاهما الاتصال بصلاح الدين وعقد الصلح معه ؛ وكـــان لكــل منـــهما شروطه . فبالنسبة لكونراد فقد أشترط على صلاح الديــن أن تكــون لـــه صيدا وبيروت فى مقـــابل أن يصبح حليفا للمسلمين ضد الصليبيين .

لكن صلاح الدين كان لا يثق فى كونراد ولذلك طلب منـــه مقـــابل عقــد الصلح أن يقاتل الصليبيين معه.

أما عن شروط ريتشارد للصلح مع صلاح الدين فكانت :-

- الاستيلاء على بيت المقدس ورد صليب الصلبوت .
- أخذ البلاد الواقعة بين الأردن والساحل .
- عقد تحالف بين المسلمين والصليبيين .
- وأن يتزوج العادل أخـــو صلاح الدين من جوانا أخــت ريتشـــارد، وأن يحكما معا الدولة الجديدة فى بيت المقدس .

ووافق صلاح الدين على هذا الشرط الأخير كما قبـــل العـــادل أن يتزوج من جوانا ؛ غير أن الآخيرة رفضت لان رجال الديـــن حرضوهـــا على عدم قبول الزواج من مسلم ؛ وعندئذ أقترح ريتشارد - كما تذكـــر بعض المصادر - أن يتظاهر العـــادل بالمسيحية ؛ فرفض العادل ورفض صلاح الدين وفشل هذا المشروع .

على أن ريتشارد عاد وفـــتح باب المفاوضات مرة أخرى مـــع صلاح الدين وذلك نظرا لطول المدة التى أقام فيها فى بلاد الشام وبعـــده عن بلده ووطنه انجلترا ؛ الى جانب أنه وصلته أخبار تمـــرد أخيـــه حنـــا وتطلعه للتربع على العرش منتهزا طول مدة غيابه عن انجلـــترا ؛ ممـــا تطلب سرعة عودته اليها . كما أن ريتشارد أحس أنه لن يستطيع أن يحقق أية انتصارات على قوم فى وسط بلادهم وفى عقر ديارهم وباســـتطاعتهم أن يجددوا قواهم بصفة مستمرة ؛ هذا فى حين تفصل بين انجلترا وساحات القتال فى الشام مساحات واســـعة . وأدرك ريتشـــارد فضلا عن ذلك أن

مشاكل الصليبيين الداخلية في الشرق كثيرة ومتعـــددة ويصعـــب حلـــها .
وأخيرا اعتلال صحته وقلة جنوده . كل هذا دفعـــه لأن يفتـــح بـــاب
المفاوضات من جديد مع صلاح الدين وهى المفاوضات التى طال أمدهـــا
والتى أنتهت بتوقيع الهدنة موضوع هذا النص ؛ وعقد صلح عرف باسـم "
صلح الرملة ٥٨٨هـ/١١٩٢م " ومن أهم شروطه :-

١ – أن تكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور الى يافا بما فيها عكـا وحيفا وقيسارية .

٢ –أن تظل مدينة بيت المقدس بأيدى المسلمين .

٣.–أن يسمح للحجاج المسيحيين بزيارة بيت المقدس والقبر المقـدس دون الزامهم بدفع أى ضرائب .

٤ –أن تكون عسقلان بعد تخريبها وما يليها جنوبا بيد صلاح الدين وتظـل عسقلان ذاتها خربة لمدة ثلاث سنوات ؛ وعلى من يمتلكها بعد نهايـــة المدة أن يقوم بتحصينها ثانية .

٥ –أن تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين .

٦ –أن تكون مدة الصلح أو الهدنة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر .

٧ –يترك للصليبيين الحرية فى حمل البضائع وبيعها عبر الاراضى كلـها وممارسة الحرف التجارية بـــدون ممانعـــة ،كمـــا يتمتـــع المســـلمون والمسيحيون بحرية الحركة فى الذهاب والاياب كما يحلوا لهم .

وبعد أن تم التوقيع على هذا الصلح ؛ رحل ريتشارد مـــن عكـــا
عائدا الى بلاده ؛ أما صلاح الدين فقد شرع فى تنظيم ادارة أقليم فلسطين.

ترجمة النص

سقوط القسطنطينية ١٢٠٤م

النبذة التالية من فلهاردوان :-

سار المركيز بونيفاس مونتفرات بحذاء الساحل حتى وصل قصر بوكليون Bucoleon (فم أو بق الأسد) الذى ما كاد يصل اليه حتى أستسلم له من فيه من الأحياء ؛ بشرط أن يبقى على حياتهم . وكان بالقصر عدد كبير من السيدات ذوات المكانة الرفيعة ؛ واللاتى أعتصمن بالحصن ؛ فكانت هناك أخت ملك فرنسا[١] التى كانت أمبراطورة ؛ وأخت ملك المجر[٢] التى كانت أمبراطورة كذلك ؛ وزمرة كبيرة من السيدات الأخريات . وأنا لا أستطيع أن أتحدث جيدا عما وجد فى هذا القصر من ثروة ؛ بلغت ضخامتها حدا جاوزت معه الحصر وفاقت العد .

وفى الوقت الذى أستسلم فيه هذا القصر للمركيز بونيفاس مونتفرات كان قصر بلا شر ناى أو بلا شيران Blachern قد أستسلم لهنرى أخى الكونت بلدوين فلاندرز ؛ وبشرط أن يؤمن كل من بداخله وعثر فى هذا القصر أيضا على ثروة لا تقل ضخامتها عن مثيلتها فى قصر بوكليون . وقامت كل جماعة بحراسة القلعة التى أستسلمت لها ؛ والمحافظة على ما بها من ثروة ؛ كما وقع فى أيدى الجماعات الأخرى التى أنتشرت عبر المدينة

---

(١) يقصد بملك فرنسا فيليب أوغسطس، كانت أخته زوجة للامبراطور الكسيوس الثالث

(٢) وهى مرجريت وكانت قد تزوجت من اسحاق الثانى انجيلوس ثم تزوجها بونيفاس مونتفرات – قائد الحملة – بعد ذلك.

غنيمة كبيرة بلغ من وفرتها أن ليس فى أستطاعة أحد أن يخبرك بها كلـــها ؛ فهى ما بين ذهب وفضة ؛ وأوان وأحجار كريمة ؛ وزمرد وملابس من حرير ؛ وأثواب فاتحة وداكنة وفراء ؛ وكل شئ ثمين ومختار وغال علـــى وجـــه الأرض . ويشهد جوفرى فلـــهاردوان Geoffroy of Villehardouin- مارشال شمبانيا [١]-أنه لم يتهأ الحصول على مثل هذه الغنيمة الضخمة مـــن أية مدينة منذ أن خلق الله العالم .

وعسكرت كل كتيبة حيث أحبت لوفرة المساكن التى لا حصر لـــها والتى وجدها جيش الحجاج والبنادقة ؛ الذين أشتدت فرحتهم وراحوا يشكرون الله على النصر الذى منحهم أياه ؛ فقد أصبح فقـــراء الامـــس ينعمـــون الآن بالثروة ؛ والرفاهية والنعمة . وهكذا أحتفلوا بحد الســـعف ؛ وعيـــد الفصـــح (٢٥أبريل ١٢٠٤م) فى فرح وزهو بما أنعم الله عليهم ؛ ومجدوا السيد تمجيدا عظيما ؛ اذ لم يكن فى الجيش بأكمله أكثر من عشرين الف رجل فى سلاحهم ؛ وقهروا بمساعدة من الله وبعونه أربعمائة الف رجل او يزيدون ؛ فى أقـــوى مدينة فى العالم ؛ ويالها من مدينة عظيمة شديدة التحصين .

تقسيم الغنائم والأسلاب

وبعد ذلك أمر المركيزبونيفاس مونتفـــرات القـــائد العـــام للجيـــش والبارونات ؛ ودوج البندقية ؛ بان ينادى فى الجيش بوجوب جمع كل الغنـــائم التى أستولوا عليها ؛ ووضعها فى مكان واحد ؛ وذلك تنفيذا للاتفـــاق الـــذى توثق باليمين ؛ وخوفا من قرار الحرمان ؛ وعينوا ثلاث كنائس تجمـــع فيـــها

---

(١) أنظر التعريف بالكاتب فيما يلى :

الغنائم وتناوب حراستها والمحافظة عليها أفضل من وجـــد مـــن الفرنســـيين والبنادقة .

ثم شرع كل واحد فى أحضار ما أســـتولى عليـــه مـــن الغنيمـــة ؛ وضموها بعضها الى بعض ؛ وقد صدق بعضهم فأوفى بما طلب منه ؛ علـــى حين لم يخلص البعض الآخر لأن الطمع ؛ الذى هو أساس كل شـــر ســـيطر عليهم ؛ وأعاقهم عن جادة الحق ؛ فأخفوا بعض الذى أستولوا عليه ومنـــذ ذلك الحين قلت محبة السيد لهم .

يا الله ماكان أوفى سلوكهم ؛ وأخلص نواياهم حتى هذه اللحظة لقـــد أظهرهم الله ونصرهم فى كل ما أقدموا عليه من أفعـــال وكـــاد أن يمجدهـــم ويرفعهم فوق كل الناس. ولكن طالما تحمل الصالحون أخطاء الاشرار.

جمعت الغنائم بعضها مع بعض، ويجب أن تعلم أنها لم تجمع كلـــها أو لم تحضر إلى المخزن العام فقد احتجزت منها واخفيت كمية ليست بالقليلـــة، على الرغم من قرار الحرمان البابوى. وبعد أن جمع فى الكنائس ما جمـــع، قسم قسمين متساويين بين الفرنجةوالبنادقة طبقاً للعهد الذى اقســـموا عليـــه. ويجب أن تعلم أن الحجاج دفعوا للبنادقة من حصتهم التى حصلوا عليها بعـــد التقسيم – خمسين الف قطعة فضية، ثم قسموا بينهم وبين جماعتهم ما لا يقـل عن مائة الف قطعة فضية. فهل تريد ان أخبرك بحكمة هذا الأمر؟

لقد اعتبر كل اثنين من المشاة معادلين لراكب الجواد، واعتبر كل واحد من الفرسان معادلاً لراكبى جوادين. ويجب أن تعلم أنه لم يتسلم أحد ما، مهما علت مرتبته أو عظمت أعماله أكثرمما قرر له وما اتفق عليه، فإن وجـــدت

غير ذلك فمرجعه إلى أحد أمرين : أما أن ذلك كان بترتيب خـاص، أو أنـه توفر له عن طريق السرقة.

وأعلم أن العدالة أخذت مجراها ازاء من ادينوا بالسرقة، فقد شنق عدد غير قليل منهم، حتى أن كونت سانت بول شنق أحد فرسانه وعلق درعه فـي رقبته لاحتجازه بعض الغنائم وعدم رده اياها.على أن ذلك لم يمنع الكثير مـن كبار المحاربين وصغارهم على السواء من اخفاء بعـض الاسـلاب دون أن يعرف أحد ابداً. وعليك أن تثق فى أن الغنيمة التـي جمعـت كـانت بالغـة الضخامة، ولولا أن امتدت إلى جزء منها يد السرقة، ولـولا الجـزء الـذى اعطوه للبنادقة لبلغت قيمة الاسلاب ما لا يقل عن اربعمائة الف قطعة فضيـة وعشرةالاف حصان. وهكذا قسمت اسلاب القسطنطينية كما سمعت.

التعليق

اولاً:كاتب النص

كاتب هذا النص هو جوفرى فلهاردوان ، وَلد فى اسرة فرنسية نبيلـة، عرفت باسم اسرة (فلها ردوان) نسبة إلـى قلعـة بـهذا الاسـم فـى اقليـم "تروىTroyes" فى شمبانيا بفرنسا، وقد بلغت هذه الأسرة منزلة من الـثراء لا بأس بها، وكان أبوه من النبلاء فى اقليم شمبانيا يمتلك شأن سائر اقطـاعى تلك العصور ارضاً واسعة يعيش عليها هو وأبناؤه، وتدر عليهم دخلاً يكفـل لهم حياة ناعمة مترفة.

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد سنة ميلاد فلـــها ردوان، وأن اتفــق اكثرهم فى أنها تقع بين عامى ١١٥٠-١١٥٤م وذهب فريق آخر إلى القــول بأنه ولد فى عام ١١٦٠م. واتصف بعدة صفات منها أنه كان مدللا، مترفـــا، يقضى وقته فى سماع الشعر الغنائى، ويمارس رياضة ركوب الخيل واعمــال الفروسية كالمبارزة واللعب بالسيف، ومن ثم فقد تربى وفيه ميل للحـــروب، وكان يهدف من وراء ذلك كله أن يصبح تابعاً اقطاعياً أو فصلاً. وقد عمـــل كفصل اقطاعى لدى سيد يدعى "ثيبوت" كونت شمبانيا، الذى اغدق عليه مــن عطفه ورعايته الشئ الكثير، وجعله رسولاً له إلى البابا والى البندقية، وعينــه قائداً لعسكره؛ وولاه وظيفة "مارشال شمبانيا" فى عام ١١٨٥ م.

ومهمة المارشال هى اقرار النظام بين الأمراء الاقطاعيين الذين يجاور بعضهم بعضاً، خاصة وأن طبيعة هذا العصر كانت تجعــل الحــروب بيــن هؤلاء الأمراء هى سنة الحياة، كما أن المارشال يتولى أمور الجند المرتزقــة، وهو المسئول عن المراسم والتشريفات فى حفلات القصر.

واحتل فلها ردوان مكانة كبيرة عند ثيبوت كونت شمبانيا فقد كان نــافذ الكلمة، مهابا رغم صغر سنه، وكان الكونت يقدمه على غيره ، وليـــس ادل على ذلك من أنه كان نائبه فى المفاوضات ، التى اجراها الكونت مع فيليـــب اغسطس ملك فرنسا، الذى كانت تربطه بالكونت صلة القرابة ، كما أن ثيبوت اتاح له فرصة التعرف على النبلاء وكبار البارونات وغيرهم من ذوى المكانة فى المجتمع الفرنسى بل وفى البلاط الملكى ذاته.

كذلك وثق الكونت ثيبوت فى فلها ردوان ثقة كبيرة، فبعـــد أن عيــن الكونت قائداً للحملة الصليبية الرابعة، جعل فلها ردوان احد الرسولين اللذيــن

اختارهما لينوبا عنه فى السفارة التى اوفدها الصليبيون لمفاوضة البندقية فـــى نقل آلاف المحاربين إلى الشرق على أثر الدعوة للحملة الصليبية الرابعة.

وشارك فلها ردوان فى الحملة الصليبية الرابعة فى مراحلها المختلفـــة من البداية وحتى قيام الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية، وبلغ فلهاردوان ذروة النفوذ فى السنوات الأولى من عهد الامبراطورية اللاتينية فقد اختـــاره امبراطورها بلدوين فلاندرز مارشالا للامبراطورية، ومن ثم أصبح مســئولاً عن معظم شئونها السياسية والعسكرية، فيرجع إليه الفضل فى انقاذ الجيـــش اللاتينى فى ادريا نوبل او ادرنه عام ١٢٠٥ م من أنياب البلغار، كذلك هـــو صاحب اليد الطولى فى حل النزاع الذى نشب بيــــن الامــبراطور بلدويــن فلاندرز وبونيفاس مونتفرات، واعاد بذلك الهدوء إلى الامبراطورية اللاتينيـة، بعد أن كاد النزاع يفتك بها وهى لا تزال فى المهد.

وترجع أهمية مذكـــرات فلـــهاردوان والتـــى تحمـــل عنـــوان "فتـــح القسطنطينية La conquête de Constantinople والتى منها النص الـــذى بين ايدينا - إلى أنها ســـجل لاحـــداث الحملـــة الصليبيـــة الرابعـــة، وقيـــام الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية عام ١٢٠٤م، بقلم شاهد عيان، عـــاش أحداث الحملة يوم بيوم كرجل من أهم رجالاتها، وقائد من أهم قادتها.

ولمذكرات فلها ردوان جانب كبير من الأهمية ، فـــهى أول مذكـــرات تاريخية بالنثر الفرنسى، وهى تعد واحدة من نفائس اللغة الفرنســـية القديمـــة، اتصفت بغزارة المعلومات، ودقتها وصحتها وضبطها، بالإضافـــة إلـــى مـــا اتسمت به من سمات الكتابة التاريخية من وضوح واعتدال مما جعلها تقـــف

فى مصاف روايات مشاهير الفرسان الذين رووا ما فعلـــوه امثـال قيصـر وغيره.

ولكن يؤخذ على فلها ردوان انه لم يذكر شيئاً عـــن العوامـل التـى ساهمت فى تحول الحملة الصليبية الرابعة وانحرافها نحو القسطنطينية وكأنما الحوادث وحدها هى التى وجهت خطى الصليبيين دون إرادة ، ودون تدبير.

كما يؤخذ عليه ميله الشديد إلى البندقية، ودفاعه الكبـير عنـها كلمـا سنحت الفرصة، ويبدو من خلال كتابه، أنه كان كبير الاعجاب بدوجها هنرى داندولو، وبهمته وحكمته وصدق نواياه.

ومع ذلك كان فلها ردوان عف القلم، عف اللسان، لم ترد كلمة كـافر على لسانه، كما اعتاد المؤرخون الصليبيون عندما يتحدثون عن من يخالفوهم فى المذهب، كما انه لا يزيد عن وصف اعداء الصليبيين مـــن البـيزنطيين والبلغار والكومان عن كلمة "القساة" وبالتالى فقد سلك منهجاً علميـاً مغـايراً لكتاب الحروب الصليبية، اتسم بالبعد عن التعصب.

ومن الجدير بالذكر أن فلها ردوان املى تاريخه، وهو فى الستين مـــن عمره فى مدينة القسطنطينية فى سبتمبر من عـــام ١٢٠٧م، وكـان مـوت المركيز بونيفاس مونتفرات قائد الحملة الصليبية الرابعة هو الحدث الذى انهى به مذكراته. وإذا كان الناس قد اختلفوا فى تاريخ مولد فلها ردوان فقد اختلفوا فى تاريخ وفاته، وأن كان أكثرهم يجمع على انه مات فى عام ١٢١٢م.

ثانيا:التعليق على النص "سقوط القسطنطينية ١٢٠٤م"

تدور أحداث هذا النص حول الحملـــة الصليبيــة الرابعــة وســقوط القسطنطينية فى ايدى الصليبيين عام ١٢٠٤م.

فى البداية لابد من التعرف على أحوال الدولة البيزنطية قبيل مجـــئ الحملة الصليبية الرابعة، كان على راسها فـــى ذلـك الحيـن الامــبراطور الكسيوس الثالث (١١٩٥-١٢٠٣م) وقد انغمس فى اللهو والترف مما اتـــاح الفرصة لرجال البلاط للتدخل فى شئون الامبراطوريـــة لخدمـــة مصالحـــهم واغراضهم الشخصية، كذلك اسرف الامبراطور الكسيوس الثالث فى الانفـاق على ملذاته وشهواته، فتجاوز الحدود المعقولة للانفاق، وكانت النتيجة زيـــادة الضرائب، واصدار سكة ناقصة العيار بل والاستيلاء على كنوز الكنائس.

وعانت الامبراطورية من ضعف قوتها العسكرية ســـواء الجيــش ام الاسطول، واعتمدت على المرتزقة، الذين عجزت الامبراطورية عـــن دفــع رواتبهم ، فتمردوا عليها بعد أن كانوا اداتها فى الحرب والقتال. كمــا بــدأت الامبراطورية تعتمد على اساطيل البندقية فى الدفاع عـــن ســواحلها مقــابل الامتيازات التجارية العديدة التى حصل عليها البنادقة فى العاصمة، وفى عـدد من مدن الامبراطورية وجزرها. مما فتح الطريق أمامهم للسيطرة على تجارة الامبراطورية بل واحتكار جميع الاعمال التجارية فى سائر الاقـــاليم التابعــة لها.

هذا إلى جانب الاخطار الخارجية خاصة خطر البلغار الذيـــن اعلنــوا التمرد على بيزنطة بعد الخضوع لها منذ عام ١٠١٨م فى عهد باسل الثـانى،

واقاموا امبراطورية بلغارية ثانية على حساب بيزنطة ، إلـى جـانب تـهديد هنرى السادس الامبراطور الالمانى لالكسيوس، وارغامه على دفع ضريبـة لشراء السلام، وهى الضريبة التى اطلق عليها اسم "ضريبة الالمـان" التـى انهكت خزينة البلاد، وحملتها فوق طاقتها، ولم تتخلص بيزنطة منها الا بوفاة هنرى السادس عام ١١٩٧م. على أن موت هنرى السادس لم ينقذ بيزنطـة، فقد ظهرت فى الغرب فى ذلك الحين فكرة الحملة الصليبية الرابعة.

اعتلى البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) العرش البابوى فى يناير ١١٩٨م، وضع لنفسه وللكنيسة وللبابوية برنامجاً ضخمـاً يتضمـن تقويـة البابوية ،ومحو الانتصارات التى حققها صلاح الدين فى الشرق، واسـترداد مدينة بيت المقدس مرة أخرى من ايدى المسلمين، وهذا لا يتحقق الا بـالدعوة لحملة صليبية جديدة، لذلك راح البابا يدعو لهذه الحملة المعروفة فى تـاريخ الحملات الصليبية "بالحملة الصليبية الرابعة".

ولبى نداء البابا عدد كبير من رجال الدين والفرسان والبارونات وعلى رأسهم "ثيبوت الثالث Thibaut III" ، كونت شمبانيا، الـذى عيـن قـائداً للحملة، وبلدوين كونت فلاندرز واخوه هنرى،والمؤرخ فلها ردوان، والمركيز بونيفاس مونتفرات وغيرهم كثيرين.

وكانت مصر هى هدف الحملة منذ البداية فـهي علـى حـد تعبـير المعاصرين "قلب الأحداث" . وتم الاتفاق على الوصول إليها بحراً. لذلك كـان من الضرورى توفير السفن اللازمة لنقل الصليبيين على متنها إلـى مصـر، ومن أجل ذلك ارسل قادة الحملة ستة من فرسانهم للسفر وعقـد اتفـاق مـع المدن الايطالية لهذا الغرض، وكان فلها ردوان هو أحد هؤلاء الفرسان الستة.

وتوصل هؤلاء السفراء إلى عقد اتفاق مع دوج البندقية – هنرى داندولـــو ، نص على أن تقدم البندقية السفن اللازمة لنقل جند الحملة إلى مصـــر، مـــع تزويد الحملة بعدد من السفن الحربية المسلحة مقابل ٨٥ الـــف مـــارك، وان يكون للبندقية نصف ما تفتحه الحملة من ارض سواء فى البر أم فى البحـــر. ووافق الطرفان على هذه الاتفاقية وصدق عليها فى عام (١٢٠١م).

وبعد توقيع الاتفاق مع البنادقة مات قائدة الحملة ثيبوت كونت شـمبانيا، فاشار فلهاردوان بتعيين بونيفاس مونتفرات قائداً بديلاً، وتحولت القيادة بذلك من قائد فرنسى هو ثيبوت إلى قائد ايطالى هو بونيفاس .

وبدأت جموع الصليبيين تتوافد على البندقية استعداداً للخـــروج إلـــى الشرق، عندئذ طلب هنرى داندولو من الصليبيين دفع أو سداد ثمـــن الســفن وعجز الصليبيون عن سداد المبلغ كاملاً، واصر الدوج على عـــدم مغـــادرة الصليبيين البندقية الا بعد السداد، وكان المبلـــغ المتبقـــى عليـــهم (٣٤ الـــف مارك). وأمام عجز الصليبيين اقترح عليهم دوج البندقية ان يســـاعدوه فـــى استرداد مدينة زارا على ساحل دالماشيا المقابل للادرياتيك – والتى انتزعـــها منه ملك المجر ، مقابل اعطائهم مهلة يستطيعون خلالها تدابير ما عليهم مـــن أموال أو يدفعوا الباقى من الغنائم التى سوف يحصلون عليها.

وقبل الصليبيون اقتراح الدوج واتجهوا نحـــو زارا – وهـــى مدينـــة مسيحية وضربوا عليها الحصار ، واضطر اهلها للتسليم. وبينما هم فـــى زارا جاءتهم سفارة من الامير البيزنطى الكسيوس انجيلوس – الذى لجأ إلـــى زوج اخته فيليب السوابى امبراطور المانيا طالباً عونه ومساعدته فـــى اســترداد

عرش ابيه المغتصب –وأرسل فيليب الي الصليبيين يطلب منهم مساعدة الكسيوس، وعرض عليهم الكسيوس مقابل ذلك:

- وضع الامبراطورية البيزنطية تحت سيادة كنيسة روما.
- أن يدفع لهم مائتى الف مارك.
- أن يمد قوات الحملة بالمؤن اللازمة لمدة عام، وأن يرافق الصليبيين إلى القاهرة ومعه عشرة الاف جندى.
- وأن يجهز فرقة مكونة من خمسمائة فارس للعمل كحراس دائمين فى الاراضى المقدسة.

وقبل الجميع العرض، واتجهوا على الفور نحو القسطنطينية متناسين الهدف الاساسى للحملة .

ابحرت الحملة وفى معيتها الامير الشاب الكسيوس من زارا إلى القسطنطينية،ووصلت العاصمة البيزنطية عام ١٢٠٣م، وضربت عليها الحصار وعجز الامبراطور الكسيوس الثالث المتربع على العرش عن التصدى لهجمات الصليبيين ، فقرر الهرب من المدينة ودخل الصليبيون القسطنطينية ونصبوا الامير الكسيوس الرابع فى كنيسة آيا صوفيا، واعادوا ابيه السجين إلى العرش ثانية وهو اسحاق الثاني انجليوس. وحاول الكسيوس الرابع وابيه الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه للصليبيين ، ففرض اعباء مالية جديدة على الأهالى ، فقاموا بالتمرد والثورة،وخلعوا الكسيوس الرابع ومات أبوه حزناً وكمداً، وتوجوا الكسيوس (الخامس) الذى ارسل رسالة إلى الصليبيين – وهم على ابواب المدينة – يطلب منهم الرحيل عن بلاده خلال اسبوع ، ولكن رفض الصليبيون ان يرفعوا الحصار عن المدينة.

وعقد الصليبيون والبنادقة اجتماعاً فى مارس ١٢٠٤م لاعـــداد العـــدة والاستيلاء على القسطنطينية وتوزيع غنائمها واسلابها. وعقب هذا الاتفـــــاق هاجم الصليبيون والبنادقة المدينة وتمكنوا من اقتحامها، وهـــرب الكســيوس الخامس بعد أن تصدى لهم هو وشعب العاصمة بكل ما اوتوا من قوة.

ودخل الصليبيون والبنادقة مدينة القسطنطينية (١٢ ابريل ١٢٠٤م) تلك المدينة التى ظلت صامدة قوية أمام المسلمين والافار والبلغار، لذلـــك يعتـــبر المؤرخون هذا الحدث هو الاول من نوعه فى تاريخها منذ أن وضع اســـــها وقواعدها الامبراطور قسطنطين العظيم ٣٣٠م.

وشرع الصليبيون فى نهب العاصمة البيزنطية، فلم يقع بصرهم علــــى تحفة أو ثروة الا نهبوها، ولم يتركوا أثراً فنياً أو ادبياً الا افسدوه، حتى شـــبع منهم من كان جائعاً، واغتنى من كـــان فقـــيراً. وراحـــوا يقتلـــون الاطفـــال ويغتصبون النساء، وينتهكون الحرمات، حتى الكنائس، والاديرة لم تسلم مـــن أيديهم، وليس أدل على ذلك مما فعله الصليبيون بكنيسة آيا صوفيا، فقد مزقوا النقاب العريض الذى كان يغطى المذبح ، وحطموا المذبح ذاته وكسروه إلـــى قطع صغيرة، وزعوها فيما بينهم، وداس العساكر السكارى باقدامهم الكتـــــب المقدسة، وحولوا الايقونات إلى مناضد للقمار، وتناولوا الشـــراب فـــى آنيـــة المذبح، ووضع هؤلاء الجنود السكارى – كما يروى المؤرخ البيزنطى وشاهد العيان نيقتاس خونياتس – احدى العاهرات على كرسى البطريرك فى كنيســـة ايا صوفيا وامروها أن تغنى اغانى فرنسية بذيئة، وترقص رقصـــات خليعـــة أمام المذبح السامى، وقد وصفها هذا المؤرخ بأنها "وزيرة الفســـاد، وخادمـــة الجن والشيطان".

والنص الذى بين ايدينا يعرض لدخول الصليبيين القصر الامبراطورى وما به من ثروات وكذلك الغنائم التى حصلها عليها الصليبيون والبنادقة مـــن القسطنطينية ومدى وفرتها وتنوعها بين "ذهب وفضة واوان وأحجار كريمـــة وزمرد وملابس من حرير، وأثواب فاتحة وداكنة وفراء، وكل شـــئ ثميـــن وغال ومختار على وجه الأرض". كذلك يشهد فلها ردوان على ضخامة هــذه الغنيمة فيقول "أنه لم يتهيأ الحصول على مثلها من اية مدينة منــــذ ابـــرأ الله العالم".

قرار الحرمان ضد فردريك الثانى
فى مجمع ليون ١٢٤٥م

مقدمة الترجمة :-

كان البابا أنوسنت الرابع صديقا للامبراطور قبل أن ينتخب كبابا؛ ثم أنقلب عليه بعد ذلك؛ رغم أن فردريك كان معجبا به وأصدر قرار الحرمان ضده. ولم يكن قرار الحرمان هذا جديدا بالنسبة للامبراطور؛ ولكنه كان أخر قرار يصدر ضده؛ لأنه مات فى عام ١٢٥٠م

نص الترجمة :

لخص البابا أنوسنت جهود البابوات من أجل الحفاظ على السلام بين الكنيسة والأمبراطور؛ وأسهب فى الحديث عن خطايا الأمبراطور؛ وبعد أن اتهمه بالجرائم الخاصة بحلف اليمين الكاذبة؛ وشهادة الزور؛ وتدنيس المقدسات؛ والهرطقة والظلم والطغيان. تابع حديثه على النحو التالى :-

وبناء على ذلك وبسبب جرائمه السالفة الذاكر وخطاياه البشعة؛ وبعد ترو ومداولات متأنية مع أخوتنا؛ وبأسم المجمع المقدس تقرر أنه غير أهل لأن يكون نائبا للسيد المسيح على الأرض؛ أما عن كيفية معرفة ذلك فقد جاء علي لسان شخص الحوارى بطرس الرسول " أى شئ سيكون ملزم على الأرض؛ يكون ملزما فى السماء". وعلى ذلك فنحن نعلن أن الامبراطور المذكور ملزم بخطاياه؛ ومرفوض من السيد المسيح؛ وأنه يحرم من كل شرف؛ واكثر من ذلك فنحن نجرده بمقتضى هذا القرار من نفس الشئ؛ لأنه جعل نفسه لا يستحق حكم مملكته؛ وكذلك فأنه غير جدير بأى شرف أو رفعة

أو تبجيل واحترام، وعلى هذا يرفضه الرب فلا يجب أن يحكم أو يمـــارس السلطة وذلك بسبب ظلمه. ونحن نحل ـــ بسلطتنا الرسولية كل من أقسموا له يمين الولاء والطاعة والإخلاص ـــ من هذا اليمين.

كذلك نمنع تمامًا أي شخص من أن يعلـــن لـــه الطاعـــة أو يعتبـــره إمبراطورًا أو ملكًا.

وليقيم هؤلاء المسئولون عن اختيار ملك جديد بالبدء في عملهم بحرية تامة، ويبدأون الانتخاب، وسوف نوجه اهتمامنا وعنايتنا لأعداد مـــا يبـــدو مناسبًا لنا ولمملكة صقلية بمساعدة أخوتنا الكرادلة في المجمع.

التعليق على النص

حرمان فردريك الثاني في مجمع ليون ١٢٤٥

شهد غرب أوربا في العصور الوسطى نزاعًـــا حـــادًا بـــين البابويـــة والإمبراطورية امتد من عام ١٠٧٥م وحتى عام ١٢٥٠م تقريبًا؛ وقد مـــر هذا النزاع بأدوار ومراحل عديدة، ومهما تعددت الأسباب التي أدت إلى إثارة الحرب بين الطرفين في كل دور فإن السبب الحقيقي وراء هذا النزاع هـــو السمو والتنافس بين السلطتين الدينية والعلمانية حول سيادة العالم المسيحي.

وكان بطل الدور الثالث من أدوار هذا النزاع هو الإمبراطور فردريك الثاني الذي ساعدته البابوية في الحصول على عرش الإمبراطورية والقضاء على خصمه أوتو الرابع سنة ١٢١٤م بعد أن سعى أوتو إلى ضـــم صـــقلية ووضعها تحت سيادته بدلاً من سيادة البابوية، وقامت البابوية بتتويج فردريك إمبراطورًا في عام ١٢١٢م، وفي عام ١٢١٣م أرسل فردريك الثاني رسالة تأييد للبابا أنوسنت الثالث أعرب له فيها عن : اعترافه بالسمو البابوي، ودعم البابوية في مواجهة خصومها، والتخلي عن عرش صقلية، دون أن تدري أن هذا الإمبراطور الجديد؛ الذي جمع في قبضته بين عرش ألمانيا والصـــقليتين سيكون أخطر خصم لها في الغرب، ذلك لأن فردريك لم يكـــد ينتهـــي مـــن مشاغله في ألمانيا حتى اتخذ إيطاليا وصقلية مسرحًا، لجهـــوده، ممـــا أثـــار

مخاوف البابوية على حقوقها في إيطاليا، وزادت مخاوفها عندما علمــت أن فردريك لن يكتفي بصقلية وجنوب إيطاليا، وإنما أخذ يعمل على توطيد نفوذه في شمالها أي في لمبارديا، وإن ظل حريصًا على احترام مركــز البابويــة وحقوقها، ورغم ذلك فإن البابوية كانت تنظر لفردريك بعين الشك والريبــة والخوف، وأصدرت البابوية ضده ثلاثة قرارات حرمان في أعوام ١٢٢٧م، ١٢٣٩م، والأخير موضوع هذا النص صدر في عام ١٢٤٥م.

قرار الحرمان الأول ضد فردريك ١٢٢٧م :

كان فردريك قد وعد البابا أنوسنت الثالث عام ١٢١٥م بالقيام بحملــة صليبية إلى الشرق بعد فشل الحملة الصليبية الرابعة، ولكنه اخذ يماطل فــي الخروج على رأس الحملة، كــذلك وعــد البابويــة بفصــل صــقلية عــن الإمبراطورية ولكنه توج ابنه هنري السابع ١٢٢٠م ليخلفــه علــى عــرش صقلية والإمبراطورية مما ضايق البابوية وأفزعها، لأن ذلك كــان يخــالف العهد الذي قطعه فردريك على نفسه، هذا وإن كانت ذريعة فردريك في ذلك أن يقوم ابنه بتسيير أمور ألمانيا والإمبراطورية في فترة غياب أبيــه فــي الشرق الذي كان مقرر أن يخرج على رأس حملة إلى الشرق.

وقد حاولت البابوية تشجيع فردريك الثاني على الخروج إلى الشــرق وذلك بزواجه من الأميرة يولاند وريثة مملكة بيت المقدس لتجعل له مصلحة في الذهاب إلى الأراضي المقدسة واسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين (١٢٢٥م) ومع ذلك لم يخط فردريك خطوة إيجابية لتحقيق هدف البابوية في الخروج بالحملة.

وظل الحال على ذلك حتى ارتقى عرش البابوية البابــا جريجــوري التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) الذي لم يقبل أعذار فردريك في عدم الخروج إلى الشرق، وأرغمه على الخروج إلى الشرق، وبالفعل أبحر فردريك الثاني على رأس حملة صليبية من ميناء برنديزي، ولكنه ما لبث أن عاد ثانية بعد أيــام مدعيًا المرض، ولم يقبل البابا عذره، عندئذ أصدر البابا جريجــوري ضــده

قرار الحرمان الأول في سبتمبر عام ١٢٢٧م، ليس فقط بسبب تقاعسه عن الخروج إلى الشرق بل لسياسته الرامية إلى ضم صقلية إلى التاج الألماني.

قرار الحرمان الثاني (مارس ١٢٣٩م) :

كان الإمبراطور فردريك الثاني قد عقد معاهدة مع السلطان الكامل الأيوبي في ٢٢ ربيع الأول ٦٢٦هـ/١٨ فبراير ١٢٢٩م، وحصل بمقتضاها على مدينة بيت المقدس؛ باستثناء منطقة الحرم على أن تظل أسوارها خربة؛ خالية من وسائل الدفاع والحماية، وهي المعاهدة المعروفة باسم "اتفاقية يافا". وعندما عاد فردريك إلى أوربا وجد البابوية، قد استولت على ممتلكاته في جنوب إيطاليا، كما أخذ البابا يحرض أتباعه عليه. ومع ذلك لم يجد البابا مفرًا من الاعتراف بما حققه فردريك من نجاح في الشرق، لذلك عقد صلح سان جرمانو في عام ١٢٣٠م ورفع قرار الحرمان مقابل تعهده بحماية أملاك البابوية والاعتراف بحق البابوية في السيادة على صقلية.

وقد شجع ذلك البابوية وعلى رأسها البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) على الدعوة لحملة صليبية جديدة لحاجة بيت المقدس إلى مساعدة عسكرية، خاصة وقد أوشك أجل معاهدة يافا على الانتهاء. ويرى البعض أن دعوة البابا جريجوري التاسع لهذه الحملة قصد بها أيضًا أن تكون أداة لنضال البابوية ضد فردريك الثاني والمسلمين، لإدراكه التام أن فردريك لن يعمل من أجل تخليص الأراضي المقدسة من أيديهم.

بدأ البابا دعوته للحملة بأن أرسل إلى فرنسا وإنجلترا وسائر الأماكن المسيحية الأخرى يحث أهلها على إنقاذ الصليب فيما وراء البحار، ولم يكن كل من ملكي إنجلترا وفرنسا مستعدًا لأن يستجيب لنداء البابا، ومع ذلك فقد بذل للدعاة كل تشجيع وتأييد.

واستجاب لدعوة البابا جريجوري نخبة من زهرة فرسان فرنسا وأمرائها ونبلائها وفي مقدمتهم ثيبو الرابع Thibaut IV كونت شمبانيا (أهم كونتيات فرنسا وأغناها) وملك نافار الذي ألت إليه قيادة هذه الحملة، وشرع أمراء

فرنسا المشتركين فى الحملة فى اتخاذ الأستعدادات اللازمـــة للرحيــل الـــى الشرق.

وعندما أقترب وقت الرحيل؛ تلقى الصليبيون رسالة من الامبراطور فردريك فى ١١ فبراير عام ١٢٣٨م يؤكد لهم فيـــها أســتعداده لمشـــاركتهم ومساعدتهم بكل قوته اذا أجلوا رحيلهم لمدة عام وعقد الصليبيـــون اجتماعـــا وقرروا فيه " أنهم سوف ينتظرون عاما أخر من أجل الحصول على مســاعدة كبيرة برا وبحرا من أمير مثل أمــبراطور المانيا؛ رغم الخسائر التى سوف تحل بهم وبباقى الصليبيين " كما يقول صاحب تتمة وليم الصورى.

والحقيقة أنه لم يكن فىاستطاعة صليبى نافار سوى الانتظار لأنـــهم كانوا فى حاجة ماسة الى مساعدة الأمبراطور فردريـــك اذ كـــانت موانـــى الرحيل الى الشرق وأهمها ميناء برنديزى تحت سيطرته؛ ولابد وأن يحصلـوا منه على أذن بالعبور مع عدد من التسهيلات للمرور عبر أرضيه؛ كمـــا أن فردريك كان حاكما على عرش مملكة بيت المقدس بحكم وصايته على أبنـــه القاصر كونراد. ومن ثم فان تنظيم أية حملة صليبية لمساعدة تلك المملكة كان لابد وأن يخضع لأشرافه و سلطته.

وكتب الأمبراطور فردريك للبابا جريجورى (في ٧من ديسمبر ١٢٣٨م) يخبره بأنه لا يستطيع أن يمد الصليبيين بالمساعدة قبـــل أن يمضـــى عـــام، وعندما يأتى الوقت المحدد سوف يقدم لهم أية مساعدة؛ وأنه يرغب فى حقيقة الأمر أن يقودهم بنفسه أو يرسل أبنه كونراد كنائب عنه. أما الان فمشـــاغل الأمبراطورية تمنعه من المخاطرة. ويبدو أن البابا لم يكن راضيا عـــن هــذا التأجيل.

وخاب أمل الصليبيين؛ فبعد أن أنتهى العام وأقترب موعـــد الرحيـل الجديد تلقى الصليبيون رسالة أخرى من فردريك أخبرهم فيها هذه المرة أنـه كان مشغولا للغاية؛ وأنه غير مستعد للخروج معهم؛ ،واذا أرادوا مشـاركته فلينتظروا عاما أخر؛ وسوف يذهب معهم بكل تأكيد؛ ولكن رفض الصليبيـون الأنتظار هذه المرة ، وقرروا الرحيل الى الشرق لأنهم أدركوا أن فردريـك يهدف من وراء التأجيل عدم الخروج لمحاربة المسلمين فى الشرق لصداقتـه لهم.

ويبدو أن ما منع فردريك من الأستمرار فى مشروعه هو تجدد الصراع بينه وبين البابا جريجورى التاسع؛ الذى أصدر ضده قرار الحرمان الثانى فى مارس ١٢٣٩م لأسباب من أهمها ما جاء فى البند السادس عشر من مرسـوم تحريمه ونصه : " نوقع عليه قرارا الحرمان واللعنة لأنه حال دون اســترداد الأراضى المقدسة وأرض الامبراطورية الرومانية وهذا يؤكد عـدم رضـى البابا عن فردريك لمحاولته ارجاء خروج الحملة الصليبية الى الشرق؛ كمـا يوضح أن الصراع بين البابا والأمبراطور أصبح على أشـده؛ ممـا يجعلنـا نلتمس لفردريك العذر فى الخروج الى الشرق.

القرار الثالث ١٢٤٥ :-

ورغم أصدار البابوية لقرار الحرمان الثانى ضد فردريـك الا أنـه واصل الصراع معها فى ايطاليا؛ فهاجم الأراضى والمدن الموالية للبابا فـى وسط ايطاليا؛ وأستولى على عدد منها وخاصة المدن القريبة من روما ، ولـم ينقذ البابا سوى بقاء أهالى روما على ولائهم له. وأخيرا لم يجد البابا وسـيلة لاحراج مركز فردريك فى أوربا كلها سوى عقد مجمع دينى فى روما يشترك

فيه كبار رجال الدين بالغرب لانزال اللعنة بالامبراطور.

ولكن حال الامبراطور بين رجال الدين وبين حضور المجمع البابوى بفضل مساعدة المدن البحرية الأيطالية وعلى رأسها بيزا. وقد أستطاعت هذه القوة البحرية أن تتصيد سفن جنوه ، التى كانت معدة لنقل الأساقفة القادمين لحضور المجمع؛ وأسر أعداد كبيرة منهم مما أدى الى فشل مشروع البابا؛ وما لبث البابا جريجورى التاسع أن توفى فى نفس العام ١٢٤١م.

وأرتقى عرش البابوية البابا (أنوسنت الرابع) الذي صمم على مواصلة سياسة جريجورى التاسع تجاه الامبراطور؛ مما جعل الأخير يهاجم أراضى البابوية من جديد حتى أضطر البابا للفرار من روما عام ١٢٤٤م الى جنوه ومنها الى فرنسا؛ حيث عقد مجمعا دينيا فى مدينة ليون سنة ١٢٤٥م لبحث المشاكل الكبرى التى تواجه الكنيسة؛ وعلى رأسها مسألة النزاع مع الامبراطور.

وقد قرر هذا المجمع عزل فردريك من منصبه على أن يختار من يحل محله فى هذا المنصب؛ مع اصدار قرار الحرمان الثالث ضده؛ ووجه له المجمع العديد من التهم ومنها :- تدنيس المقدسات والشهادة الزور والظلم والطغيان مما يجعله غير أهل لان يكون أمبراطورا ونائبا للسيد المسيح.

ولم تكتف البابوية بذلك؛ بل وجهت جهودها منذ عام ١٢٤٥م نحو المانيا لتنظيم عناصر المقاومة الداخلية ضد الامبراطور؛ وبذل البابا جهودا مكثفة للحيلولة دون قيام أمبراطورية متصلة تمتد من المانيا شمالا وحتى صقلية جنوبا مما يهدد البابوية تهديدا خطيرا؛ ولكن أنتهت مساعيه بالفشل.

وأستمر الصراع حتى توفى فردريك الثانى فى عام ١٢٥٠م.

الموت الاسود ١٣٤٨م

مقدمة الترجمة

تظهر النبذ التالية من تاريخ هنرى كينجتـــون Henry Kinghton بعض الاثار التى ترتبت على الموت الأسود، ومع أنه كان صبيا حينما انتشــر الوباء واجتاح انجلترا، الا أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى ذاكرته. وقــد بلغ متوسط سكان اوربا الذين ماتوا خلال عامين نحو ثلث أو نصف ســكانها. وليس من الصعب أن نتصور الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية التـــى ترتبت على هذه الكارثة.

نص الترجمة

فى هذا العام (١٣٤٨م) والعالم التالى، كان هناك موت عام للناس فـــى كل أنحاء العالم. بدأ اولا فى الهند ثم انتقل إلى فارس القديمة Tharsis ثـــم للمسلمين والمسيحيين واليهود خلال عام واحد من عيد الفصـــح إلـــى عيـــد الفصح التالى.

مات – خلال يوم واحد فى افينون Avignon حوالى ٨١٢ شـــخص طبقا لاحصاء قدم إلى البابا . ومات حوالـــى ٣٥٨ مـــن الدومنيكـــان فـــى بروفانس فى الصوم الكبير، وتبقى فى مونبيليه سبعة من الاخوة فقـــط مـــن ١٤٩ وفى مارسيليا تبقى راهب واحد من الفرنسيسكان من ١٥٠ شخصا.

ثم اجتاح الطاعون المفجع السواحل من southampton وحتـــى بريســـتول Bristol حيث هلكت المدينة باكملها إذا اصابهم الموت المفاجئ، ولم يمكث

سوى القليل فى اسرتهم لاكثر من ثلاث أيام أو يومين أو حتى نصف يوم.

ثم انتشر الوباء فى كل مكان طلعت عليه الشمس، ومات أكثر من ٣٨٠ فى ليشيستر Leicester فى ابرشيه القديس لونارد Leonard الصغيرة، ومات أكثر من ٤٠٠ فى ابرشيه الصليب المقدس، ومات ٧٠٠ فى ابرشية القديسة مارجريت فى ليشيستر Leicester وكذلك مات عدد أكبر فى كل ابرشية.

وأرسل أسقف لينكلون Lincoln إلى كافة أرجاء اسقفيته، ومنح السلطة لكل قس سواء أن كان رجل دين أو علماني ليسمع الاعترافات ويسامح ويصفح بما للاسقف منسلطة كاملة الا فى حالة الدين . وعلى أية حال فإنه إذا ظل حيا فسوف يدفع ما عليه من دين بنفسه إذا كان قادرا، وبالتأكيد فإن الآخرين سوف يدفعون عنه هذا الدين من ممتلكاته بعد وفاته.

وبالمثل فقد منح البابا الغفران عن كل الذنوب والخطايا لكل من عفى عنه خلال فترة الوباء، ومنح هذا الغفران من عيد الفصح إلى عيد الفصح التالى. وعلى كل فرد أن يختار معترفه كما يرضيه.

وفى هذه السنة حدث طاعون كبير بين الماشية فى كل مكان فى المملكة، فقد مات فى مكان واحد اكثر من ٥٠٠ رأس من الماشية فى مرعى واحد، وتعفنت هذه الماشية حتى أن الطيور والدواب والحيوانات لم تمسها. ونظرا للخوف من الموت فقد انخفضت الأسعار فى كل مكان.. فمن كان لديه حصان واحد وكان يساوى من قبل اربعين ماركا أصبح بنصف مارك.

وهامت الماشية والدواب خلال الحقول وبين المحاصيل، ولم يوجد شخص واحد يهتم بأن يسوقها أو يجمعها، ومات من الماشية عدد غير

معروف فى الخنادق والأسوار فى أنحاء كل اقليم لقلة الرعاة، وكان هنـــاك بالمثل نقص فى الخدم والمساعدين، ولم يكن هناك شخص واحد يعرف مـــاذا يجب أن يفعل.

ومع أن العمال كانوا متغطرسين مغرورين الا أنهم لم يبالوا بأمر الملـك (بمنع الأجور المرتفعة) فكان إذا اراد أى شخص أن يســـتأجرهم فعليـــه أن يعطيهم ما يرغبون والا فقد محاصيله وفاكهته ولم يكـــن أمامـــهم ســـوى أن يسلموا لانانية العمال ورغباتهم المغال فيها.

وعلى أثر الطاعون سالف الذكر، سوى بالأرض عدد من المبـــانى الصغيرة والكبيرة فى جميع المدن والمقاطعات والقرى وذلك لنقص الســـكان وبالمثل هجر عدد من القرى والكفور، ولم يستبق على أى منزل بها لأن مـــن كانوا يعيشون فيها قد ماتوا، ومن المحتمل أن عددا من هذه القرى لم يســـكنها احد ابدا مرة ثانية.

التعليق على النص

الموت الاسود (الفناء الكبير)

الوباء الاسود

يعد الوباء أو الموت الاسود من اخطر الاوبئة التى تعـــرض لـــها العالم شرقه وغربه على حد سواء فى القـــرن الرابـــع عشـــر الميـــلادى . وبالتحديد خلال الفترة من عام ١٣٤٨- ١٣٥١م . كما كان من اشد الاوبئـــة التى فتكت بالبشرية فتكا إذ امتد أثره بحيث شمل اقاليم الدنيا كلها، بل وامتـــد أثره حتى شمل "الحيتان فى البحر وطير السماء ووحش البحر"، على حد

تعبير المصادر. كما راح ضحيته من الانفس البشرية ما يقرب من ٥٠% من سكان العالم، لذلك لا عجب أن اطلق عليه فى الغرب الاوربى اسم "المـــوت الأسود The Black death" وقيل أنه سمى بهذا الاسم كذلك لظـــهور بقـــع سوداء على جسم المريض نتيجة لحدوث نزيف تحت الجلد.

أما عن أول منطقة ظهر فيها هذا الوباء، فإنه ظهر أول ما ظهر فـــى المناطق المطلة على البحر الأسود، وكانت تلك المناطق تخضع لحكم مغـــول القفجاق (أو مغول القبيلة الذهبية)، وخاصة فى مدينة (كافـــا) المطلـــة علـــى البحر الاسود والميناء التجارى الهام لمغول القفجاق. ثم بدأ ينتقل إلـــى كافـــة مدن العالم وخاصة المدن الساحلية سواء فى الشرق أم فى الغرب، ثم يليـــهم سكان المدن الداخلية. كما لعبت القسطنطينية دورا فى نقله إلى بلاد اليونـــان ومنها إلى شرق اوربا عبر الطرق التجـــارية. وربما انتقل الوباء عن طريق القسطنطينية كذلك إلى بعض المدن الشامية ذات الصلات التجارية بها. كذلـك لعبت المراكز التجارية كالقاهرة ودمشق وحلب دورا فى نقل الوبـــاء عـــبر طرق التجارة الداخلية.

وهناك عوامل ساعدت على انتشار الوباء الأسود سواء فى الشـــرق أم فى الغرب منها الازمات الاقتصادية فى الفترة التى سبقت انتشار الوباء ومـــا ترتب عليها من ارتفاع فى الاسعار وندرة فى الاقوات، كذلـــك مـــا شـــهده الغرب الاوربى فى القرن الرابع عشر من زيادة سكانية مع قلة فى الإنتـــاج والمعاناة من سوء التغذية بالاضافة إلى الاحوال الصحية السيئة، ممـــا دفـــع الكثيرون للترحيب بهذا الموت الجماعى للخلاص مما كانوا يعانون من ســـوء التغذية وسوء الاحوال الاقتصادية والمالية والصحية.

أما عن اعراض هذا الوباء فهى ارتفاع فى درجـــة الحـــرارة لـــدى المصاب، مع الم فى الصدر وســـعال مصحـــوب بصعوبـــة فـــى التنفـــس،

واضطراب فى النبض، ثم يتقئ المريض دما، ويعانى من انتفاخ فـــى الغـــدد الليمفاوية خلف الاذن، وحدوث نزيف تحت الجلد.

أما عن اسباب حدوثه فيذكر المؤرخون الغربيون أنه غضب مـــن الله انزله عليهم لما اقترفوه من اثام من جراء فساد الإخـــلاق وانتشـــار الفســـق والفجور وسيادة الظلم. وارجعه بعضهم لاسباب فلكية ومنها تسمم أو تلـــوث الهواء الذى يؤدى إلى حدوث ذلك الوباء بسبب التقاء بعض الكواكـــب مثـــل المريخ وزحل. كذلك ارجعه فريق آخر من الغربيين إلى حدوث زلازل فـــي عام ١٣٤٧م ادت إلى تلوث الهواء بسبب خروج الغازات السامة وانتشـــارها عبر المدن ونقلها للناس وانتشر بذلك الوباء فى أنحاء الغرب الاوربى.

أما عن المؤرخين الشرقيين فقد ارجعوا سبب هذا الوباء كذلك إلى أسـباب فلكية وإلى تلوث الهواء، وحدوث العفن الـــذى يضـــر بالإنســـان والحيـــوان والنبات، وهذا العفن ناتج فى رأيهم من تعفن جثث ســـكانى بـــلاد المغـــول الممتدة من الصين وحتى البحر الاسود وبحر قزوين وحوض الفولجا والذيـــن هلكوا باجمعهم سنة ٧٤٢ هـــ /١٣٤١م وحمل الهواء والريـــاح نتنـــهم إلـــى البلاد. وارجع بعضهم تلوث الهواء إلى اختلاف الفصول من حيـــث درجـــة الحرارة والرياح والامطار. فى حين ارجعه فريق ثالث إلى كثرة العمـــران وما ينجم عنه من كثرة الرطوبات الفاسدة، هذا فضلا عن العدوى عن طريـــق أفرازات الجهاز التنفسى للشـــخص المصـــاب أو عـــن طريـــق الحشـــرات كالبعوض والذباب.

أما عن التصدى لهذا الوباء ومقاومته فى الغرب فقد قام كثـــير مـــن المسئولين فى المدن بشكل خاص – بتطهير مدنهم مما بها من قاذورات ومنع

المرضى والمصابين من دخولها. إلى جانب الاعتدال فـــى تنـــاول الطعـــام، وتجنب الافراط فيه لاعتقادهم بأن ذلك يجنب الاصابة بالمرض. كذلك قـــام بعض الافراد بحبس أنفسهم فى منازلهم، ليكونوا فى شبه عزلة تامـــة عمـــن حولهم. وهناك فريق ثالث لم يسرف فى الطعام ولم يحبس نفسه بـــل عـــاش على قدر الكفاية، وخرج ومعه الزهور والروائح العطرية فى أيديهم ومنـــهم من خرج إلى الكنائس للصلاة والتضرع إلى الله طالبين العون.

كذلك قامت بعض مدن الغرب الاوربـــى بفـــرض الحجـــر الصحـــى وفرضت نظاما للوقاية ، وخصصت بعض السفن لنقل جثـــث الموتـــى إلـــى بعض الجزر النائية لدفنها فى أعماق بعيدة عن سطح الأرض. كذلك اشعل اهلها النيران فى المواقد لتطهير الهواء. واســـتخدموا الخـــل ومـــاء الـــورد باستمرار مع وضع كثير من النباتات العطرية فى منازلهم لحمايتهم من هـــذا الوباء.

أما فى الشرق فقد خرج الناس إلـــى المســـاجد للتضـــرع إلـــى الله والدعاء، وسؤاله سبحانه وتعالى أن يرفع عنهم الوباء، ومنهم من فـــر مـــن الاماكن الموبؤة إلى أماكن أخرى أملا فى النجاة، فكانوا يفرون مـــن المـــدن إلى القرى وبالعكس.

وقد ترك هذا الوباء اثاره فى جميع نواحـــى الحيـــاة ســـواء أن كـــانت اقتصادية أم اجتماعية أم عسكرية أم دينية سواء فى الشرق أم فى الغرب.

<u>الآثار الاقتصادية:</u>

ترتب على الموت الأسود آثار اقتصادية ســـواء فى الشرق أم فى الغرب. ففى الشرق تناقص عدد الفلاحين مما ساعد على استمرار فترة

الاضطراب الاقتصادى لسنوات عديدة بعد الوباء.

- هجرة الفلاحين من الريف إلى كثير من المدن هربا من سوء الاحوال فى القرى، وقد وفرت لهم المدن حياة أفضل ورعاية صحية أحسن. وقد ترتب على هجرة الفلاحين أن الارض لم تجد من يزرعها ، مما ادى إلى ارتفاع اسعار السلع، وتعطلت الاسواق.

- كذلك ادى الوباء إلى نقص الايدى العاملة، وارتفاع اسعارها واغلاق كثير من دور الصناعات، واتجه الكثير من اصحاب الصناعات والحرف إلى العمل حفارى قبور أو حماليين أو مغسلى موتى أو مقرئى القرآن، لما نالوه من أموال كثيرة من وراء تلك الأعمال.

- قل عدد السكان ورخصت الايجارات لعدم وجود من يسكن الدور والبيوت.

- توقفت احوال دولة المماليك، واضطرت هذه الدولة لالغاء الاسمطة التى كانت تقام فى شهر رمضان وفى العيدين، كما لجأت إلى تخفيض المرتبات.

وفى الغرب فتك الوباء كذلك بغالبية الفلاحين، لذلك جفت الكثير من الحدائق والبساتين والحقول لأنها لم تجد من يرعاها.

- اعلنت الكثير من البيوت المالية فى اوربا افلاسها نتيجة للخسائر الفادحة التى نزلت بها.

- عم الغرب الاوربى شلل اقتصادى وحاولت بعض الحكومات تعويض النقص فى خزائنها، ففرضت الكثير من الضرائب.

- تأثرت روما وصقلية والمدن الايطالية التجارية اقتصاديا لعدم وفود الاعداد الكبيرة من الحجاج المسيحيين اليها مما اضطر البابا إلى أن يعلن

عام ١٣٥٠م عاما مقدسا والذى جرت العادة بأن يحدث مرة كل أول قـــرن، ويمنح فيه البابا الغفران.

- نقصت الايدى العاملة، واضطرت كثير من النقابات اى نقابـــات اصحـــاب الحرف خاصة فى انجلترا أن تختصر مدة تدريب العضو ليصبح حرفيا، ممـــا أدى إلى وجود حرفيين لا يتقنـــون حرفتـــهم، وبمـــرور الوقـــت انخفضـــت مهارتهم.

- حدث تطور فى نظام الاقطاع ونتج ذلك عن قلة اعـــداد الاقنـــان ونقـــص الايدى العاملة فى الزراعة، مما أجبر الكثير من السادة النبـــلاء علـــى رفـــع أجور الكثير من هؤلاء الاقنان وتحويلهم إلى فلاحين احرار بالتدريج.

التغييرات الاجتماعية:

ترك الوباء الاسود فى الشرق آثـــارا أو تغيـــيرات اجتماعيـــة فـــى المجتمع فى عصر سلاطين المماليك، فقد صدرت التعليمات عقب ذلك الوبـــاء بالا تلبس النساء الثياب الثمينة والمستوردة من البندقيـــة أو مـــن العـــراق أو غيرهما كذلك حرم ارتداء الاخفاف غالية الثمن، وقد تخلـــت غالبيـــة نســـاء مصرعن لبس الذهب والفضة والجواهر وكذلك الحرائر. كما تركت غالبيـــــة نساء مصر ما كن يلبسونه من ملابس مستوردة من بـــلاد الفرنـــج كـــالجوخ وغيره.

- بطلت الافراح والاعراس بين الناس، ولم يسمع خلال فترة الوباء صـــوت غناء.

أما فى **الغرب :**

- فقد تغيرت عادة دفـــن الموتى ولجأ الناس إلى حفر حفر كبيرة يلقون فيها

جثث الموتى ويغطونها بالتراب دون احضار احد القساوسة أو اقامة الـتراتيل الخاصة.

– هجر الناس مرضاهم فكان المرء يفر من زوجتـه، والزوجـة تفـر مـن زوجها، والاب يفر من ابنه والابناء يفرون من الاباء والامهات .

– تفشت الكثير من الامراض الاجتماعية، وساءت العلاقات الاسرية.

– زيادة كراهية اليهود لدى ابناء الغرب الاوربى وذلك بسبب الشائعات التـى سرت من أنهم قد سمموا مياه العيون والآبار، لذلك تم اضطهادهم فى كثـير من مدن الغرب الاوربى، وتم الاستيلاء على أموالهم وثرواتهم رغم اعـلان البابا (كلمنت السادس) براءة اليهود من هذه التهمة.

– تناقض سلوكيات الاشخاص، فبينما اطلق بعضهم العنان لشهواته وملذاتـه واستمتع بما لذ وطاب، كرس البعض الأخر انفسهم للخـلاص مـن ذنوبـهم وآثامهم. ونتيجة لهذا التناقض ظهرت من جديد جماعـة (السـياطين) ممـن يضربون انفسهم (بالسياط) تقربا إلى الله.

ولم تكن هذه الظاهرة جديدة على المجتمع الاوربى فى العصور الوسـطى بل يرجع ظهورها إلى القرن العاشر الميلادى مع اقتراب العصر الالفى وهـو الذى يعتقدون أن فيه سيملك السيد المسيح الارض مؤذنا بعصر جديد، وكـان هؤلاء يقومون بجلد انفسهم بالسياط، كما يضربون انفسـهم عنـد الاكتـاف والاذرع بقطع من الحديد وبشدة وحماسة حتى ينزف منها الدم.

__الآثار الحربية والعسكرية:__

(فى الشرق) كان الطاعون من العوامل الرئيسية التى ساعدت على اضعـاف الجيش المملوكى وذلك لتناقص اعداد الرقيق فى بلاد القوقاز وجنوب روسيا

لتكرار حدوث الطواعين بها، كما ادى الطاعون إلى موت المماليك الصغـــار فى الطباق (اشبه بمدرسة عسكرية أو معسكر تدريبى وتعليمـــى للممـــاليك) والذين كانوا يدرسون اللغة العربية والعلوم الدينية والفنون العسكرية.

- تصرف الامراء فى اقطاعتهم عن طريق البيع والتنازل والمقايضـــة ممـــا أدى إلى دخول كثير من الكتاب وارباب الوظائف الدينيـــة اربـــاب الصنـــائع والحرف ضمن اجناد الجيش مما أدى إلى ضعفه.

أما فى الغرب :

تعـــذر اســـتئناف الحرب بين انجلترا وفرنسا نظرا لنقص الأموال والارواح وهى حرب المائة عام (١٣٣٧-١٣٥٤م) تلك الحرب التى نشـــبت منذ عام ١٠٦٦م عندما امتلك امراء نورمنديا انجلترا وأصبحـــت مملكاتـــهم موزعة فى كل من فرنسا وانجلترا.

- وترتب على هذا الوباء ايضا القضاء على الرغبة فى ارسال حملة صليبيـــة من الغرب الاوربى ضد الاتراك العثمانيين فى عام ١٣٥١م.

ومن الاشعار التى قيلت فى آثار هذا الوباء ما نســـوقه مـــن هـــذه الأبيات:-

هـــــذا يوصـــــى بـــــاولاده	وهـــذا يـــــودع اخوانــــــه
وهـــــذا يوصـــــى باشـــــغاله	وهـــذا يجـــــهز اكفانــــــه
وهـــــذا يصـــــالح اعدائــــــه	وهـــذا يلاطـــف جيرانــــــه

النص السابع عشر

الإملاء البابوي ١٠٧٥

مقدمة الترجمة :

دارت بعض المناقشات حول ما إذا كان البابا جريجوري السابع Gregory VII هو الذي كتب تلك الأحكام والقوانين التي تعكس أفكاره أم لا، وجمعت هذه القوانين وألفت في فترة باكرة من عام ١٠٧٥م، وهي تمثل ادعاءات البابوية المتطرفة. وقد رفض هنرى الرابع والحزب الإمبراطوري معظم هذه الادعاءات، كما لم يقبلها معظم كبار رجال الدين (الاكليروس).

نص الترجمة

١- الله وحده هو الذي أسس الكنيسة الرومانية.
٢- البابا الروماني وحده يمكنه أن يلقب بحق (بالبابا) العالمي.
٣- يستطيع (البابا) وحده أن يعزل الأساقفة ويعينهم.
٤- لممثل البابا ومندوبه أن يرأس كل الأساقفة في أي مجمع، وأن يصدر حكم العزل ضدهم حتى ولو كانت رتبته الكنسية صغيرة ضئيلة.
٥- وللبابا (السلطة) في أن يعزل من يتغيب [عن حضور المجمع من الأساقفة].
٦- ومن بين الأمور الأخرى، أنه ينبغي ألا نقيم في سكن واحد أو في مكان واحد مع من أصدر البابا ضدهم قرار الحرمان.
٧- وللبابا وحده الحق في إصدار قوانين جديدة ـ وفقًا لما تقتضيه الأحوال أو الضرورة ـ وله الحق كذلك في أن ينشئ أسقفيات جديدة، وأن ينشئ ديرًا (وفقًا لقانون الكنيسة)، وله من ناحية أخرى أن يقسم الأسقفيات الغنية ويفتتها، ويجمع الفقيرة منها (ليجعل منها أسقفية غنية).
٨- للبابا وحده أن يستخدم الشارات الإمبراطورية.
٩- على جميع الأمراء أن يقبّلوا قدم البابا وحده.
١٠- يجب أن يذكر اسم البابا وحده في الكنائس.
١١- أن اسم (البابا) هو الاسم الوحيد في العالم.
١٢- للبابا عزل الأباطرة.

١٣- للبابا حق نقل الأساقفة إذا اقتضت الحاجة ذلك.
١٤- للبابا سلطة تعيين كاتب أو مسجل في أي كنيسة يرغبها.
١٥- من يرسمه البابا (أسقفًا) يمكن أن يرأس أي كنيسة أخرى ويتولى امرها، ولكن لا يشغل رتبة أدنى أو مكانة ثانوية، كما لا يجوز له أن يرقى إلى درجة أعلى على يد أي أسقف (أخر).
١٦- لا يجب أن يسمى أي مجمع كنسي Synod مجمعًا عامًا بدون أمره (البابا).
١٧- لا يعتبر أي فصل أو كتاب قانونيًا (والإشارة هنا إلى ما يصدره المجمع من قرارات) دون تصديق البابا عليه أو إقراره.
١٨- لا يستطيع أحد أن يلغي ما يصدره البابا من قرارات أو ما يسنه من أحكام، إلا البابا نفسه.
١٩- لا يجوز لأي شخص أن يحاكم البابا.
٢٠- لا يجرؤ أي شخص على إدانة من يلجأ إلى الكرسي الرسولي.
٢١- تحال جميع القضايا الهامة التي تخص كل كنيسة إلى الأخير (أي الكرسي الرسولي ليفصل فيها البابا).
٢٢- أن كنيسة روما لم تخطئ مطلقًا، ولن تخطئ أبد الآبدين وذلك بشهادة الأسفار والأناجيل على ذلك.
٢٣- يصبح بابا روما ـ الذي يرسم ترسيمًا قانونيًا ـ قديسًا بدون شك ببركات القديس بطرس، وشهادة القديس اينوديوس St. Ennodius أسقف بافيا؛ وقبول كثير من الآباء المقدسين، وما احتوت عليه مراسيم البابا القديس سيماخوس St. Symmachus.
٢٤- يجوز للرعايا والأتباع ـ بمقتضى أمر البابا وبرضائه ـ أن يوجهوا اتهامات (لسادتهم) أو (حكامهم).
٢٥- للبابا الحق في أن يعزل الأساقفة ويعينهم بدون الدعوة لعقد مجمع كنسي.
٢٦- لا يعتبر كاثوليكيًا كل من لا يحيا في سلام ومودة مع الكنيسة الرومانية.
٢٧- للبابا أن يحل الرعايا من يمين الولاء والطاعة (الذي أقسموه) للحكام أو للأمراء الأشرار.

التعليق على نص

الإملاء البابوي (السيادة البابوية) ١٠٧٥م

منذ تتويج شارلمان إمبراطور على يد البابا ليو الثالث في عام ٨٠٠م، أمست سلطة التعيين والعزل في يد البابوية، ولكن منذ القرن التاسع وعلـــى مدى قرنين تاليين، دخلت البابوية في مرحلة انعدام الـــوزن، وبـــدأت تفقــد مكانتها التي كانت لها من قبل، وابتليت بأمراض خبيثة منها السيمونية[١]، أي بيع الوظائف الكنسية، وزواج رجال الدين، بل وأصبح منصب البابوية العوبة في أيدي بعض العائلات الأرستقراطية في روما، وحكرًا عليهـــا، واعتلـــى كذلك كرسي بطرس صبية في سن اللهو والعبث، بل وبيع منصب البابويـــة في كثير من الأحيان، وغرقت الكنيسة الرومانية في الثراء، نتيجة الهبـــات التي أغدقت عليها من جانب ملوك أوروبا منذ أيام شارلمان، وحرص رجال الدين، وقد تزوجوا، وكونوا لهم عائلات على توريث أبنائهم مناصبهم، ليرثوا بالتالي ثرواتهم، حتى غد رجال الاكليـــروس " أمـــراء " يشـــكلون طبقـــة أرستقراطية ضخمة، واشتغلوا بكل الأعمال المدنية والحياة العامـــة، حتـــى وصف البعض الاكليروس الألماني في القرن العاشر بقولـــه : " إذا كانـــت هناك حقيقة واحدة في ألمانيا، فهي أنه ليس هناك رجل دين تقي ".

ولكن سرعان ما بدأت موجة الإفاقة تدب في أوصال البابوية، وبدأت حركة الإصلاح الداخلي تنبع من دير كلوني، وكان بمقدور رهبان هذا الدير، الذين وصل نفر منهم إلى كرسي القديس بطـــرس، أن يتزعمـــوا الحركـــة الإصلاحية للقضاء على السيمونية وزواج رجال الدين، وذلك عن طريق عقد المجامع الكنسية، وإصدار المراسيم التي تحرم على شعب الكنيسة التعامل مع هؤلاء الأساقفة المرتشين.

---

(1) تنسب إلى سيمون الساحر الذي حاول إغراء القديس بطرس بمبلغ من المال لقـــاء أن يبارك له عمل (المتاجرة في الوظائف الدينية) فرفض بطرس وأجابه : " أنك هالـــك مع فضتك، لأنك تحاول الحصول على بركة الله بالدراهم ".

ولكن إذا كان من السهل نسبيًا على البابوية علاج مثل هذه الأمراض إلا أن داء عضال كان قد استشرى في الكنيسة، ولم يكن من الميسور علاجه، يقصد بذلك مشكلة " التقليد العلماني " ويعني قيام العلمانيين من الأمراء والملوك بتعيين رجال الدين في مناصبهم، وهي المشكلة التي أدت إلى حدوث صدام بين البابوية والإمبراطورية؛ علاوة على أنها أصبحت تمثل حجر الزاوية في حركة الإصلاح الكنسي في العصور الوسطى.

كان الإصلاح من وجهة نظر البابوية هو إقرار العدالة فوق رءوس الخطاة، والإصلاح يعني ذلك الطاعة الكاملة للرب، وهذه تتحقق بالانقياد التام للبابا، أما الخروج عليه فيعد ضربًا من الشرك والوثنية، لأن البابا ليس فقط مجرد خليفة للقديس بطرس، وأول البابوات، ورأس الكنيسة المسيحية على الأرض، ولكنه خليفة بطرس ــ تلميذ المسيح ــ باعتباره أداة الرب الذي اختارته السماء، ليقر العدالة فوق رءوس الخطاة.

ويعد البابا جريجوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) من أشهر البابوات الذين تصدوا لحركة الإصلاح، لذا لابد من إلقاء بعض الضوء على حياة الرجل وكيفية ارتقائه عرش البابوية. ولد هلد براند من عائلة فقيرة، كانت تعيش في ريف تسكانيا في سنة ١٠٢٣م، وعاش حياة تتصف بالخشونة، وتلقى دروسه الأولى في دير القديسة ماريا في روما، ثم انخرط في سلك الرهبانية، ومارسها على النظام البندكتي، ثم أخذ يتقلب في الوظائف الدينية، فعينه البابا ليو التاسع (١٠٤٨-١٠٥٤م) كردينالاً، وممثلاً بابويًا في فرنسا، كذلك شغل مناصب عليا في عهد كل من البابا فكتور الثاني (١٠٥٥-١٠٥٧م)، والبابا ستيفن التاسع (١٠٥٧-١٠٥٨م)، وقد أثبت هلد براند جدارة حقيقية في كل الوظائف التي تولاها، كما كان يتصف بالذكاء وسعة الحيلة، وقد أهلته هذه الصفات لأن يرقى عرش البابوية في عام ١٠٧٣م باسم (جريجوري السابع).

سعى البابا جريجوري منذ توليه عرش البابوية مـن أجـل إصـلاح وعلاج ما تعانيه من أمراض، فوضع مشكلة زواج رجال الدين علـى رأس قائمة الإصلاح، وعقد مجمعًا في عام ١٠٧٤م ـ أي بعد اعتلائـه العـرش بسنة واحدة ـ وأصدر مرسومًا " بتحريم زواج رجال الدين تحريمًا تامًـا ". وعزم على تنفيذ هذا القرار بكل ما أوتي من عزم وإصرار وعناد حتى أنه أمر رجال الدين بطرد زوجاتهم فورًا، وكذلك منع رجال الكنيسة المتزوجين من الوعظ في الكنائس وحرم على الناس الاسـتماع إلـيهم، لأن " بـركتهم تحولت إلى لعنة وصلاتهم إلى خطيئة ".

كما شن البابا جريجوري على السيمونية حربًا لا هوادة فيها، فأصـدر في مجمع روما ١٠٧٤م عدة قرارات كذلك تقضي بفصل كـل مـن تـولى المناصب في الكنيسة عن طريق الشراء، مع عدم السماح في المستقبل بشراء الحقوق الكنسية أو بيعها؛ كذلك أصدر قرار الحرمان على كل مـن تمـت إدانتهم بالسيمونية.

على أنه إذا كان جريجوري قد استطاع مكافحـة السـيمونية، وزواج رجال الدين، عن طريق ما أصدره من قرارات وتشـريعات داخليـة فـي الكنيسة، إلا أنه كان من المتعذر عليه مكافحة مبـدأ التقليـد العلمـاني دون الصدام بالحكام العلمانيين، وعلى رأسهم إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة صاحب النفوذ السياسي الواسع في كل من ألمانيا وإيطاليا.

كان جريجوري يؤمن إيمانًا قويًا بفكرة السمو البابوي، التي تهدف إلى عدم سيطرة الأمراء والحكام على الهيئات الدينية، وإن رجل الدين لا يستمد سلطته من الأمير أو الحاكم، وإنما يستمدها من الله مباشرةً، لـذلك أصـدر البابا سبعة وعشرين مرسومًا، تسمو بالبابوية إلى عليين، وتلخص آراء البابا الخاصة بعظمة الوظيفة البابوية، وسموها، وسلطانها الروحـي والعـالمي، وهـذه المراسـيم تعـرف باسـم الإرادة البابويـة أو الإمـلاء البـابوي Dictatus Papae أو الأوامر أو المراسيم البابوية.

وتعد هذه المراسيم مثار نقاش بين المؤرخين، فيذكر البعض منهم أنها تنسب إلى البابا جريجوري السابع، وأنه أصدرها ١٠٧٥م، في حين نسبها البعض الآخر إلى البابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م) محددين تاريخ صدورها بعام ١٠٩٠م، وذهب فريق ثالث إلى أنها جمعت بعد وفاة جريجوري بقليل حوالي عام ١٠٨٧م.

ويرجح أنها صدرت في عام ١٠٧٥م على يد البابا جريجوري السابع، استنادًا إلى أن جميع بنودها تتفق وآراء البابا جريجوري السابع من حيث حرصه على تقوية قبضته على رجال الدين، ومحاولته إبعاد الملوك الألمان عن السيطرة على الكنيسة، كما أن بنودها تأتي كنتيجة أساسية لقيام البابا جريجوري بمحاولة لفرض السيادة على الحكام العلمانيين، علاوة على ما تبعها من صدام بين البابوية والإمبراطورية.

والمراسيم التي أصدرها البابا جريجوري منها ما يتعلق بالنواحي الكنسية ومنها ما يتعلق بالنواحي العلمانية، فقد جاء فيها فيما يتعلق بدائرة اختصاص الكنيسة ما يلي :

- أن الله وحده هو مؤسس الكنيسة الألمانية، وأنها لم تقترف خطأ، ولن تخطئ أبد الآبدين، وأن البابا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وأنه لا راد لقضائه، وأن أي مجمع لا يحوز الصفة المسكونية العالمية إلا برضائه، وأن مندوبيه في أي مجمع عام — مهما صغرت مرتبتهم الكهنوتية — فوق كل الأساقفة، وبمقدرهم أن يصدروا قرار العزل ضد هؤلاء الأساقفة، وأن من حق البابا أن يعزل من يشاء، ويولي من يشاء دون الحاجة إلى رأي مجمع، كما أكد البابا على أنه لا يمكن لأحد أن يكون كاثوليكيًا صادقًا، إذا لم يوافق على كل شيء يقره البابا ويقوم به.

ويبدو أن الهدف من هذه المراسيم الخاصة بالكنيسة ورجالها هو : تقوية قبضة البابوية على رجال الدين مما يجعلها مسيطرة عليهم سيطرة كاملة،

وبالتالي لا يصبح للملك الألماني أي فرصة للإبقاء عليهم تحت سلطانه، ويؤكد ذلك ما أعلنه البابا أن الله وحده هو مؤسس الكنيسة، مما يدل على أنـــه لـــيس للملك الألماني أي فضل عليها، مما يجعلها لا تدين له بأي شـــيء، وبالتـــالي فليس له الحق في فرض السيطرة على رجال الدين والتحكم فيهم.

أما عن النواحي العلمانية، فقد أفصحت المراسيم عما راحت البابويـــة تسعى إليه وتدعمه، فتضمنت أن البابا يمكن أن يسمح للأمراء بتقبيل قدمـــه، وأنه يمكن للبابا عزل الأباطرة، وأن من حقـــه وحـــده اســـتخدام الشـــارات الإمبراطورية، وأن يحل الرعية من يمين الولاء، كما أكدت المراسيم علـــى أن قرارات البابا لا ينبغي لأحد أن يقوم بإلغائها أيًا كانت مرتبته، في الوقت الذي يستطيع البابا فيه أن يلغي القرارات التي يصدرها أي حاكم علمـــاني، ولإعلاء شأن البابا أكدت المراسيم على أنه لا يجب ذكر أي اسم بجانب اسم البابا في الكنائس، كما أشارت إلى أن البابا يسمو بقدسيته فوق الجميع ومن ثم فإنه لا يجوز لأي حاكم علماني أن يقوم بمحاكمته.

ويتضح من هذه المراسيم، أنها تجمعت من أجل الحد من سلطة الأباطرة الألمان، بحيث تصبح سلطة البابا هي السلطة العليا، والقوة الوحيدة المهيمنـــة على مقاليد الأمور. ويتضح كذلك أن البابا جريجوري السابع آمن إيمانًا قويًـــا بأن البابا له السلطة العليا في حكم المجتمع المسيحي، وأنـــه يعـــزل الملـــوك والأباطرة بوصفه نائبًا عن القديس بطرس، فإذا امتنع حاكم علماني عن تنفيـــذ تعاليم الكنيسة فإن جريجوري السابع رأى أن الطريق الوحيد للإصـــلاح هـــو إخضاع الكنيسة للبابوية لذلك وجه جريجوري السابع مجمع روما المنعقد سنة ١٠٧٥م نحو اتخاذ قرار حاسم بشأن التقليد العلماني هذا نصه :

" أن أي فرد من الآن فصاعدًا يتقلد مهام وظيفته الدينية من أحد الحكام العلمانيين يعد مطرودًا من هذه الوظيفة، ومحرومًا من الكنيسة، ومن رعاية القديس بطرس، وإذا جرؤ إمبراطور أو ملك أو دوق أو كونت أو أي شخص على تقليد أحد رجال الدين مهام وظيفته الدينية، فإنه يحرم من الكنيسة فورًا".

وأدى هذا القرار إلى إزعاج هنري الرابع بوجه خاص، وبقية ملـــوك أوربا بوجه عام، وأثار مخاوفهم جميعًا، خاصة وأن البابا أرســل مندوبيــه ورجاله إلى كل أنحاء أوربا ليمارسوا سياسة الإصلاح التي أعلنها، كما كتب إلى هنري الرابع (١٠٥٦-١١٠٦م) إمبراطور ألمانيا، رسالة في ديسمبر من عام ١٠٧٥م تنبهه إلى ضرورة مراعاة ما جاء بقرارات المجامع التي عقدها البابا، وخاصة ما يتعلق بالتقليد العلماني؛ والتي قوبلت بعاصفة هوجاء مــن الاحتجاج بين الأكليروس الألماني، الذي كان قد بلغ حدًا من الثراء والنفوذ، خشي معه من قرارات الإصلاح البابوية، وكان ما أثار غيظ هنري الرابــع في هذه الرسالة، ما طلبه إليه جريجوري، من عزل خمسة من المستشارين، كان جريجوري السابع قد أصدر قرارًا بحرمانهم من رحمة الكنيسة. وكــان طبيعيًا أن يرفض الملك الألماني هنري الرابع ما عده تدخلاً سافرًا من البابا في الشئون الداخلية لدولته، وتطاولاً على حقوق السلطة الزمنية.

ولما كان هنري هو الآخر، يعتمد على وجهة نظر الأباطرة في السيادة، ويهتدي بخطى أبيه (هنري الثالث ١٠٣٩-١٠٥٦م)، فقد راح يمارس حقه في تعيين الأساقفة في الأسقفيات الشاغرة، على أن ما أثــار حنــق جريجــوري السابع، إقدام هنري على تقليد أساقفة ثلاثة لأسقفيات ميلانو وفيرمــو Fermo وسبوليتو Spolito والأخيرتان تابعتان مباشرة لسلطان كنيسة روما.

ورد البابا على هذا الإجراء بالتهديد بقرار الحرمان ضد هنري وعزلــه من منصبه، إذا لم يرجع عن قراراته. وهنا أصبح لازمًا على هنري الرابع أحد أمرين : إما التذلل والطاعة العاجلة، أو التعرض لقرار الحرمان، ومــا يترتــب عليه من خلعه من على العرش. ويمكن القول أن هيبة التاج الألماني لم تكن قــد وضعت من قبل في مثل هذا الموقف، كما أنه لم يقف أي ملــك مــن الملــوك الألمان في موقف هنري الرابع، الذي أصبح لزامًا عليه أن يتخذ موقفًا حاســمًا تجاه البابوية التي لم تعامل أحد من أسلافه من قبل مثلما تعامله الآن.

وعلى ذلك فقد قام هنري الرابع بدعوة الاكليروس ومستشاريه إلى عقد مجمع في ٢٤ يناير سنة ١٠٧٦م في مدينة ورمز Worms، حضره اثنان من رؤساء الأساقفة بالإضافة إلى أربعة وعشرين أسقفًا، وانتهى المجمع إلى إصدار قرار بعزل جريجوري من منصبه، وكتب هنري رسالة إلى البابا، وخاطبه فيها باسمه الرهباني هلد براند إذ جاء فيها : " من هنري الملك الشرعي الذي اختاره الله إلى هلد براند الراهب المزيف "، وكشف فيها عن أسباب قرار العزل، ومنها أن البابا استغل مكانته في الهدم وليس في البناء، وتجاسر على مهاجمة النفوذ الملكي الذي يتلقاه الملك من العناية الإلهية، وحاول التدخل في شئون التاج، وأعطى نفسه حق عزل الملك من منصبه وهذا لا يجوز إلا إذا ثبت على الملك جريمة الخيانة والكفر، علاوة على عدم شرعية انتخابه لمنصب البابوية، إذ لم يراع عند انتخابه الطريقة التي نص عليها مجمع روما ١٠٥٩م، وتم اختياره من قبلً البابا السابق اسكندر الثاني مما دفع جموع المصلين إلى المناداة به بابا. وأنهى هنري الرسالة بالعبارة التالية : " أنا هنري ... الملك بإرادة الرب أقول لك، ومعي كل أساقفتي تنح ... تنح ولتكن ملعونًا على مر الدهور والعصور ".

تسلم البابا الرسالة في (فبراير ١٠٧٦م) في مجمع عقده في الفاتيكان ضم عدد من الأساقفة من بلاد الغال (فرنسا) وإيطاليا وبلغ الحماس أشده بين أعضاء المجمع، حتى أن بعضهم همَّ بقتل حامل الرسالة، عندما قرأت على مسامع أعضاء المجمع.

أما البابا جريجوري السابع فقد قرر في هذا المجمع إصدار قرار التحريم الثلاثي ضد هنري الرابع (أي أنه يتضمن اللعنة ــ الخلع ــ تحلل أتباعه من الولاء له) أو بمعنى آخر :

١- الحرمان من الكنيسة والقطع منها.
٢- العزل من عرش الإمبراطورية.
٣- خروج كافة أتباعه وأنصاره عن طاعته.

وشجع البابا على إصدار هذا القرار، وقوف عدد كبير مـــن الأمـــراء — خاصة الرافضين لمبدأ وراثة الحكم — إلى جوار البابا. وقد سارع عدد كبير من أمراء ألمانيا بعقد مؤتمر في مدينة (تريبور) في أكتوبر ١٠٧٦م حضره مندوبان عن البابا، وقرروا فيه " الخروج على طاعة هنري وإنذاره بأنه إن لم تغفر لـــه البابوية في مدة أقصاها (٢٢ فبراير ١٠٧٧م) فسوف يقومـــون باختيـــار ملـــك غيره، واشترطوا عليه كذلك أن يقضي المدة المحددة (أكتوبر ١٠٧٦ – فبرايـــر ١٠٧٧م) في أحد الأديرة حتى يتطهر من ذنوبه، ولم يجد الإمبراطور هنري من سبيل أمامه سوى طلب العفو من البابا، وفوت بذلك الفرصة على الأمراء الذين عزموا على عزله من عرش ألمانيا هذا من ناحية، وساعد العفـــو مـــن ناحيـــة أخرى على ضعف العلاقات بين الأمراء والبابوية.

النص الثامن عشر
نشأة فرقة الداوية (فرسان المعبد) ١١١٩م
بقلم وليم الصوري

مقدمة الترجمة :

لقد تميزت العصور الوسطى بنموذجين هما الراهب والجندي، فكان الراهب رمزًا للحياة الروحية، أما الجندي فكان البطل العسكري، وتجمع فرق الفرسان الرهبان أعضاء من الرهبان والجنود، ومن ثم فهي تمثل اندماج هذين النموذجين، والحقيقة أن كل هذه الفرق قامت على الحدود بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين وفي أسبانيا، الحقيقة تشير إلى أنهم يتصلوا بالحروب الصليبية اتصالاً وثيقًا.

نص الترجمة

قام في هذه السنة (١١١٨-١١١٩م) ذاتها جماعة من النبلاء المؤمنين من طبقة الفرسان – الذين يخشون الله – قاموا بتكريس أنفسهم لخدمة المسيح، وقدموا عهودهم للبطريرك (بطريرك بيت المقدس)، وأعلنوا أنهم يتمنوا أن يحيوا – على الدوام – حياة العفة والطهارة، والفقر والطاعة، طبقًا للقوانين الكنسية المنظمة[١].

وكان يتزعم هؤلاء كل من هيو بياين Hugue de Payens، وجودفري أومير Geoffrey of St. Omer، ونظرًا لأنهم كانوا بلا كنيسة، ولا سكن لهم، فقد منحهم ملك بيت المقدس سكنًا مؤقتًا في القصر، الذي يقع في الجانب الغربي من المعبد (أي معبد أو هيكل سليمان).

ومنحتهم قوانين المعبد (امتيازات) شروط معينة، الفضاء الفسيح المحيط بالقصر – السالف الذكر – لتشييد أبنيتهم الضرورية، كما منحهم كل

---

(١) يقصد بها القوانين الدينية التي أخذت بها الكنيسة الغربية ذات النفوذ الواسع في أوربا، وهي تستمد أحكامها من الكتاب المقدس، وأقوال القديسين، بالإضافة إلى قرارات المجامع الدينية والمراسيم البابوية.

من الملك والنبلاء والبطريرك والأساقفة أراض مـــن ممتلكـــاتهم الخاصـــة، لمساعدتهم. وأمر البطريرك والأساقفة بأن يتعهدوا أولاً بحمايـــة الطـــرق، وحماية الحجاج بصفة خاصة من قطاع الطرق واللصوص وذلك من أجل أن تغفر ذنوبهم وخطاياهم.

وكانوا يرتدون خلال السنوات التسع الأولى من تأســيس نظـــامهم ــ لباس العلمانيين المعتاد ــ كما ارتدوا الملابس، التي كان يخلعها عليهم الناس لخلاص أرواحهم ونفوسهم، ولكن في العام التاسع (لقيام نظامهم) عقد مجمع في تروي Troyes بفرنسا عام ١١٢٨م، حضره رؤساء أســاقفة ريمـــس Rhiems، وسنس Sens ومساعدوهم، كما حضره الكاردنيال أسقف البــانو Albano مندوبًا عن البابا، وحضره مقدمو دير سيتو Citeaux، وكليرفــو Clairvaux، وبونتيني Pontigny وكثير غيرهم. وفي هذا المجمع وضـــع نظام لهم، وبتوجيه من البابا هونريوس الثالـــث Honorius III، واســتفن Stephen بطريرك بيت المقدس، تحدد أن تكون الأردية البيضاء لباسًا لهم.

ولم يزد عددهم عن تسعة أعضاء فقط حتى عـــامهم التاســـع، ولكـــن سرعان ما تزايد عددهم، وتضاعفت ممتلكاتهم. وفي عصر ايـــوجين الثالـــث Eugene III حتى يصبح مظهرهم لافتًا أكثر للنظر، بدأوا جميعًـــا يخيطـــون صلبانًا من القماش الأحمر على أرديتهم سواء كانوا فرسانًا أو من هـــم أقـــل مرتبة من الأعضاء الآخرين، الذين يسمون برجال الخدمة Serving men(١).

ونمت فرقتهم بسرعة كبيرة حتى أنه الآن (يقصد عام ١١٨٠م) أصبح لديهم ثلاثمائة فارس يرتدون العباءات البيضاء، بالإضافة إلى رجال الخدمة الذين يصعب أن يحصى عددهم. ويقال أنه كانت لديهم ممتلكات شاسعة فـــي كل من هنا (في فلسطين) وفيما وراء البحر (في أوربا). ولا يوجد في العالم المسيحي كله إقليم لم يمنح هذه الفرقة جزء من ممتلكاته، حتى ليقال أن مـــا أصبحوا يملكونه يساوي ما لدى الملوك (من ممتلكات).

---

(١) يعرفون بالسرجنت، وهم أتباع الفرسان ومن غير طبقة النبلاء، وعنهم أنظر التعليق على النص.

ومنذ أن أقاموا في القصر بجوار المعبد وهم يعرفون باسم " إخـــوان فرسان المعبد "، وظلوا لفترة طويلة متمسكين بهدفهم، أوفياء بعهودهم، ولكن نسوا ــ بعد ذلك ــ " تواضعهم " الذي هو حارس جميع الفضائل، وتمـــردوا على بطريرك بيت المقدس، الذي ساعدهم فـــي إقامـــة فـــرقتهم، ومـــنحهم أراضيهم أو امتيازاتهم الأولى؛ ورفضوا أن يقدموا له الطاعة، التـــي كـــان أسلافهم يظهرونها أو يقدمونها له؛ وجعلوا من أنفسهم مصدر متاعب كثيـــرة للكنائس، وذلك عن طريق استيلائهم على حقوقها الشرعية، وأولى ثمـــرات فاكهتها، وسلب ونهب أملاكها.

التعليق على نص نشأة الداوية

كاتب النص : وليم الصوري William of Tyre :

ولد وليم في مدينة بيت المقدس في حوالي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، فهو سليل أسرة من الصليبيين، الذين استقروا في فلسطين، أمضى وليم السنوات الأولى من حياته في فلسطين، وفي مدينة بيت المقدس تحديدًا، ونـال ولـيم قسطًا كبيرًا من التعليم، إذ كان ملمًا بكثير مـن اللغـات منهـا : العربيـة، الفرنسية، اللاتينية، اليونانية مع بعض الإلمام باللغـات الشـرقية كالعبريـة والفارسية، وعرف عن وليم الجد، والدأب على البحث، والميل الشديد للعلم.

خرج وليم في رحلة للتعليم في الغرب، وحرص على وصـف هـذه الرحلة في كتابه، وقصد في رحلته هذه فرنسا، وعاصمتها بـاريس، التـي اهتمت بدراسة الفنون الحرة، فضلاً عن شارتر وأورليان، ثم قصد إيطاليـا لدراسة القانون، لما له من أهمية في أمور الكنيسة، خاصة القانون الكنسـي، والقانون المدني، علاوة على دراسة الفلسفة، وأمضى فيها بعض الوقت.

وما لبث وليم أن عاد إلى فلسطين في عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م، وعنـد عودته عين قسًا بكنيسة صور، ثم ترقى في بلاط مملكة بيت المقدس، حتـى أصبح قاضي القضاة بها، ثم كبير أساقفة صور، وكان يتطلع إلـى منصـب بطريرك بيت المقدس، ولكنه مات في عام ٥٨١هـ/١١٨٥م دون أن يناله.

تجدر الإشارة إلى أن وليم الصوري، ارتبط بعلاقة قوية مع عمـوري ملك بيت المقدس (١١٦٢-١١٧٤م) فقد اشتهر عموري بالميل إلى الدراسة التاريخية، وكان قد عزم على النيل من مصر وفتحها، بعد أن تم فتح بيـت المقدس، لذلك قرر أن يلتمس مؤرخًا يسجل له ما يحرزه من الانتصـارات، ووجد ضالته المنشودة في وليم الصوري، فقد نال الرجل قسطًا من التعلـيم العالي، لم ينله سائر أقرانه، بل أنه تفوق عليهم بدرايته وإلمامـه باللغـات، علاوة على لباقته في الكلام والحديث، ممارسة الكتابة. كل هـذه الأسـباب دفعت عموري لاختيار وليم مؤرخًا له.

وما كاد وليم يتولى هذا الأمر، حتى مضى فيه بحماس شديد، إذ أخـذ يناقش الملك وقادته فيما ينبغي أن تكون عليه الحملة، التي سوف يوجهها ضد مصر، من اكتمال التجهيز والإعداد بما يليق بمولاه الملك، لذلك ازداد تقدير الملك لمؤرخه وليم، وقامت بينهما صداقة وطيدة، وبلغ هذا التقدير أقصـاه، حينما عهد إليه عموري بأن يتوجه إلى القسطنطينية ، ليحصل على توقيـع الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على المعاهدة التي جرى إبرامها بينهما من أجل التعاون في فتح مصر، وعاد وليم بعد شـهور إلى بيت المقدس، يحمل المعاهدة بعد توقيع الإمبراطور البيزنطي عليها.

وبعد عودة عموري من مصر، ظلت العلاقات الطيبـة تـربط بـين الرجلين، وبلغ من إعجاب الملك عموري بمؤرخه وليم، أن عهد إليه بتربية أكبر أبنائه، وهو (بلدوين الرابع) الذي أنجبه من زوجتـه الأولـى (اجـنس كورتناي) وكان ساعتها في التاسعة من عمره (أوائل ١١٧٠م)، وقبل ولـيم ذلك تحقيقًا لرغبة الملك عموري، ولم يقتصر تعليم وليم للصبي بلدوين على تدريس الآداب، بل أنه لم يغفل الاهتمام بالجانب الأخلاقي والرياضـي مـن مهمته، واكتشف وليم ما يعانيه الفتى بلدوين من مرض، شُخص علـى أنـه الجذام، والذي مات به فيما بعد.

وعندما رأى عموري أنه من الضروري كتابة تاريخ شامل لمملكة بيت المقدس منذ قيامها، نحى وليم كتابه (أعمال عمـوري أو انجازاتـه) جانبًـا وشرع في كتابة تاريخ مملكة بيت المقـدس Gesta regnum ابتـداء مـن مجمع كليرمونت ١٠٩٥م، وبدأ وليم في جمع مصادره، سـواء إن كانـت مدونه أو شفوية، ثم عكف على تأليف الكتاب، ولكن نشاطه في التأليف تأثر باشتداد المرض على عموري، ثم موته، وهو لم يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره، وتولى (بلدوين الرابع) العرش بوصاية ريموند الثالث أمير طرابلس، وعندئذ عين وليم الصوري مستشارًا للمملكة، وبذلك توطدت الصلة بين وليم والملك الجديد تلميذه السابق.

وأمضى وليم بعد ذلك معظم وقته في البلاط بحكم وظيفتـه الجديـدة، وقيامه بتأديب الصبي الملك بلدوين، مما أتاح له فرصـة الإطـلاع علـى تفاصيل سير الأمور بالمملكة، نتيجة لاتصاله بريموند الثالث أمير طرابلس، الواصي على العرش، وسائر رجال البلاط، وازدادت مكانة وليم في الـبلاط خاصة بعد أن أضحى المستشار الأول للملك بلدوين الرابع، بعد أن بلغ سن الرشد، وبعد أن تخلى ريموند الثالث عن الوصاية، ولكن في عـام ١١٨٥م اشتد المرض على الملك بلدوين وراح ضحيته، وكذلك مات وليم فـي ذات العام.

أما عن أهم مؤلفات وليم الصوري فهي كتابه المعنون "تاريخ الأعمال التـي تمت فيما وراء البحار " " A History of deeds done beyond the sea "[١].

ويروي وليم في هذا الكتاب قصة تأسيس مملكة لاتينيـة فـي بيئـة إسلامية، ثم يروي ما يتعلق بالحملة الصليبية الأولى، ويعرض بعـد ذلـك صورة لشخصية كل ملك من ملوك مملكة بيت المقـدس، ويتبعهـا بتقريـر زمني عن عهده، كذلك يقدم وليم تقريرًا جغرافيًا عن كل مكان يذكره، ويتتبع تاريخ هذا المكان منذ الماضي البعيد، وبذل وليم جهدًا كبيرًا في سبيل جمـع المعلومات التي لم يكن شاهد عيان لها.

حاول وليم أن يكتب بموضوعية ولو أغضب البعض، كمـا أنـه لـم يحاول إخفاء مشاعره الشخصية، واتصف بالنزاهة التامة، والبصيرة النافذة، والإدراك السليم، وإن كان وليم قد خرج عن المألوف، إذ لم يقبل أن يسـئ إلى أولئك الذين يعتبرون مسئولين عما أصابه من فشل.

وظهرت أفضل مؤهلات وليم الصوري كمؤرخ من خـلال معالجتـه لمشكلة (السببية) فقد ذكر أن كل صليبي اشترك في الحملة الصليبية الأولـى لم يتصرف بوازع ديني، إذ أن البعض شارك في الحملـة، وحمـل رايـة

---

(١) قام الدكتور حسن حبشي بترجمة كتاب وليم الصوري إلى العربية تحـت عنـوان " الحروب الصليبية " وقد خرج في أربعة أجزاء، صدرت في القـاهرة؛ كـذلك قـام د. سهيل زكار بترجمته إلى العربية في مجلدين صدرا في دمشق.

الصليب مجاراة لأصدقائهم، حتى لا يظهروا بمظهر الجبنـــاء، كمـــا حمــل البعض الآخر الصليب لمجرد ما في ذلك من متعة، وحمــل فريــق ثالــث الصليب هربًا من مطاردة الدائنين والديون، كما كان هناك فريق رابع مــن المجرمين الفارين من العدالة، وهذا يعني أن الدوافع الدينية، لم تكــن هــي المحرك الرئيسي للحملة الصليبية الأولى للمشتركين فيها، بل كانت دوافــع أخرى متضاربة غير الدوافع الدينية.

كذلك بحث وليم في الأسباب التي أدت إلى سقوط مملكة بيت المقــدس الصليبية، وأرجع ذلك إلى التدهور الأخلاقي، وإلى حياة الدعــة والراحــة، وضعف الحكومة اللاتينية في بيت المقدس، والتفكــك الــذي عــانى منــه الصليبيون والانقسام، في وقت توحد فيه المسلمون، تحت زعامة حاكم واحد، وهو صلاح الدين، حاكم توافرت لديه الجيوش المدربة، والأموال الــوفيرة، والإيمان بقضيته. ومن ثم فإن وليم الصوري يستحق المديح كمــؤرخ قــام بتحليل أسباب كل حدث في نزاهة وأمانة.

والمعروف كذلك أن وليم الصوري له كتاب آخر سجل فيــه أعمــال المجلس الكنسي المنعقد في روما في نهاية سنة ١١٧٨م، وحضره وليم على رأس وفد من كبار الأساقفة والمطارنة، إلى جانب ممثــل لبطريــرك بيــت المقدس، الذي حال مرضه إذ ذاك بينه وبين حضوره هذا المجمع، الذي يعد أكبر المجامع التي شهدتها المسيحية الغربية، وشارك وليم فيما دار فيه مــن مناقشات خطيرة، وقدم تقريرًا عن وضع الكنيسة والدولة في مملكــة بيــت المقدس اللاتينية، ظهر من خلاله محدثًا لبقًا، ومجادلاً يحسن الجدل، ويفحــم معارضيه إن احتاج الموقف إلى الإفحام.

وبعد عودته من المجمع، سأله رجال البلاط البابوي ورفاقه والكنائس اللاتينية أن يضع كتابًا عن أعمال هذا المجمع، فأجابهم إلــى مــا ســألوه، ووضعت نسخة منه في أرشيفات صور، ولكنها ضاعت ولم تصل إليها يــد الباحثين.

التعليق على نص نشأة فرقة الداوية

ظهرت فرق الفرسان الرهبان في بلاد الشام في أواخر القرن الحادي عشر، ومن أشهر هذه الفرق، الداوية، والاسبتارية، والتيوتون، وظهرت هذه الفرق نتيجة استقرار الصليبيين بالشام، ورغبتهم في تثبيت أقدامهم بـأراض المسلمين.

وعرفت فرقة الداوية في المصادر العربية باسم فرسان المعبد أو الداوية أو الديوية، كما عرفت في المصادر الأجنبية بعدة أسماء منها Templiers, Pauvres, Soldats du Christ أو جنود السيد المسيح الفقراء، و Les chevaliers de Temple فرسان المعبد وغيرها من الأسماء، ونشأت فرقة الداوية بعد استقرار الصليبيين في بلاد الشام، عندما ظهر لحجاجهم ورعاياهم مشكلة الطرق غير الآمنة نتيجة اغارات المسلمين عليها، وسطو قطاع الطرق عليهم بغرض السلب والنهب، ومن ثم فإن مشكلة تأمين الحجاج هي السبب الرئيسي في ظهور فرقة الداوية، التي ما لبثت أن أصبحت أكبر هيئة عسكرية صليبية في الشرق.

تأسست فرقة الداوية عندما زار الأراضي المقدسة في عام ١١١٨م فارسان هما : هيو باين Hugh Paynes وهو فارس من إقليم شمبانيا بفرنسا، وزميله جودوفري سانت أومير Geoffrey de St. Omer ومعهما عدد من الفرسان ما بين سبعة وتسعة من زملائهم، وجميعهم من أصل فرنسي. ونذر هؤلاء الفرسان أنفسهم للرهبانية وخدمة القوات الصليبية، وعروضوا تلك الفكرة على جاريموند Guarimond بطريرك بيت المقدس، فرحب بها ترحيبًا عظيمًا، فأقسموا أمامه على المحافظة على الشعائر الثلاثة المعروفة: العفة، الفقر، الطاعة، وزادوا عليها بأن أقسموا اليمين على حمل السلاح ضد المسلمين، وبذلك اصطبغت هذه الجماعة منذ اللحظة الأولى — وهي دور التكوين — بصبغة القتال والحرب، ويرجع ذلك — كما سبق الإشارة — إلى ظروف الإمارات الصليبية في ذلك الوقت.

وقد شجع بلدوين الثاني ملك بيت المقدس هؤلاء الفرسان، ومنحهم جزءًا من قصره لإقامتهم، وجزءًا آخر لإقامة شعائرهم الدينية، وكان هذا الجزء المخصص للداوية في القصر الملكي هو نفسه المسجد الأقصى الشريف، الذي سماه الصليبيون (معبد سليمان أو هيكل سليمان Templum Solomonis) ويقع جنوب قبة الصخرة الشريفة، لذلك عرفوا باسم (فرسان المعبد) أو الداوية.

وبذل هيو باين مؤسس الداوية جهدًا كبيرًا في تثبيت دعائم نظامه هذا وبث مبادئه، فركب البحر عام ١١٢٧م لزيارة كل من فرنسا وإنجلترا وأسبانيا لجمع الصدقات لمساعدة فقراء الأراضي المقدسة، فانهالت عليه التبرعات من مختلف طبقات المجتمع، كما مال البعض إلى الإقتداء به، واقتفاء سبيله، فرحلوا معه إلى الشرق.

وفي عام ١١٢٨م ــ أي بعد تأسيس هيئة الداوية بتسع سنوات ــ تم عقد مجمع في تروي Troyes بفرنسا، حضره رؤساء أساقفة ريمس وسينس ومساعدوهم، كما حضره الكاردنيال أسقف البانو ــ مندوبًا عن البابا ــ ومقدمو دير سيتو وكليرفو وغيرهم، وأقر المجتمعون في هذا المجمع نظامًا لهذه الهيئة الرهبانية العسكرية الجديدة، وكان ذلك بمثابة قانون، سارت عليه هيئة الداوية وقد وصف هذا النظام الأسقف برنارد أسقف كليرفو، ذلك الأسقف الذي تبنى الهيئة الجديدة، وقام بالدعاية لها، وأظهر المميزات التي ميزتها عن غيرها، فأشاد بقوة أعضائها وخشونتهم، وإيمانهم، وزهدهم، وذكر كثيرًا من طباعهم ونظمهم، وذلك في كتاب كتبه عنهم.

وكان الشرط الأساسي للالتحاق بالهيئة الجديدة، أن يكون العضو من الفرسان ومن الفرنسيين فحسب، لذلك ظل عدد أفراد هيئة الداوية محدودًا في أول الأمر، فيذكر وليم الصوري ــ كما جاء في النص الذي بين أيدينا ــ أنه حتى عام ١١٢٨م وهو العام الذي عقد مجمع تروي كان عدد الأعضاء لا يزال كما هو تسعة أفراد، ولكن سرعان ما تزايدت أعدادهم، وتضاعفت

ممتلكاتهم، حتى أصدر البابا هونريوس الثالث في عـام ١١٣٩م مرسـومًا اعترف فيه رسميًا بهيئة الداوية.

وظل فرسان الداوية يعيشون فـي بدايـة عهـدهم عيشـة بسـيطة، متواضعة، ويرتدون ملبسًا غير موحد، معتمدين على ما يجود به المحسنون من الصليبيين، حتى توحد زيهم فارتدوا رداء أبيض، نقش عليـه الصـليب باللون الأحمر، كما كانت لهم راية، يحملونها في مقدمة صفوفهم المحاربـة. وترمز حمرة الصليب إلى التضحية والشهادة، أما البيـاض فرمـز للعفـة والطهارة، كفرسان دينيين نبذوا رفاهية الحياة. وبعد فترة تقرر للهيئـة رداء آخر أسود تميز به السيرجنت Sergeant والرهبان القائمين علـى الخدمـة Serving Brothers، كما نقش على هذا الرداء الصليب الأحمر أيضًا، أما الزي الأبيض فقد ظل خاصًا بالفرسان فقط، وأدت ظروف الحرب واشتراك هؤلاء الفرسان فيها إلى أن صاروا يرتدون الملابـس الكتانيـة والقمصـان الحديدية، ونطاقات تحمل سيوفًا طويلة، وفوق هذه الملابس الحربية ارتـدوا الرداء الأبيض أو الأسود كما لبسوا على رؤوسهم خوذات حمراء، كما سمح لهم بترك ذقونهم طويلة.

أما رايتهم فكانت ذات لونين هما الأبيض والأسود، أما البياض فكـان رمز لإخلاصهم للمسيح، وخدامه والعطف عليهم، وفي الإنجيل عبارة الثياب البيضاء رمز الشهادة، وأما السواد فدلالة على قسوتهم على أعدائهم. ونقشوا على الراية الرئيسة هذه العبارة " لا تعطينا نحن النصر يا رب، ولكن أعطه لمجدك ".

واشتهرت هيئة الداوية بحسن التنظيم والإدارة، كما اكتسـبت أهميـة سياسية وحربية واقتصادية كبيرة، فانضم إليها منذ البداية شخصيات بـارزة مثل هيو تروي Hugh de Troyes كونت شمبانيا، وفولك إنجو ـــ الـذي خدم في صفوف الهيئة بصفة مؤقتة. وقد انقسم الرهبان بالهيئة إلـى فئـات

ورتب، وكان يوجد على رأسهم جميعًا المقدم أو القائد (Master) وهذه الفئات هي على النحو التالي :

١- المقدم : هو أعلى منصب في الهيئة على الإطلاق، ويتم انتخابه في احتفال، وبطريقة معقدة، عن طريق اثنى عشر راهبًا يقومون باختياره، وهو العدد الذي يمثل حواري السيد المسيح، وكان يشترط في المقدم أن يكون فارسًا وأبنًا شرعيًا لفارس.

وبعد أن يتم اختيار المقدم، فإن سلطته تكون شبه مطلقة فيما يختص بإدارة الهيئة ورئاسة جميع أفرادها، ولا تتعرض قراراته للنقد إلا عن طريق المجلس العام، الذي له حق طلب انعقاده، كما أن له سلطة تعيين مندوبين يباشرون السلطة أثناء غيابه، وكان له الحق كذلك في أن يكون لـه حاشية ترافقه، وهي مكونة من أحد القادة أو اثنين أو ثلاثة من كبار فرسان الهيئة وحامل راية الهيئة. ويعاون المقدم في أعماله عدد من الرهبان ومجلس، كما أصبحت له مع تطور الهيئة سلطة إصدار القوانين، وقبول أعضاء جدد بالهيئة، بعد أخذ رأي ممثليه في المراكز الأوربية للتأكد من صلاحية العضو الجديد.

وكان هيو باين أول مقدم للداوية، وقد استعان بالقديس برنارد، أسقف كليرفو، في وضع نظام الهيئة الذي سارت عليه طوال عهدها، ومن المعروف أن الأسقف برنارد تحمس تحمسًا شديدًا للهيئة، ومدحها — كما سبق أن ذكرنا — بل وتبنى الهيئة ووضع قانونها، وقد حرر هذا القانون الراهب حنا ميخائيل Jehan Michel زمن القديس برنارد، ثم أضيفت إليه المراسيم البابوية التي نصت على منح الداوية امتيازات وحقوق، أصبحت تدخل في نطاق قانونها.

أما عن مقر المقدم، فكان يقع في مكان متعدد المنشآت في مدينة بيت المقدس — وذلك منذ نشأة الهيئة الأولى — وتضمنت مجموعة مباني الهيئة عند المسجد الأقصى، القصر، والكنيسة، التابعتين للهيئة، وكان يوجد بينهما

مطابخ الهيئة، ومطاعمها، وصوامع الغلال، ومراكز المراقبة وإسطبلات الخيول، وأقام مقدم الداوية في القصر ومعه كبار فرسان الهيئة، وعدد ضخم من الخدام والعمال من مختلف المهن والحرف، وكان للمقدم قاعة كبيرة خاصة، يدير فيها أعماله الإدارية، وكان يستخدم أختامًا خاصة به، وكان خاتم مقدم الداوية منقوش عليه معبد سليمان، وهو مكان إقامة الهيئة الأولى، كما وجد خاتم خاص بالهيئة ككل، نقش عليه فارسان يمتطيان جوادًا واحدًا دليلاً على الفقر والتقشف.

وعندما يموت المقدم، كانت تقام بهذه المناسبة صلوات جنائزية تستمر سبعة أيام، وكان يدفن في كنيسة الهيئة بعكا.

٢- الفرسان من طبقة النبلاء Knights :

كان الفرسان أهم وأكبر فئات الداوية على الإطلاق، فقد تولوا أهم المناصب الإدارية والتنفيذية بالهيئة، وقد زادت أهميتهم بتطور الهيئة في المجال الحربي، فلم يقبل في صفوفها إلا أفراد من طبقة الفرسان أصلاً، فالفرسان يمثلون الطبقة الأرستقراطية في مجتمع العصور الوسطى، ويمثلون الطبقة القادرة كذلك على تقديم الخدمة العسكرية.

وكان للفرسان نظام صارم ساروا عليه، كما فرضت عليهم عقوبات شديدة إذا ما خالفوا هذا النظام، وقد وصلت هذه العقوبات إلى حد الطرد من الهيئة لمدة عام أو السجن، وكانت عقوبة الطرد لمدة معينة توقع على الفارس في حالة ارتكابه بعض الجرائم الصغرى، كعصيان أمر القائد، أما العقوبات الخاصة بالجرائم الكبرى مثل التخلي عن قواعد الفروسية أو التمرد أو التآمر أو الهروب أمام العدو، فقد عولجت هذه الجرائم بعقوبات كالتي توقع على المخالفين للدين والهرطقة.

٣- الفرسان من غير طبقة النبلاء (السيرجنت Sergants) :

وهي الفئة التي تلي طبقة الفرسان مباشرة، وكان لكل فارس من طبقة النبلاء اثنان من السيرجنت، ويشترط في السيرجنت أن يكون منحدرًا من

عائلة محترمة، وأن لا يكون قد ارتكب أي عمل شائن، وكان يحارب جنبًا إلى جنب مع الفرسان، فكان لكل منهم جوادان، وكان يمكن للسرجنت تولي وظيفة قائد أتباع الفرسان، وهم الذين يعتنون بأمتعة الفارس وأسلحته، ولكنهم لا يشتركون مع الفرسان أثناء الحرب، فكان لكل واحد اثنان من الأتباع يقومان بخدمة الفارس، وينسحبان عند بدء المعركة لإفساح المكان للفارس.

٤- الرهبان الخدام Serving Brothers :

ويقوم هؤلاء بالأعمال داخل الدير، ولا ينتمون للهيئة بالعضوية ويتقاضون أجرًا.

ومع بداية القرن الثالث عشر تراكمت لدى الهيئة الهبات والعطايا والامتيازات، حتى أصبح لها في الغرب الأوربي، عدة مراكز، في بروفانس، وفرنسا، وإنجلترا، وصقلية، والمجر، وأسبانيا وغيرها، وكانت هذه المراكز العديدة بمثابة قواعد أمدت الصليبيين في الشرق بسيل مستمر من الشباب المحارب، حتى أصبحت هيئة الداوية بمثابة جيش دائم، تميز عن الجيوش الصليبية بعدة امتيازات ذلك لأن هؤلاء الفرسان، كانوا يهبون حياتهم كاملة لمحاربة المسلمين، وبذلك شكلوا خطرًا كبيرًا على حكام المسلمين، فقد اتسم الطابع الحربي للهيئة بالتهور، والعداء الشديد للمسلمين، ماعدا حالات فردية قليلة، إذ كان ذلك من وجهة نظر فرسانها واجب ديني مقدس.

أما عن سياسة فرسان المعبد (الداوية) هؤلاء تجاه المسلمين، ففيما يتعلق بمصر ومحاولات عموري (١١٦٢-١١٧٤م) ملك بيت المقدس مهاجمتها والاستيلاء عليها، فإن الداوية عارضت منذ البداية فكرة مهاجمة مصر، وذلك لصعوبة الطريق المؤدية إلى مصر وما به من صحاري وقنوات مائية، كما أن الداوية كانت ترى أنه حتى إذا تم للصليبيين فتح مصر، فإنهم لن يتمكنوا بأي حال من الأحوال من المحافظة على تلك البلاد، كما أن غزو الصليبيين وعموري لمصر سوف يكون لصالح نور الدين محمود، لأنه سوف يعطيه فرصة الاستيلاء عليها، وكان مقدم الداوية فيليب

نابلي Philippe de Nabuls هو الذي يمثل أعلى الأصـوات المعارضـة لمشروع غزو عموري والصليبيين لمصر، فقد أعلن صراحة أنه لن يشترك في هذا المشروع، وقد كان الداوية محقين في معارضـتهم إذ انتهـى هـذا المشروع بفشل عموري بالفعل في النيل من مصر، وعاد إلى بيت المقـدس بخفى حنين في سنة ١١٦٩م، وسب عموري ــ بعد ذلك ــ كل مـن أشـار عليه بقصد مصر.

واختلف موقف الداوية فيما يتعلق ببلاد الشام، إذا استطاعت الداوية بما لها من نفوذ أن تقنع خليفة عموري وهو ابنه (بلدوين الرابع) بضرورة بناء قلعة لها عند مكان يعرف باسم مخاضة الأحزان، وبالفعل تم بناء هذه القلعة في أكتوبر عام ١١٧٨م، وسلمت للداوية ،، الذين زودوها بحامية قوية، أمدوها بالمال والسلاح، وأصبحت مهمتها الأولى قطع الطرق علـى قوافـل المسلمين، مما دفع صلاح الدين إلى محاصرتها، ووقع مقدم الداوية إدو سان أومون Eude de St. Amand وعدد كبير من الصليبيين نتيجة للحصـار (١١٧٩م) وقعوا في الأسر، وسيق مقدم الداوية الأسير إلـى أحـد سـجون دمشق، حيث مات بعد عام واحد فقط، وبعد أن رفض الصليبيون أن يـدفعوا فدية له، تبعًا لقانون الداوية، الذي ينص على ألا تدفع فدية للداوية على أساس أن فارس الداوية لا يمتلك ما يقدمه كفدية.

واشتدت كراهية الداوية للمسلمين، لذلك شاركوا الفارس اللـص (رينـو شايتون) في الهجوم على قوافل المسلمين، ومحاولته مهاجمة بـلاد الحجـاز (٥٧٩هـ/١١٨٣م) ولكنه فشل، وكاد مقدم الداويـة جيـرار ريـد فـورت Gerard de Ridefort أن يقتل، وفقد الداوية أعداد كبيرة من رجالهم، مما دفع جيرار إلى أن يضع تحت تصرف جاي لوزنيان ــ ملك بيت المقدس منذ عام ١١٨٥م ــ تلك الأموال التي كان يرسلها الملك هنـري الثـاني ملـك إنجلترا سنويًا، والتي كانت مودعة في خزائن الداوية، كذلك أمد جيرار جاي بجنود مرتزقة استأجرهم بتلك الأموال، حتى يستطيع التصدي للمسلمين.

ولعب جيـــرار مقـــدم الداويـــة دورًا هامًـــا فـــي معركـــة حطـــين (٥٨٣هـ/١١٨٧م) فقد شارك أرناط ـــ صاحب حصن الكرك ـــ الرأي في التحرك نحو طبرية لمفاجئة صلاح الدين، وكان هذا ما تمنـــاه المســـلمون، ودارت معركة حطين، وكان من بين أسراها جيرار مقدم الداوية، واســـتولى صلاح الدين بعد ذلك على عدد من القلاع الهامة للداوية، وما احتوتـــه مـــن أملاك ومنازل وضياع، فأخذها بما فيها من غلال ومتاع.

على أية حال إذا كانت فرقة الداوية، قد استطاعت أن تقـــوم بـــدورها كاملاً، في أول الأمر، فإنها لم تلبث أن تحولت عن مبادئهـــا وأغراضـــها، عندما زادت امتيازاتها، وكثرت ثرواتها، وبدأ أعضائها ينغمسون في الترف المادي، ومالوا إلى حياة الترف والتنعم، وكونوا ثروات هائلة، بحيث أصبح تنظيمهم، من أهم المؤسسات المالية في العصور الوســـطى، ومـــنهم مـــن تخصص في الأعمال المصرفية هذا من ناحية، ومن ناحية أخـــرى أخـــذت الداوية تتدخل فيما لا يعنيها، حتى أن رؤسائها لم يحجموا عن الدخول فـــي منازعات مع بطريرك القسطنطينية نفسه، مما عجل بنهايتهم.

النص التاسع عشر

البابا أنوسنت الثالث يحظر على البنادقة الاتجار مع المسلمين

مقدمة الترجمة :

شاركت المدن البحرية الإيطالية بنصيب في الحروب الصليبية، ولكن اهتمامها كان يتركز على مصالحها التجارية بشكل كبير، فد حاولت هذه المدن الحصول على امتيازات تجارية في كل موانئ مدن شرق البحر المتوسط ومدن البحر الأسود، وذلك للإعفاء من دفع الرسوم أو على الأقل تخفيضها بالنسبة لتجارهم، كذلك سعت هذه المدن لإقامة أحياء لها في قليل من المدن، تتألف من مباني، وساحات، ليقيم فيها وكلائها ورعاياها.

وارتبطت هذه المدن بعلاقات تجارية كثيرة مع المسلمين، استطاعت تنميتها بمهارة وأنانية، مستغلة الحروب الصليبية لزيادة نشاطها التجاري. وعلى الرغم من أن الكنيسة كانت مسرورة ومبتهجة بمساعدتهم في الحروب الصليبية ضد المسلمين، إذا بها تجدهم بعد ذلك عنصرًا معوقًا، وذلك لأنهم كانوا يرغبون في إنهاء العمليات الحربية في أقرب وقت ممكن، وذلك حفاظًا على مصالحهم التجارية وامتيازاتهم.

وقد اتخذ البابوات موقفًا مفاده أنه لا ينبغي أن تكون هناك معاملات وعلاقات سلمية بين المسيحيين والمسلمين، لذلك حاولوا منع كافة أنواع المعاملات التجارية مع المسلمين، وهذا الخطاب الموجه من أنوسنت الثالث إلى رعايا البندقية، يوضح موقف البابا من هذا الموضوع (الحظر)، ويخبرنا عن بعض السلع التجارية الرئيسة، ويوضح كيف كان البابا مضطرًا لأن يقدم تنازلات للنشاط التجاري أو منح امتيازات للنشاط التجاري.

نص المرسوم

مساندة للإقليم الشرقي ودعمًا له [يقصد الكيانات الصليبية فـي بـلاد الشام] فبالإضافة إلى غفران الذنوب والخطايا، الذي وعدنا به هؤلاء الـذين رحلوا إلى هناك على نفقتهم، ومنحنا الحماية البابوية لمن يسـاعدون هـذا الإقليم، فإننا نجدد قرار مجمع اللاتيران [الذي عقد برئاسة البابـا اسـكندر الثالث في عام ١١٧٩م] الذي يُحرم من الكنيسة المسيحيين الـذين يمـدون المسلمين ويزودونهم بالأسلحة، والحديد، والأخشاب اللازمة لبنـاء سـفنهم، والذين يعملون في خدمة المسلمين في قيادة دفة سفنهم أو يعملوا بأي طريقة أخرى على متن سفنهم وغيرها من حرف القرصنة. وأقـر (أي المرسـوم) علاوة على ذلك أن يصادر الأمراء العلمانيون وقناصل المدن ممتلكاتهم، وإذا أسر أي شخص منهم فإنه يصبح عبدًا لمن أسروه.

ونحن نُحرم أيضًا من الكنيسة كل هؤلاء المسيحيين الذين سيقدمون أي شيء للمسلمين بشكل مباشر أو غير مباشر، كما سنحرم من الكنيسة أيضـًا كل من سيحاول أن يقدم الدعم والمساعدة للمسلمين بأية طريقـة طالمـا أن الحرب بيننا وبينهم سوف تستمر.

ولكن وصل مؤخرًا لدانا العزيزان اندرياس دونـاتوس Andreas Donatus وبندكت جريليون Benedict Grilion سفيرا البندقية، ووضحا لنا ما عانته مدينتكم من خسائر فادحة من جراء مرسومنا هـذا، نظـرًا لأن البندقية لا تعتمد على الزراعة ولكنها تعتمد على الملاحة والتجـارة. ولكـن حبنا الأبوي الذي نكنه لكم هو الذي يدفعنا إلى منعكم من تقـديم المسـاعدة للمسلمين، ببيعكم لهم أو بإعطائكم إياهم، أو بتبادلكم معهم الحديـد، ونسـيج الكتان، والقار، والآلات الحادة، والحبال، والأسـلحة، والسـفن، والشـواني Galleys[1]، والأخشاب سواء إن كان مصنعة أو في حالتها الأولية. ومـع ذلك فإننا نعلن في الوقت الحاضر ـ وحتى يصدر ما هو عكس ذلك ـ السماح

---

(١) الشواني ومفردها شانية وهي السفينة الحربية الكبيرة.

لمن يذهبون إلى مصر بأن يحملوا إليها أنواعًا من البضائع والسلع متى كان ذلك ضروريًا. وفي مقابل هذا الامتياز لابد وأن يكون لــدى هــؤلاء إرادة تدفعهم إلى الذهاب لمساعدة بيت المقدس، ويجب ألا تحــاولوا الــتملص أو التهرب من أمرنا الرسولي هذا. وما من شك في أن مــن يفتقــد الضــمير، سيحاول باحتيال التهرب من هذا الحظر، وعندئذ سيكون عرضــة للإدانــة الإلهية (الكهنوتية).

التعليق على نص البابا أنوسنت الثالث
يحظر على البنادقة الاتجار مع المسلمين

تسابق البنادقة إلى العمل بالتجارة لموقع المدينة الجغرافي، واستقرار نظمها السياسية، وما حاباها الله به من الثروات الطبيعية خاصة الملح ــ وكان من أهم سلع العصور الوسطى ــ فضلاً عن عدم وجود أرض زراعية بالبندقية، علاوة على أن العمل بالتجارة كان مغريًا ومدرًا لأرباح كثيرة.

أما عن العلاقات التجارية بين البندقية ومدن العالم الإسلامي فترجع إلى عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، عندما اشتروا رقيقًا من روما، وباعوه في بعض المدن الإسلامية، وكانت هذه التجارة هي أصل قدومهم إلى الشواطئ الإسلامية، وازدهرت التجارة بين البندقية ومدن العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، فقد حمل البنادقة إلى الشرق الأقمشة والأخشاب والأسلحة، واشتد نشاط البنادقة التجاري مع مصر في العصر الفاطمي، وكثر التجار البنادقة في الإسكندرية ودمياط وطرابلس وإنطاكية، وبدأت العلاقات التجارية تتوطد بينهم وبين هذه المدن.

ونشبت الحروب الصليبية عام ١٠٩٥م ونجح الصليبيون في تأسيس إمارات الرها وطرابلس وإنطاكية ومملكة بيت المقدس، وذلك كله بمساعدة الأساطيل البندقية التي سهلت على الصليبيين الاستيلاء على مدن ساحل الشام؛ وكان لذلك أكبر الأثر في توتر العلاقات بين البنادقة وبين مصر، وتوقف النشاط التجاري بينهما، خاصة بعد أن أصدر دوج البندقية بطرس زياني Pietro Ziani قرارًا بتحريم الاتجار مع مصر، خاصة بعد أن حصل البنادقة على امتيازات تجارية سخية من صليبي الشام، منها الإعفاء التام في بعض الأحيان من الرسوم الجمركية، وحرية التجارة المطلقة مع بعض المدن الصليبية، وحق إقامة المنشآت التجارية وغيرها في هذه المدن، ولم يكن في استطاعة البنادقة الحصول على مثل هذه الامتيازات من الفاطميين.

ومع ذلك فإن البنادقة كانوا ينتهزون أي فرصة لتحقيق أكبر قسط من المكاسب والأرباح ولو على حساب الصليبيين والكنيسة والبابوية، فالتجـارة في نظر البنادقة مثل السياسة لا تعرف العواطف أو اختلاف الأديان، ولكنها تعرف الربح والخسارة والمصالح المشتركة، كما أن شعارهم هو " لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين " فالكسب المادي هو باعثهم الأساسي وليس الباعث الديني، لذلك عقد البنادقة معاهدة تجارية مع صلاح الـدين سـلطان مصر في عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م، حصلوا بمقتضاها علـى امتيـازات فـي مصر، ولم تفلح المراسيم التي أصدرتها البابوية لمنع التجار الأوربيين بمـا فيهم البنادقة من التعامل التجاري مع المسلمين في الشرق.

وقد وضعت المجامع الكنسية اللبنات الأولى لسياسـة الحظـر التـي فرضتها البابوية على التجارة مع المسلمين، بداية من مجمع اللاتيران الثالث Lateran III الذي عقد في سنة ١١٧٩م، واتخذ قرارًا بحظر تصدير السلع الحربية إلى المسلمين أو تقديم العون لهم في النواحي الحربية وغيرها، حيث نصت إحدى قرارات هذا المجمع على أن : " يطرد من رحمة الكنيسة كـل المسيحيين الآثمين، الذين يمدون المسلمين بالأسـلحة والحديـد والأخشـاب اللازمة لبناء السفن، والذين يخدمون على متن السفن الإسلامية، أو يقـدمون الدعم للمسلمين في حروبهم ضد المسيحيين، كما تصادر السلطات العلمانيـة أموالهم وممتلكاتهم، وإذا تم القبض عليهم يصبحون عبيدًا لمن يقبض عليهم".

وكان هذا القرار بمثابة اللبنة الأولى في صرح الحظر.

ولم يكتف البابا اسكندر الثالث بذلك، بل أصدر قرار الحرمان كـذلك ضد كل أوربي يقوم بتقديم مساعدة مباشرة أو غير مباشرة للمسلمين.

ولم يعبأ البنادقة بقرارات البابا، واستمرت حركة التجارة بينهم وبـين مصر والشام بدليل أنه شوهد عام ٥٨٧هـ/١١٩٠م في المياه المصرية عدد كبير من السفن البندقية، وسفن بعض المدن التجارية الأخرى، قدر بحـوالي سبع وثلاثين سفينة تجارية قادمة من البندقيـة ومـن بـاقي الجمهوريـات

الإيطالية، مما يدل على أن العلاقات التجارية بين مصـــر والبنادقـــة ظلـــت قائمة، رغم قرارات مجمع اللاتيران الثالث.

وفي سنة ١١٩٨م، تولى كرسي البابوية واحد من ألمع البابوات الذين تولوا هذا المنصب فـــي العصـــور الوســـطى، وهـــو لـــوثرأوف ســـيجني (Lothar of Segni) الذي عرف باسم البابا " إنوسنت الثالـــث " (١١٩٨-١٢١٦م) وهو ينتمي إلى عائلة رومانية عريقة هـــي عائلـــة Canti ســـادة مقاطعة سيجني، وكان يبلغ السابعة والثلاثين من العمر، حين تولى منصـــب البابوية.

وقد درس أنوسنت الثالث اللاهوت في باريس على يد بطرس كوربيل Peter of Corbeil وهو واحد من ألمع الرجال في هذا العلـــم، كمـــا درس أيضًا القانون في بولونيا على يد واحد من أشهر رجال القانون في إيطاليـــا وهو Uguccio of Ferrera. واتصف بالفطنة والطموح، وصفاء الـــذهن، فضلاً عن كونه من رجال السياسة.

شغل البابا أنوسنت الثالث عرش البابوية لمدة تقرب من تسعة عشـــر عامًا (١١٩٨-١٢١٦م) جمع خلالها بين السياسة والدين، وأعلى من شـــأن البابوية، وأكد حقيقة سلطتها، واسترد نفوذها في إيطاليا، وعبر جبال الألب، وفرض الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فرضـــًا علـــى كنيســـة القســـطنطينية الأرثوذكسية، ولم يتهيب في أن ينزل قرار الحرمان على إنجلترا وفرنســـا، وقل أن تجد بلدًا أوربيًا خلى من تدخله في شئونه بما يبدو أنه للصالح العام، بذلك نجح البابا إنوسنت الثالث في إن يجمع في شخصه الســـلطتين الدينيـــة والدنيوية، ومن ثم أصبح صاحب السلطة المطلقة في كل شيء.

وكان أنوسنت يؤمن إيمانًا جازمًا بوجوب سيطرة الكنيسة الغربية على السياسيات الداخلية والخارجية في الأقطار الأوربية، ومعالجـــة المشـــكلات السياسية وفق مخططات تضعها الكنيسة وكان أنوســـنت شـــديد الاعتـــزاز بالبابوية، شديد الثقة فيها، وفي قدرتها على حل جميع المشكلات. وقد نظـــم

أنوسنت الكنيسة داخليًا ودعم سلطاتها ونفوذها في روما ذاتها وعمد على فرض نفسه حاميًا للعرش الصقلي، كما تدخل في إثارة الفتن المحلية في بعض الولايات الإيطالية.

ولم يأل البابا أنوسنت الثالث جهدًا في ترجمة قرارات المجامع السابقة، خاصة مجمع اللاتيران الثالث إلى واقع فعلي وملموس، لذلك قام هذا البابا في عام ١١٩٨م بإصدار مرسوم يمنع فيه البنادقة من المتاجرة مع المسلمين وهو موضوع النص الذي بين أيدينا.

والمرسوم الذي أصدره البابا أنوسنت ليس إلا تجديد للمرسوم الذي أصدره من قبل البابا اسكندر الثالث عام ١١٧٩م، فقد جاء فيه : " نجدد قرار مجمع اللاتيران الذي يحرم من الكنيسة هؤلاء المسيحيين الذين يزودون المسلمين ويمدونهم بالأسلحة والحديد والأخشاب اللازمة لبناء سفنهم، وهؤلاء الذين يخدمون المسلمين بالعمل على متن سفنهم " كما قرر المرسوم أن يصادر الأمراء العلمانيون وقناصل المدن ممتلكاتهم، وإذا أسر أي شخص منهم فإنه يصبح عبدًا لمن أسروه، كما أصدر البابا قرار الحرمان ضد كل المسيحيين الذين سيقدمون أي شيء للمسلمين بطريق مباشر أو غير مباشر، كذلك يحرم من الكنيسة كل من يحاول تقديم الدعم والمساعدة للمسلمين بأية طريقة، طالما أن الحرب بينهم سوف تستمر.

ومن أهم السلع والبضائع، التي حرم المرسوم على البنادقة حملها، إلى المسلمين : الحديد والقار والآلات الحادة والحبال والأسلحة والسفن والأخشاب سواء كانت مصنعة أم في حالتها الأولية، ومع ذلك فحينما شكت البندقية من الضرر الذي لحق بها من جراء مرسوم البابا أنوسنت الثالث فقد عاد البابا، وسمح لها بالمتاجرة مع المسلمين، ولكن في السلع الأخرى غير المحظورة وذلك لقاء تقديمها يد المساعدة لمملكة بيت المقدس.

لم يعبأ البنادقة كعادتهم بقرار البابا أنوسنت الثالث، ولم تتوقف العلاقات التجارية بينهم وبين مصر بل ظلت قائمة، فبعد وفاة صلاح الدين

أرسل البنادقة سفراءهم لعقد معاهدات تجارية في القاهرة مع السلطان العادل الذي أصبح سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م سلطانًا على مصر.

وتنص المعاهدة على حماية البنادقة في أرض السلطان، وحماية مـن يصحبونهم من الحجاج إلى بيت المقدس، ورعاية التجار البنادقة وحمـايتهم، وحسن معاملتهم، وعدم إجبارهم على دفع ضرائب أكثر مما هـو مقـرر، فضلا عن تشييد فندق جديد لهم غير فندقهم القديم، وهكذا لـم يفلـح البابـا إنوسنت الثالث مع البنادقة، فلم تنفذ البندقية حظره، بـل سـاهمت البندقيـة وبذلت جهدًا كبيرًا في تحويل الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م عن مصـر، حفاظًا وحرصًا على مصالحها التجارية هناك، إلا الإمبراطورية البيزنطيـة وإمبراطورها الكسيوس الثالث إنجيلوس ضيق الخناق على البنادقة وجاليتهم بالقسطنطينية.

النص العشرين

حياة الطلبة في جامعة باريس

مقدمة الترجمة :

إن سلوك الطلاب في باريس كان يقود العميد الجديد إلى حتفه هلاكه. فمن المؤكد وقوع مشاجرات متكررة بين سكان المدينة وجماعة الطلاب والأساتذة. ولكن ربما كانت المعارك بين الطلاب أنفسهم أكثر وأشد ضراوة، وبصفة خاصة بين الطلاب من الجنسيات المختلفة، فهم يدركون وضعهم القانوني الخاص، لذلك غالبًا ما كانوا يتسلحوا بالعصى والهراوات، إن لم يكن بالسكاكين. فالكثير منهم لم يكونوا طلابًا على الإطلاق، إنما يضيعون حياتهم في استهتار Gay (ويعيشون) حياة عنيفة قاسية، تلك الحياة التي تظهر من خلال أغنيات جوليارديك[1] Goliardic في لمحة سريعة.

الفقرة التالية لجاك من فيترى Jacques de Vitry (حوالي ١١٨٠ — حوالي ١٢٤٠م) وهو الأسقف ورجل الدين الشهير البارز، علاوة على ذلك فقد قام بالدعوة للحرب الصليبية ضد الالبجينسيين Albigensians[2] في شتاء عام ١٢١١-١٢١٢م.

نص الترجمة

لا يفعل كل الطلبة تقريبًا شيئًا على الإطلاق في باريس — المواطنون منهم والمغتربون — إلا تعلم أو سماع شيء جديد، فيدرس البعض لتحصيل المعرفة فحسب أي الفضول وحب الاستطلاع، ويدرس البعض الآخر لاكتساب الشهرة، أي الزهور والغرور، ومازال هناك فريق آخر يدرس رغبة في الكسب والربح، أي الطمع والجشع وحب المال، ورذيلة السيمونية. ويدرس القليلون جدًا من أجل تثقيف أنفسهم وتثقيف غيرهم. وكان الطلبة يتشاحنون ويتنازعون فيما بينهم، ليس فقط بسبب اختلاف طوائفهم أو بسبب

---

(١) انظر ما يلي في التعليق على النص.
(٢) انظر ما يلي في التعليق على كاتب النص.

بعض المناقشات والجدل فيما بينهم، ولكن تسببت الاختلافات فـي الأقـاليم والبلدان في إثارة النزاعات، والضغائن والحـزازات والعـداوات والأحقـاد الشديدة فيما بنيهم. وكانوا يكلون لبعضهم البعض وفي وقاحـة كـل أنـواع الإهانات والسباب.

وهم يؤكدون أن الإنجليز مدمنو خمر، ولهم ذيول Tails[1]، وأن أبناء فرنسا متكبرون، مخنثون، يتزينون بعناية كالنساء، وقالوا أن الألمان يتميزون بالعنف والشراسة، ويفقدون الوعي في أعيادهم، أما النورمان فهم مغرورون يتهون فخرًا، وسكان بواتييه Poitevans خونة (من طابعهم الغـدر) وهـم مغامرون، مخاطرون دائمًا. ويعتبرون البرجنديين سوقة أغبياء، أما سـكان مقاطعة بريطاني Bretons فقد اشتهروا بأنهم هوائيون متقلبون، وغالبًا كانوا يعيرون لمقتل آرثر Arthur. واتصف اللمبارديون بالجشع وحـب المـال، وبأنهم أشرار جبناء، أما الرومان فهم متمـردون، مشـاغبون، مفتـرون. الصقليون طغاة، ظالمون جائرون.

ويعشق سكان برابانت Brabunt سفك الدماء، وإثارة الفتن والقلاقل، وهم قطاع طرق، مغتصبون. أما الفلمنكيون (سكان الفلاندرز) فهم متقلبـون مسرفون، مهتمون للطعام، ناعمون كالزبد، كسالى.

وبعد هذه الإهانات بالكلمات غالبًا ما كانوا (أي الطلاب) يتقـاتلون أو يتشابكون (بالأيدي).

ولن أتحدث عن علماء المنطق والا تطير أعينهم بالتالي إلـى " قمـل مصر The lice of Egypt " مثلما يقال لكل أصحاب المناقشات السفسطانية الذين لا يستطيع أحد فهم خطبهم البليغة، كما يقول اشيعا (النبي) " ليس هناك

---

(١) يقصد بها هنا أنهم كالحمار رمز بلادة الذهن والجهل والغباء، وقد كان الشاعر نيجل Nigel يهجو الطلبة الإنجليز الذين يتلقون العلم في باريس في شخصية حمار يدعى برونيللوس Brunellus الذي أمضى في باريس سبع سنوات دون أن يـتعلم كلمـة واحدة.

حكمه "[1]. أما أساتذة اللاهوت " الذين يقعدون في مقعد موسى " فقد تشبعوا بالتعليم، ولكن محبتهم (أي للتعليم) لم تكن بهدف التثقيف، كان عملهم التعليم دون ممارسة العلم، حتى أصبحوا كالنحاس الرنان أو الصـــنبح الطنانـــة. أو مثل قناة من الحجر جافة دائمًا، كمن يجب عليهم أن يحملوا الماء إلى " قاع نهر من التوابل ". وهم لا يكرهون بعضهم البعض، ولكـــن يغـــرون طلبـــة الأساتذة الآخرين بإطرائهم لهم أو بمعسول كلامهم، فقد كان كل منهم يسعى لتحقيق مجده الشخصي، دون العناية مثقال ذرة بخلاص الأرواح وصـــلاح النفوس.

---

(١) جاء في العهد القديم، صفر أشعيا، اصحاح ٥ ، آية ٣١ ما يلي [ويل للحكماء فـــي أعين أنفسهم، والفهماء عند ذويهم].

التعليق على نص الطلبة في جامعة باريس

أولاً : كاتب النص (جاك الفيتري Jaque de Vitry) أو يعقوب الفيتري :

ولد جاك أو يعقوب في بلدة فيتري الواقعة على نهر السين شمال فرنسا، ومن المحتمل أن يكون مولده بين عامي ١١٦٠-١١٧٠م، فالمؤكد أنه من مواليد القرن الثاني عشر الميلادي، وذهب جاك إلى باريس من أجل الدراسة خلال الفترة من (١٢١١-١٢١٦م) فدرس اللاهوت، والقانون الكنسي، وصار رجلاً من رجالهما البارزين، كذلك درس في باريس النقد الاجتماعي، وقد أثرت هذه الدراسة تأثيرًا قويًا في كتاباته التاريخية، عندما أخذ يوجه انتقاداته الصارخة تجاه المجتمع الأوربي، وعلى وجه الخصوص ضد الفساد الخلقي لرجال الدين المسيحيين.

وبعد الانتهاء من الدراسة أصبح راهبًا بدير القديس نيقولا دويني، وذلك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وتقلد فيتري العديد من المناصب الدينية، فضلاً عن أنه كان واعظًا متقد الحماسة.

وسرعان ما أصبح فيتري أحد قادة عصره، أثر في الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي تأثيرًا عظيمًا شبهه معاصروه ببطرس الناسك في القرن الثاني عشر الميلادي، فقد دعا في البداية للحملة الصليبية ضد الالبيجينسيين في عام ١٢١٢م — هم طائفة ليس لها نمط حياة خاصة بها، ظهرت في جنوب فرنسا — ثم كرس فيتري حياته لاستعادة القبر المقدس (كنيسة القيامة)، لذلك شارك في الحملة الصليبية الخامسة على دمياط (١٢١٨-١٢٢٢م) إذ تولى قيادة العمليات العسكرية بأكملها في هذه الحملة بوصفه ممثلاً للبابوية، كما كان يشغل منصب بطريرك عكا منذ عام ١٢١٦م، ولذلك ظل في فلسطين حتى عام ١٢٢٧م، وعاد بعد ذلك إلى أوربا ثانية.

وفي عام ١٢٢٩م ذهب فيتري إلى روما حيث تنازل للبابا جوريجوري التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) عن منصبه بصفته بطريركًا لعكا، ولكن البابا رقاه إلى رتبة الكاردينال، ثم عمل ممثلاً للبابا في كل من فرنسا وألمانيا، وأخيرًا تقلد منصب بطريرك بيت المقدس، ولكنه توفى في روما ٣٠ أبريل عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم مقاليد منصب البطريرك.

ومن مؤلفات يعقوب أو جاك فيتري كتاب " تاريخ بيت المقدس "[١]، ويبلغ عدد فصول هذا الكتاب تسعة وتسعين فصلاً، فُقِدَ معظمها لذلك أطلق على هذا الكتاب اسم " المقتطف من كتاب المختصر لتاريخ بيت المقدس " فقد فُقِدَ منه ما يقرب من ستة وعشرين فصلاً، هي من الفصل الثاني إلى الفصل العشرين، ومن الفصل الخامس والثمانين إلى الحادي والتسعين. وتحدث فيتري في بداية كتابه هذا عن أهمية بيت المقدس بالنسبة للمسيحيين، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ثم تحدث عن الاستيلاء عليها، مع الإشارة إلى عدد الفرنجة الصليبيين الذين استقروا فيها في بداية الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة، كما أشار إلى أعمال ملوك بيت المقدس من الصليبيين، من حيث تشييدهم للقلاع، واستيلائهم على المدن والقرى، ومحاربتهم للقوى الإسلامية المجاورة، فضلاً عن أنه وصف المسلمين بأوصاف لا تليق بهم مثل نعتهم " بالكفار تارة وبالسراقنة تارة أخرى) ويرجع سبب تحامل الكاتب على المسلمين إلى الوحدة التي حققوها، واستطاعوا من خلالها الانتصار في حطين، واستعادة مدينة بيت المقدس وغيرها من المدن الشامية.

ويتضح من هذا الكتاب أن فيتري كان متعصبًا لأبناء بلده، فيظهرهم وكأنهم أبطال لا يخطئون، وقد ظهر ذلك من خلال تحامله على الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، ومدحه للملك الفرنسي فيليب أغسطس، وعلى الرغم من أنه يفهم من عنوان الكتاب، أنه تاريخ قاصر على مدينة بيت

---

(١) قام بترجمته إلى العربية، وعلق عليه سعيد البيشاوي، الأردن، ١٩٩٨م.

المقدس إلا أن مؤلفه تحدث عن فلسطين بصفة عامة، وأشار إلى الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي كانت سائدة بها خلال تلك الفترة.

ويعتبر فيتري من كتاب التاريخ الوعظي Pulpit History وأصحاب هذا اللون من الكتابة التاريخية يكرسون أنفسهم للوعظ والتبشير، ومن ثم فهم ليسوا مؤرخين بالمفهوم الحقيقي للكلمة، بل زجوا بأنفسهم في مجال التأريخ بغية تأكيدهم على قيمة التاريخ كمصدر للعظات والعبر. ويظهر ذلك بجلاء في مؤلف فيتري "تاريخ الشرق" وقد قسمه فيتري إلى قسمين :

الأول : يتناول وصف الأراضي المقدسة وأوضاع الصليبيين في بلاد الشام في الفترة التي عاشها الكاتب؛ وشارك في معظم أحداثها.

الثاني : يشمل تاريخ الكنيسة الغربية آنذاك، وتدهور أوضاعها، وما أنتشر فيها من الفساد والرشوة وسوء خلق رجال الدين، وتخاذلهم عن واجبهم في مواجهة التطرف، الذي انتشر في جنوب فرنسا، بصفة خاصة، ضد تعاليم العقيدة الكاثوليكية.

والحقيقة أن عملية الوعظ والإرشاد، التي قام بها فيتري وزملاءه من رؤساء الأساقفة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، كانت السمة التي اتسمت بها الحركة الصليبية آنذاك، ذلك لأن صوت الواعظ والمبشر — من وجهة نظر البابوية — كان هو الأداة والوسيلة، التي عولت عليها البابوية لإقناع الغرب المسيحي، بحشد طاقاته وإمكانياته المادية والبشرية في صورة حملة صليبية ضد الإسلام والمسلمين في المنطقة العربية من جهة، وضد الخارجين على تعاليم الكنيسة الغربية الكاثوليكية من جهة أخرى.

وقد ترك فيتري إلى جانب مؤلفاته السابقة مجموعة من العظات الدينية الشعبية، ترجع أهميتها إلى أنها تظهر مدى انحدار المستوى الثقافي والفكري في المجتمع الأوربي آنذاك. وذلك علاوة على ما خلفه من مجموعة

الخطابات والرسائل والتقارير، التي كان يرسلها تباعًا إلى الكرس البابوي في روما أثناء وجوده في الشرق.

وقد كتب فيتري مؤلفاته التاريخية وعظاته الأدبيـــة الشـــعبية باللغـــة اللاتينية الرفيعة، الراقية، التي لم يستخدمها في القرن الثالث عشر الميلادي، إلا العدد القليل من أبناء الأسر النبيلة من أمثال فيتري، ولعل ذلك ما جعله " زهرة بين الأشواك " كما يشبهه أستاذه ومعلمه " بطرس المنشد ".

ثانيًا : التعليق على النص :

جامعة باريس : (جامعة الأساتذة) اللاهوت والفلسفة :

إذا كانت جامعة بولونيا تعد الجامعة الأم بالنســبة لجامعـــات البحـــر المتوسط إذ تفرعت عنها بعد ذلك تلك الجامعات، فإن جامعة باريس تعد أمًا لجامعات شمال أوربا وغربها.

وترتبط شهرت جامعة باريس بالفيلسوف (بطـــرس ابـــيلارد ١٠٧٩-١١٤٢م) وعصره، يعد ابيلارد أهم شخصية فلسفية في القرن الثاني عشـــر للميلاد، بل ومن أعلام الفلسفة واللاهوت في تاريخ العصور الوسطى قاطبة، كذلك يعد من أبرز رجال المنطق والجدل في عصره. وهو صاحب فلســـفة الشك في كل شيء، حتى في طبيعة السيد المسيح، تولى ابيلارد التدريس، في كاتدرائية باريس، التي تفرعت عنها جامعة باريس، ودعا إلى استخدام العقل وتحريره من كل قيود الكنيسة، وكان مبدأه في التعليم مناقشة ما يعرضه على تلاميذه من الحقائق حتى الدينية منها مناقشة عقلية بحتة، فما وافـــق العقـــل قبله، وما خالفه رفضه بغض النظر عما جاء في كتب الدين. لذلك ظهـــرت بظهور ابيلارد حركة تحكيم العقل، وإتباع منطق أرسطو واستخدام أســـلوب الأسئلة للوصول للحقيقة، ومن أهم كتبه " نعم ولا " الذي أسهم فـــي تكـــوين المذهب المدرسي، كذلك دعا ابيلارد إلى عدم اتخاذ رجل الدين كوسيط بين الفرد وربه.

وقد جذبت شهرة ابيلارد كثيرًا من طلاب العلم إلى باريس، حتى اكتظت طرقاتها، وازدحمت بالطلاب الذين توافدوا عليها من مختلف أنحاء الغرب، والذين استدعت كثرتهم زيادة عدد الأساتذة الذين يقومون بالتدريس لهم، ومن ثم فإن نشأة جامعة باريس ترتبط ارتباطًا وثيقًا بشخصية ابيلارد وشهرته. هذا ويعد ابيلارد واحدًا من مجموعة ضخمة من كبار الأساتذة الذين زخرت بهم باريس، ولعل هذا ما دفع أحد الكتاب المحدثين إلى القول " بأن باريس أصبحت مدينة الأساتذة " أو " أول مدينة للأساتذة عرفتها العصور الوسطى". وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الأساتذة شأنهم شأن طلاب هذه الجامعة وفدوا إليها من جميع أرجاء أوربا.

ونظرًا لتزايد أعداد الأساتذة لتعليم تلك الأعداد الغفيرة من الطلبة فقد انتهى الأمر بقيام رابطة أو نقابة أو جامعة للأساتذة Uinversitas Magistrorum . أم عن **مهمتها**، فهي تنظيم أمور هؤلاء الأساتذة، وعلاقاتهم بعضهم ببعض من ناحية وعلاقتهم بالمجتمع المحيط بهم من ناحية أخرى.

ويرجع تكوين نقابة الأساتذة إلى عام ١١٧٠م، ومنذ ذلك الحين أخذ نفوذ نقابة الأساتذة في الازدياد، حتى صارت هي المهيمنة على مستوى الجامعة، ومن ثم فإن إدارة جامعة باريس كانت في أيدي الأساتذة لا في أيدي الطلبة مثلما كان الحال في جامعة بولونيا.

على أية حال سرعان ما أصبحت رابطة الأساتذة هي أساس جامعة باريس وذلك فيما بين سنتي ١٢٠٨ و ١٢٠٩م وأصبح لها وضعها القانوني المعترف به، ولها لائحتها، وخاتم رسمي تختم به أوراقها، بل وصدرت عدة مراسيم تحدد الزي الأكاديمي، ونظام المحاضرات؛ مع إعطائها حق تعيين الموظفين الإداريين لتصريف شئونها.

وقد أصدر البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) مرسومًا يعترف فيه رسميًا بجامعة باريس، وبحقها في إدارة شئونها بنفسها، وأن تتبادل التمثيل

مع غيرها من الهيئات والجامعات. وأنه من حق أساتذتها أيضًا تعيين مندوب عنهم في البلاط البابوي.

على أن استكمال سلطان ونفوذ جامعة باريس تطلب من أساتذتها الدخول في صراع عنيف مع (أمين أسقفية أو كتدرائية مدرسة باريس) الذي ظل لمدة طويلة يشغل منصب رئيس جامعة باريس في مراحل نشأتها الأولى، والذي كان يتمتع بالعديد من السلطات مستندًا في ذلك إلى سلطته الدينية ونفوذه الكنسي ومن هذه السلطات ما يلي :

- يمنح المدرس الذي يرغب في التدريس بالجامعة ترخيصًا منه، بمباشرة مهنته.
- حرمان من يشاء من الأساتذة المعترف بهم والحاصلين على درجتي الأستاذية والماجستير من مزاولة هذه المهنة، بل كان يستطيع أيضًا حرمانهم من الدرجة العلمية التي حصلوا عليها.
- له الحق في توقيع الجزاءات على رجال العلم العلمانيين.
- إصدار التعليمات الخاصة بتنظيم شئون الأساتذة والطلاب على السواء.

ورغم هذه السلطات التي تمتع بها أمين الكتدرائية إلا أنه لم يكن عضو في نقابة الأساتذة.

واشتد الصراع بين أمين الكاتدرائية ونقابة الأساتذة، وكثيرًا ما استنجد أساتذة جامعة باريس بالبابا، الذي وقف إلى جانبهم في أكثر من مناسبة مدافعًا عن حقوقهم ضد أمين الكاتدرائية. غير أن سلطة أمين الكاتدرائية سرعان ما أخذت في التضاؤل إلى أن زالت في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وذلك بفضل الامتيازات المتتالية، التي حصلت عليها الجامعة، وأمام مركز مدير الجامعة.

ولم تلبث جامعة باريس أن أصبحت أما للجامعات الغربية في القرن الثالث عشر للميلاد، وليس أدل على ذلك من أن بلدوين فلاندرز إمبراطور

القسطنطينية اللاتيني أرسل سنة ١٢٠٥م يطلب مساعدة جامعة باريس لـه، خاصة في ميداني الفلسفة واللاهوت. ومن ثم فقد غدت جامعة باريس قبلة رجال العلم في أوربا على حد قول أحد الباحثين.

أما عن كليات جامعة باريس :

فهي أربع كليات : اللاهوت، القانون الكنسي، الطب، الآداب.

وعلى الرغم من أن الكليات الثلاث الأولى كانت أعلى مستوى من كلية الآداب إلا أن الكلية الأخيرة، كانت أسبق في تنظيم شئونها، مما حقق لها نوعًا من الزعامة على الكليات الأخرى. لأن عمل كل كلية من الكليات الثلاث كان متصلاً بكلية الآداب، إذ كانت الدراسة بها تهدف إلى أعداد طالب لدراسة العلوم اللاهوتية المتعلقة بالكنيسة قبل أي اعتبار.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة نشأة المدن الجامعية جاءت مرتبطة بجامعة باريس وبأحد شخصياتها وهو " روبرت السربوني "، كان تاجرًا على درجة كبيرة من الثراء. ونظرًا لأن غالبية الطلاب كانوا فقراء يسكنون غرفًا فوق أسطح المنازل أو أسفلها، ويتعذر عليهم الحصول على سكن صحي، لذلك فكر " روبرت السربوني " في إنشاء دار بباريس عام ١٢٥٢م أو ١٢٥٨م وأوقفها على سكن ستة عشرة طالبًا علمانيًا من الممتازين في دراسة فلسفة اللاهوت، وصار هذا الحدث نقطة تحول خطيرة في تاريخ الجامعات إذ ترتب عليه :

أنه كان أصل فكرة إنشاء المدن والمساكن الجامعية في الغرب، ثم انتشرت الفكرة في أوربا كلها طولاً وعرضًا، ولقيت قبولاً عظيمًا في إنجلترا، كذلك كانت الفكرة بداية " للسربون الشهيرة " أهم كليات جامعة باريس، ولم يلبث أن انتشر هذا النظام فلم يكد ينتهي القرن الخامس عشر حتى كان في باريس وحدها أكثر من خمسمائة مؤسسة اجتماعية من هذا النوع، تتمتع بأوقاف واسعة من الأراضي والعقارات.

طلبة جامعة باريس :

ازداد عدد الطلاب في باريس زيادة كبيرة، وذلك لشهرة مدارس كاتدرائية باريس، ومنها مدرسة نوتردام، ومدرسة كنيسة القديس فيكتور، ومدرسة كنيسة القديسة جنفيف، وسرعان ما نمت هذه المدارس وازدهرت حتى غدت جامعة عظيمة، وكان الطلاب الذين جاءوا من ألمانيا من الكثرة بمكان وذلك لتأخر إنشاء جامعات بها حتى عام ١١٤٧م. وسرعان ما أصبحت جامعة باريس تضم طلابًا من مختلف الجنسيات والأمم من إنجليز، وفرنسيين، وإيطاليين، وألمان وغيرهم، وأدت الظروف بهم إلى أن يقسموا أنفسهم إلى طوائف كما هو معروف في العصور الوسطى.

ففي باريس كان هناك أربع طوائف رئيسة هي : طائفة الفرنسيين، النورمان، الإنجليز، البيكارديين. وقد أدى وجود هذه الطوائف ذات المشارب والأهواء والأجناس المتباينة إلى قيام المشاحنات فيما بينها، التي كثيرًا ما كانت تتطور إلى معارك دامية، لازمها ما اتصفت به العصور الوسطى بصفة عامة من عنف وفوضى، وقد عبر عن ذلك جاك فيتري أصدق تعبير.

فهو يتحدث في النص الذي بين أيدينا، بصراحة عن سلوك الجانب الأكبر، من طلبة جامعة باريس وتصرفاتهم المشينة، وأعمالهم الطائشة الحمقاء، فيذكر أن المشاحنات كانت لا تنقطع بين الطلبة، وسكان المدينة مثل الصدام الذي وقع في عام ١٢٠٠م، فقد حدث أن قام طلاب جامعة باريس في هذا العام بثورة بسبب اعتداء بعض أهالي المدينة عليهم، وقد نكل حاكم باريس، المدعو توماس عندئذ بالطلاب تنكيلاً شديدًا، مما جعل الأساتذة يستنجدون بالملك فيليب أغسطس (١١٨٠-١٢٢٣م) لرفع الضرر عن طلاب الجامعة، ويبدو أن فيليب خشي أن يؤدي غضب الأساتذة إلى تفاقم المشكلة، وأن يهجروا مدينة باريس مما يعود عليها بالخسارة، لذلك أسرع الملك فيليب في استرضائهم، فأمر بحبس حاكم باريس، وعقاب المعتدين بشدة وحزم، واشترط الملك لإطلاق سراح الحاكم، أن يوافق على عدم تعيينه مرة أخرى

في منصب الحاكم ولا القاضي، سواء في باريس أو في أي مدينة أخرى بمملكته، كذلك منح الملك فيليب براءة للجامعة، وأصدر مرسومًا في عام ١٢٠٠م لصالح طلبة جامعة باريس، وترضية لهم لما لحقهم من أضرار وقد نص على :

١- طلب من مواطني باريس، أن يتعهدوا باحترام حقوق الطلبة، ويحسنوا معاملتهم.

٢- إذا حدث أن ضرب شخص ما أحد الطلبة، واستخدم في ذلك سلاحًا أو هراوة أو حجرًا، اللهم إلا إذا كان ذلك دفاعًا عن النفس، فعلى جميع المدنيين، الذين شاهدوا الواقعة، القبض على المعتدى أو المعتدين، وتسليمهم إلى القاضي.

٣- اشترط على مدير أو حاكم باريس الجديد، أن يحترم امتيازات الجامعيين، على أن يقسم على ذلك أمام جموع الطلبة، قبل أن يباشر مهام وظيفته.

٤- أن أي طالب تقبض عليه السلطات المدنية في تهمة أو جريمة ما، يجب تسليمه للكنيسة لتتولى هي محاكمته.

٥- لا يجوز لحاكم باريس أو لقضاتها القبض على أي طالب بسبب أية إساءة مهما كانت أو حتى إيداعه في السجن، اللهم إلا إذا كانت الجريمة قد اقترفها الطالب بالفعل، مما يستدعى إلقاء القبض عليه، وفي هذه الحالة على القاضي القبض عليه حالاً دون إيذائه على الإطلاق، اللهم إلا إذا أبدى مقاومة، ثم يقوم بتسليمه إلى القاضي الكنسي، الذي يجب عليه حمايته ترضية لنا (الملك) ولمن لحقه الأذى.

٦- ألا يضع القضاة أيديهم على منقولات أو متاع طلبة باريس بسبب أية جريمة يرتكبونها، مهما بلغت جسامتها، ولكن إذا استلزم الأمر توقيع الحجز على هذه المنقولات، فسوف يتم ذلك، مع مراعاة حراستها

والمحافظة عليها، بعد صدور الأمر اللازم مـن القاضـي الكنسـي بتوقيع الحجز عليها.

يتضح مما سبق مدى حرص السلطات والملك في فرنسا على الطلاب والجامعة، فضلاً عما حظي به طلاب جامعة باريس من اهتمام فـائق مـن جانب هذه السلطات.

كذلك حدث في سنة ١٢٢٨-١٢٢٩م أن نشب نزاع بين أحد الطلبـة، وصاحب حانة في باريس، ولم تلبث دائرة النزاع أن اتسعت، حتى تحول إلى صراع بين طلبة الجامعة ونسبة كبيرة من أهالي باريس، فقتل كثيـر مـن الطلبة، وأصيب غيرهم بإصابات مختلفة، وهنا لم يجد الأسـاتذة بـدًا مـن التدخل لحماية طلابهم، فأعلنوا الإضراب عن إلقاء المحاضرات، حتى تقـدم إلى الجامعة الترضيات الكافية، وعندما وجدوا أن هذه الترضيات لم تقـدم، قرروا حل الجامعة لمدة ست سنوات، وأخذوا يهاجرون مـن بـاريس إلـى غيرها من المدن داخل فرنسا وخارجها.

على أن البابا جريجوري التاسع، لم يرض بما حل بجامعة باريس وطلبتها من هوان واضطراب، فأمر ملك فرنسـا لـويس التاسـع (١٢٢٦-١٢٧٠م)، والملكة الوالدة (بلانش القشتالية) بمعاقبة المسئولين عن تعذيب الطلبة، وفـي الوقت نفسه راع البلاط ما حل بالعاصمة من خسارة مادية ومعنوية نتيجـة لإغلاق أبواب الجامعة، وقد استمرت جامعة باريس مغلقـة طـوال سـنتي ١٢٢٩م و ١٢٣٠م في الوقت الذي أخذ مندوبو الجامعة، يواصلون جهودهم في البلاط البابوي لاستصدار المراسيم الكفيلة باسترضاء الجامعة، وإحيائها، وتزويدها بامتيازات جديدة.

وأخيرًا عاد الأساتذة والطلبة إلى باريس في أوائل سنة ١٢٣١م ليعملوا في ظل سياج من الضمانات والامتيازات الكافية. وكان أهم امتياز حصـلت عليه الجامعة في ذلك الوقت، هو المرسوم البابوي، الذي وصف بأنه " العهد الأعظم " بالنسبة للجامعة، وبمقتضاه صرح البابا للجامعة بالإضـراب عـن

العمل، إذا تعرضت لإهانة، فضلاً عن حق الجامعة في وضع اللوائح، وعقاب الخارجين على نظامها.

نص المرسوم على بعض حقوق طلاب جامعة باريس ومنها :

- ضرورة المحافظة على حقوق كل طالب وامتيازاته الجامعية.
- من غير المسموح به إلقاء القبض على أي طالب لدين له على آخر، فهذا الأمر محرمًا طبقًا للتعليمات والقوانين الكنسية، وما تقضي به الشريعة.
- حرم المرسوم بشدة على الطلاب حمل السلاح داخل المدينة، وتمنع الجامعة من حماية هؤلاء الذين يخلون بالأمن، أو يعملون على تعطيل الدراسة.
- أن من يدعون أنهم طلاب علم، ولكنهم لا يترددون على مدارسهم، ولا يعرفون أساتذتهم، فليس من حقهم التمتع بالحريات المصرح بها للطلبة.

وفي سنة ١٢٤٥م حصلت جامعة باريس كذلك من البابا انوسنت الرابع على حق جديد يقضي بعدم محاكمة الطلبة واستجوابهم، أمام المحاكم الكنسية، التي تقع بعيدًا عن باريس، حتى لا يؤدي ذلك إلى تعطلهم عن الدراسة، وإذا كان البابا قد منح الجامعة هذا الحق فيما يتعلق بالقضايا ذات الصبغة الدينية، فإن الملك لم يلبث أن خوله للجامعة بعد ذلك فيما يختص بالقضايا المدنية.

ولكن لابد من وقفة عند أسباب حدوث المشاحنات والمعارك، التي تنشب بين الطلبة بعضهم وبعض ــ والتي يدور النص حولها ــ وبصفة خاصة المعارك التي كانت تدور بين طلاب الأمم المختلفة، والتي تسلحوا فيها بالعصى والسكاكين، وتراشقوا فيها بالشتائم والسباب، من هذه الأسباب ما يلي :

أولاً : أن كثيرًا من الطلاب الذين التحقوا بالجامعة ـ كما ذكر فيتري ـ لم يكونوا طلاب علم على الإطلاق، ولكنهم في واقع الأمر كانوا يضيعون وقتهم في إثارة الفوضى والشغب، وفي اللهو والمرح، والحياة الصاخبة التي يسلط الشعر الجولياردي Goliardic Poetry ـ أي الشعر الغنائي الدنيوي ـ الأضواء عليها.

إذ تعتبر الفترة ما بين عامي ١١٢٥م ، ١٢٣٠م عصرًا ذهبيًا للشعر الغنائي الدنيوي، وهو الذي يطلق عليه في اللاتينية، الشعر الجولياردي Goliardic Poetry، ويمتاز هذا الشعر بالفكاهة والطرافة وخفة الروح، مع الابتكار والتجديد والتنوع وقد انتشر هذا اللون من الشعر في شمال فرنسا بصفة خاصة بين طلبة الجامعات الناشئة، الذين أصبحت لهم مكانة كبيرة في الشعر اللاتيني الغنائي.

وتدور موضوعات الشعر الجولياردي حول الخمر والنساء والغناء، وترمي كلها إلى الاستمتاع بملاذ الدنيا، ومباهج الحب، والشباب، والجمال، والبعد عن قيود الدين وتزمت رجاله، واتخذ الشعراء الجوليارديون البابوية والهيئات الدينية والمنظمات الديرية محورًا لسخريتهم وفكاهتهم، كما اتخذت أشعارهم قالب حوار بين الخمر والماء، أو بين رجل الدين الصغير الفقير ورجل الدين الكبير الثري، أو بين رجل الدين المنتفخ البطن المكتظ الجيب، وطالب العلم الجائع الخالي الوفاض.

وكان معظم الشعراء الجولياردييين من طلاب العلم، والطلبة المتجولين الذين ازدادت أعدادهم، وانتشرت أغانيهم في عصر الحروب الصليبية بالذات، وكانوا ينشدون أشعارهم، بغرض أساسي، وهو الحصول على ما يسد رمقهم؛ لأنهم ينتمون إلى الدرجات الدينية الصغرى في سلك الكهنوت. المهم أن هذا اللون من الشعر الغنائي، كان يعكس الجانب الأكثر مرحًا، والأشد طربًا من حياة طلاب العلم في العصر الوسيط، كما يلقى الضوء على حياة هؤلاء الطلاب الذين لا يتميزون بسيرة حسنة أو بسمعة طيبة، فهم

أشخاص يقومون من نومهم متأخرًا، وكل فرد من الجولياردبين لا يملك أكثر من سترة واحدة على ظهره، ولذلك فهم يتنقلون ـــ كما سبق أن ذكرنا ـــ من مدينة إلى أخرى مستعطفين الناس ليمدوهم بالمال، وهناك بعض أبيات تطابق ما جاء في خطابات الطلبة بهذا الشأن، منها :

أنا صبي متجــول أطلـــب المـــال،
خلقت للعمـــل الشـــاق والحـــزن،
وفي كثير مـــن الأحيـــان يـــدفعني
الفقـــــر إلـــــى الجنــــون "
والأدب والمعرفــــــــــــــــــة
كم كنت أتمنى أن أظـــل أكتســـبها،
لــــولا الحاجـــــة للـــــرزق
التي تجعلني أتوقف عن طلب العلم
فهذه الملابس البالية التي تكســـوني
كـــم هـــــي رقيقــــة وممزقــــة
وكـــم عانيـــت مـــــن البـــــرد
بعــــد أن نســــاني الــــدفء

ولكن هذا لا يعني أن كل الطلبة، كانوا على هذا المنوال، فقـد وجـد فريق ـ وإن كان محدودًا ـــ من الطلبة هدفه الأول والأخير كـــان تحصـــيل العلم، واقتناء المعرفة، والعمل الدائب المستمر المثمر.

على أية حال، فمن الأهمية أن ندرك أنه لم يكن من المتعذر، أن ينتحل أي فرد صفة طالب العلم، فليس هناك أكثر من رداء ملفت للأنظار، مثيـــر للإغراء، يرتديه أمثال أولئك الأشخاص، الذين هم ليسوا طلاب علم بـــالمرة وإنما مجرمين خارجين على القانون. ويكفي القول بأن أسوأ ضاحية إجرامية في مدينة باريس في القرن الخامس عشر، كانت تقع خلف جامعـــة بـــاريس

نفسها، وكان كثير من سكانها، يتنكرون في هيئة طلاب العلم، وما هم بطلاب علم على الإطلاق.

ثانيًا : فورة الشباب التي تجرى في عروقهم، والتي تؤدي إلى اندفاعهم وتهورهم.

ثالثًا : ظهور القوميات في ذلك الحين في الغرب، وتعصب كل أمة من الأمم داخل الجامعة لبلدها وقوميتها، فضلاً عن الخلافات العميقة الجذور، والعداء التقليدي المستحكم، بين مختلف الدول في الغرب في ذلك الحين، مثل العداء بين إنجلترا وفرنسا، والصراع بين البابوية والإمبراطورية، أو بين حزبي الجلف والجبلنين، وأثر ذلك على كل من إيطاليا وألمانيا، ولعل كل هذا قد ترك أثره في تكييف العلاقات، بين الطلاب من مختلف الأمم داخل نطاق الجامعة، إذ طبعت هذه العلاقات بطابع خاص، يبدو أثره جليًا واضحًا فيما كان يثور بينهم من خلافات ومشاحنات لأتفه الأسباب، وأحيانًا لأسباب كان الطلاب أنفسهم يفتعلونها، وكانت تأخذ في كثير من الأوقات مظهرًا عنيفًا داميًا.

وتجدر الإشارة إلى أن طالب العصور الوسطى، لم يختلف كثيرًا عن طالب اليوم، فهناك الطالب الفقير المعدم الذي لا يستطيع شراء الكتب أو الوفاء بمصاريف الدراسة، ومع ذلك فهو عادة متفوق على من هم أحسن حالاً من أقرانه، الذين لديهم وفرة من الكتب التي لا يلقون عليها نظرة واحدة على الإطلاق. وهناك أيضًا الطالب المتيسر الذي يملك إلى جانب كتبه ومكتبه شمعة تضيء حجرته، وفراشًا وثيرًا مريحًا، تعلوه مرتبة ناعمة، وعليه أغطية، تدل على الترف الذي يعيش فيه؛ وسرعان ما يقع هذا الطالب تحت عوامل الإغراء، وينغمس في الحياة الصاخبة، التي اشتهرت بها العصور الوسطى، بارتدائه الثياب الفاخرة تحت زيه الجامعي وغطاء الرأس.

النص الأول:

THE LIFE OF SAINT ANTHONY BY ATHNASIUS, ARCHBISHOP OF ALEXANDRIA

Now, by race the blessed Anthony was an Egyptian, and he was descended from a noble family, and was, indeed, an owner of slaves. His forefathers were believers, and from his earliest childhood he was brought up in the fear of our Lord; and when he was a child and was being reared among his own kinsfolk he knew nothing of his father or of what went on among his own people. He was so quiet, and his mind was so humble that he did not even trouble his parents with the work of asking questions. He was exceedingly modest, and he was honest beyond measure. He was unable to learn to read or to write because he could not bear the rough behaviour of the boys (in the school).

When his parents died, he was about 18 or 20 years old; and it happened that he had to be the ruler of the house and his sister. It came to pass one

day when he was in the church, that a righteous idea entered his mind, and that he began to meditate within himself how the blessed Apostles forsook everything and followed after our Redeemer 'and how the others who succeeded them and walked in their footsteps and sold everything which they possessed and laid the money at the feet of the apostles, that it might be spent upon the poor. whilst he was meditating these things, the lesson was being read, and he heard our Lord who said unto the rich man "if thou wishest to be perfect, go and sell everything which thou hast, and give to the poor, and take thy cross, and come after Me, and there shall be unto thee treasure in heaven."

On another First Day of the week, he had again entered the Church, at the time of the reading of the Gospel, he listened to the word of our Lord to his disciples "Take no thought for the morrow"'.

And straightway he received the commandment readily, and he went out and distributed which remained to him for his sister among the poor.

Saint Anthony did not betake himself to the

mountain at a great distance from the village, but only at a sufficient distance therefore so that he might be somewhat apart from the habitation of men. And at that time there was in another village on their borders a certain blessed old man, who from his youth up had lived a life of solitary asceticism, and this man the blessed Anthony saw, and was envious of his fair deeds. First of all he also began to live by the side of the village, in places 'which were free from the feet of men, and whilst living in this abode his mind was rent with doubt about the fair works of the ascetic life, and he gave his soul no rest, for he was constant in meditation about truth.

Now, he used also to labour with his hands, because he had heard the words, "If a man doth not work he shall not eat"; with a very little of the produce of the work of his hands he used to provide himself with food, and the rest he spent upon the poor. And he prayed continually, for he had heard the words, "Pray, and let it not be tedious unto you"; and he was wont to listen to the reading of the

Scriptures in such wise that not one word might fall to the ground, and henceforth he kept in his mind the remembrance of the commandments which he heard, and they became unto him even as the Scriptures.

Now Saint Anthony was the storehouse of fasting, and of prayer, and of ascetic practices, and of patient endurance, and of love, and of righteousness which is the mother of them all, but towards those who were young monks like himself he was not envious, except in one matter only, that is to say, he would not be second to any of them in fair works. And he worked matters in such manner that they were not only not envious of him, but they rejoiced in him and gave thankgiving for him. They used to call him "Theophilus", which is being interpreted, "God-loving", and all the righteous gave him this name; and some of them loved him like a brother, and some **of** *them like a son.*

The vocabulary of
The life of Saint Anthony by
Athansius Archbishop of
Alexandria

Forefathers = ancestors	الأجداد أو الاسلاف
bring up = rear	تربى
Kinsfolk = own people = relations	أهل أو اقرباء
Humble = modest	متواضع / معتدل
Beyond measure = for a high degree	لدرجة كبيرة
bear = carry	يحمل
Behaviour = conduct	سلوك
Happen = matter	حدث
Meditate = think	يفكر
Forsook = followed	يتبع
unto = to	لفظة قديمة تعنى لــ
Thy = your	لفظة قديمة
thee = the	لفظة قديمة
Treasure = wealth stored up	كنز
Heaven = sky	السماء
Gospel = Bible = Scriptures	الانجيل أو الكتاب المقدس
Disciples = followers	تلاميذ أو اتباع

Straightway = at once – readily	حالاً أو على الفور
Commandment = order	أمر
Distribut = divide among many persons	يوزع
Sufficient = enough	كافى
apart = a side	جانباً
Deeds = works	أعمال
fair deeds = just works or honest works	فضائل الأعمال
Meditation = thinking	تفكير
doth = want	لفظة قديمة تعنى يريد
Labour = work	عمل
Provide = supply what is needed	يمد أو يزود
The rest = remain or remainder	البقية أو الباقى
Scriputres = Bible	الانجيل أو الكتاب المقدس
Hanceforth = now	الآن
wont = habit = accustomed	معتاد
Righteousness = acting in accordance with what is just	الاستقامة أوالصلاح
Envious = envy	غيور
Theophilus = God loving	محب الله
Interpret = explain the meaning of or translate	يفسر أو يترجم

النص الثاني:

PACHOMIUS THE GREAT AND THE SONS OF HIS MONASTERY

In the Country of Thebes, and in the district thereof which is called Tabansis (Tabenna) ,there was a certain blessed man whose name was Pachomius, and this man led a beautiful life of ascetic excellence, and he was crowned with the love of God and of man. Now, therefore, as this man was sitting in his cell, there appeared unto him an angel who said unto him, "Since thou hast Completed thy discipleship it is ***unnecessary*** *for thee to dwell here; but Come, and go gather together unto thyself those who are wandering, and be thou dwelling with them, and lay thou down such laws as I shall* **tell** *unto thee", and the angel gave him a book (or, tablet) wherein was written the following:*

"I. Let every man eat and drink whensoever he wisheth, and according to the strength of those who

eat and drink impose work; and thou shalt restrain them neither from eating nor fasting. Furthermore, on those who are strong thou shalt impose severe labours; and upon those who are of inferior strength, and upon those who fast thou shall impose light labours.

"II. *And thou shalt make for them a cell and they shall dwell together three by three.*

"III. *And they shall partake of food all together in one chamber (or, house).*

"**IV.** *And they shall not take their sleep lying down, but thou shalt make for them seats so that when they are sitting down they shall be able to support their heads .*

"**V.** *At night time they shall put on garments without sleeves, and their loins shall by girded up, and they shall be provided with skull-caps, and they shall partake of the Offering on the Sabbath, and on the First Day of the week, wearing skull-caps without any nap upon them, and each skull cap shall have in the front thereof a cross worked in purple.*

*"**VI.** And thou shalt establish the monks in four and twenty grades, and to each grade give a letter of the Greek alphabet from Alaf toTaw, every grade a letter".*

And the blessed Pachomius performed and fulfilled these things according as he had been commanded by the angel; and when the head of the monastery asked him that was nest to him concerning the affairs of the brethern, the man said unto him, "The voice of Alpha and the voice of Bita salute the head of the monastery". Thus the whole of that assembly of brethern had letters of the alphabet, assigned to them, according to the designation of the four and twenty letters. To those who were upright and simple he assigned the letter yodh (sic), and to those who were difficlut and perverse he assigned the letter ksi, (sic), and thus according to the dispositions and according to the habits and rules of life of the orders of monks did he assign letters unto them.

And he (i.e. the Angel) commanded that a monk

who Was a stranger and who had a differen garb from theirs shall not enter in with them to the table; and man who sought to be accepted as a monk in that monastery was obliged to labour there for three years, after which he was to receive the tonsure. When the monks were eating together they were to cover up their faces with their head-coverings, that might not see each other eating, and might not hold converse together over the table, and might not gaze about from one side to other. And he commanded that during each day they should repeat twelve sections of the Psalter, and during each evening twelve sections of the Psalter, and during each night twelve sections of the Psater, and that when they came to eat they should repeat the Great Psalm.

And the blessed Pachomius said unto the angel, "The sections of the Psalter which thou hast appointed unto us for repetition are far too few"; and the angel said unto him, "The sections of the Psalter which I have appointed are indeed few, so that even

the monks who are small may be able to fulfill the canons, and may not be distressed thereby.

And there were living in that mountain about seven thousand brethern, and in the monastery in which the blessed Pachomius himself lived there were living one thousand three hundred brethern ; and besides these there were also other monasteries, each containing about three hundred, or two hundred, or one hundred, who lived together and they all toiled with their hands and lived thereby, and with whatsoever they possessed which was superfluous for them they provided (or, fed) the nunneries which were there. Each day those whose week of service it was rose up and attended to their work; and others attended to the cooking; and others set out the tables and laid upon them bread, and cheeses, and vessels of vinegar and water. And there were some monks who went in to partake of food at the third hour of the day, and others at the sixth hour, and others at the ninth hour, and others in the evening, and others who ate once a day only;

and there were some who ate only once a week; and according as each one of them knew the letter which had been laid upon him, so was his work. Some worked in the paradise, and some in the gardens, and some in the black-smith's shop, and some in the baker's shop, and some in the carpenter's shop. and some in the fuller's shop, and some wore baskets and mats of palm leaves, and one was a maker of nets, and one was a maker of sandals, and one was a scribe; now all these men as .they were performing their work were repeating the Psalms and the Scriptures in order.

And there were there large numbers; of women who were nuns, and who closely followed this rule of life, and they came from the other side of the river and beyond it, and there were also married women who came from the other side of the river close by; and, whensoever anyone of them died, the other women would bring her and lay her down on the bank of the river and go away. Then certain brethern would cross over in a boat and bring her over with the

singing of Psalms and with lighted candles, and with great ceremony and honour, and when they had brought her over they would lay her in their cemetry ; without elder or deacon no man could go to that nunnery, and only from one Sunday to the other.
Now in that same nunnery there was a certain sister who was a virgin, and she made herself an object of contempt, and she had had a devil in her; and the other sisters used to treat her so contemptuously that they would not even allow her to eat with them. And the woman herself was well content at this treatment, and she would go into the refectory and serve the food and wait upon the whole company there, and she became the broom of the whole nunnery; and indeed she made manifest that which is written in the Book of blessed Apostle, who said, "Whosoever wishes to become a wise man in this world let him become a fool in order that he may become wise". And this woman used to throw over her head a roughly cut piece of cloth, whilst the other women wore veils, well cut and well made,

according to the rule which they had and in this garb she used to minister in the refectory; and they would not allow her to sit down with them at the table. And whilst she was eating they never looked at her, and she never touched a whole loaf of bread, but used to eat the broken bits and crusts that fell from the tables, and she drank the rinsings of the basins and of the hands, and they sufficed her; and she neither reviled anyone of them, nor murmured, nor spoke superfluous; words, though they constantly reviled her, and struck her, and thrust her away with harsh words and blows.

The vocabulary of Pachomius the Great and The sons of his monastery

Led = past of V. lead	قاد أو مارس
Discipleship = one who helps spread his master's teaching	التلمذة
Thy = your	لفظة قديمة
Thou = you	" "
Dwell = live	يعيش
Wisheth = want	يريد
Partake = take	يأخذ
Strength = force or power	قوة
Shalt = must	يجب
Inferior = lower	أقل
Labours= works	أعمال
Support = take sides with hold up	يسند
Put on = wear	يرتدى
Garments = clothes	ثياب أو ملابس
Loins = the middle	الوسط
Girded up = encricle with a belt	يشد الوسط بحزام

Skull cap = head covering	غطاء للرأس
Offering = last dinner	العشاء الأخير
Grade = rank = degree	رتبة
Alaf = Alpha	حرف الألف
Taw = omiga	حرف الياء
Perform = fulfille	يتم
Brethern = brothers	اخوة
Assign = appoint	يعين أويحدد
Nest to = set of objects fitting one inside or under another	يضع وفقا لــ
Designation = name	تسمية أو تحديد
Garb = clothing	زى
Gaze = look	ينظر
Upright = correct	الصحيح
Superfluous = morethan necessary	زائد
Psalter = Great psalm = scared songs	المزامير / تراتيـل أو ترانيم
Thereby = by that	
Distress = suffer	يعانى أو يقاسى
Toil = work hard	

Nunneries = women belonging to a religrous order or nuns	أديرة راهبات
Scribe = writer	كاتب أو ناسخ
Cemetery = burial ground = tomb	مقبرة
Virgin = unmarried or chaste woman	عذراء
Contempt = feeling of scorn	ازدراء أو احتقار
Refectory = dining hall	قاعة الطعام
Fool = stupid person	غبي
Veil = sheer material to hide something or to cover the face and head	الحجاب
Minister = clergy man	المقصـــود هنـــا قس أو رجل دين
Revile = abuse verbally	شتم أو سب
Angel = spiritual being supperior to humans	الملاك
Canons = regulations governing a church or monastery	القانون الكنسي

النص الثالث :

D. The Edict of Milan, 313

When I, Constantine Augustus, as well as I, Licinius Augustus, had fortunately met near Mediolanum (Milan), and were considering everything that pertained to the public welfare and security, we thought that, among other things which we saw would be for the good of may, those regulations pertaining to the reverence of the Divinity ought certainly to be made first, so that we might grant to the Christians and to all others full authority to observe that religion which each preferred; whence any Divinity whatsoever in the seat of the heavens may be propitious and kindly dispose to us and all who are placed under our rule. And thus by wholesome counsel and most upright provision we thought to arrange that no one whatsoever should be denied the opportunity to give his heart to the observance of the Christian religion, or of that religion which he should think best for himself, so that the supreme Deity, to

whose worship we freely yield our hearts, may show in all things His usual favor and benevolence. Therefore, your Worship should know that it has pleased us to remove all conditions whatsoever, which were in the rescripts formerly given to you officially, concerning the Christians, and now any one of these who wished to observe the Christian religion may do so freely and openly, without any disturbance or molestation. We thought it fit to commend these things most fully to your care that you may know that we have given to those Christians free and unrestricted opportunity of religious worship. When you see that this has been granted to them by us, your worship will know that we have also conceded to other religions the right of open and free observance of their worship for the sake of the peace of our times, that each one may have the free opportunity to worship as he pleases; this regulation is made that we may not seem to detract aught from any dignity or any religion. Moreover, in the case of the Christians especially, we esteemed it best to order that if it happens that anyone heretofore has bought from our treasury or from anyone whatsoever, those places where they were previously accustomed to assemble, concerning which a certain decree had been made and a letter sent to you officially, the same

shall be restored to the Christians without payment or any claim of recompense and without any kind of fraud or deception. Those, moreover, who have obtained the same by gift, are likewise to return them at once to the Christians. Besides, both those who have purchased and those who have secured them by gift, are to appeal to the vicar if they seek any recompense from our bounty, that they may be cared for through our clemency. All this property ought to be delivered at once to the community of the Christians through your intercession, and without delay. And since these Christians are known to have possessed not only those places in which they were accustomed to assemble, but also other property, namely the churches, belonging to them as a corporation and not as individuals, all these things which we have included under the above law, you will order to be restored, without any hesitation or controversy at all, to these Christians, that is to say to the corporations and their conventicles:- providing, of course, that the above arrangements be followed so that those who return the same without payment, as we have said, may hope for an indemnity from our bounty. In all these circumstances you ought to tender your most efficacious intervention to the community of the Christians, that our command may be carried

into effect as quickly as possible, whereby, moreover, through our clemency, public order may be secured. Let this be done so that, as we have said above, Divine favor towards us, which , under the most important circumstances we have already experienced, may for all time, preserve and prosper our successes together with the good of the state. Moreover, in order that the statement of this decree of our good will may come to the notice of all, this rescript, published by your decree, shall be announced everywhere and brought to the knowledge of all, so that the decree of this, our benevolence, cannot be concealed.

The Vocabulary of The Edict of Milan 313

Edict = decree, decision, rescript	قـــــرار
Pertained = concern = belong	يخص أو يتعلق بـــ
Reverence = respect	احترام
Security = safe	امان
Regulation = rules	قواعد أو مراسيم
Observe = following	اتباع
Propitious = favorable	ملائم أو مناسب
Ought to = must	يجب
Provision = decision	قرار – شرط
Denied, V. deny = declare or refuse to grant	يرفض
Supreme = highest authority or the greatest	الأسمى
Conditions = terms	شروط

Deity = God	إلهية
Yield = grant or surrender or produce	
Benevolences = act of kindness	فعل الخير
Pleased = give pleasure or satisfaction to	يسعد
Remove = take off or take away or get rid off	يمحو
Rescripts = decrees = edicts	قرارات
Wishes = desires	رغبات أو امال
Disturbance = interfere with or destroy the peace	إخلال بالنظام
Molestation = annoy	مضايقة
Granted = bestowed, conferred, give	يمنح
Conceded = grant	يمنح
Sake = purpose or reason	خاطر او قصد
Opportunity = favorable time	فرصة
Dignity = ranks	كرامة
Previously = formerly	من قبل او سابقا
Restored = return	أعاد
Recompense = indemnity	تعويض

Fraud = deception	خداع او غش
Obtain = take	يأخذ أو يحصل على
Gift = donation	منحة أو هبة
Purchased = bought	يشترى
Secured = take	يأخذ
Intercession = intervention	وساطة
Corporation = community	نقابة أو جماعة أو مؤسسة
Prosper = success	ناجح

النص الرابع :

THE DONATION OF CONSTANTINE

The Donation of Constantine purports to be an imperial decree issued by the Emperor I n 317. It begins by describing how Constantine had been converted to the Christian faith through a dream in which the apostles Peter and Paul appeared to him and how at his baptism by Pope Silvester he was miraculously cured of the leprosy from which he was then suffering .In recognition of the power conferred by the Saviour upon St.peter, constantine determined to confer on the Popes, who were the Successors of St. Peter, a Supreme power even greater' than his own.The author of the Donation drew heavily on a popular legend, the Vita Silvestri, which he further expanded. For some time the popes based their claims to universa-l dominion partly on the Donation of Constantine.

Since the Renaissance scholar Lorenzo Valla

exposed the Donation as a forgery, there has been little attempt to maintain that it Was genuinely issued by Constantine. But there is no absolute agreement among scholars about the date at which it Was forged. The majority of present-day historians would probably agree that it was produced by the papal curia about the middle of the eighth century. It may even have been shown to Pippin by Pope Stephen II at Ponthion.

Extract from the forged Donation of Cocstantine:

13... We have also built the churches of the blessed Peter and Paul, the chief of the apostles, and adorned them with gold and silver. Laying their most sacred bodies there with great honour, we have made them coffins of amber, against which the elements are powerless, and on each of their coffins we have placed across of the purest gold and of precious stones, and fixed it there with golden nails. We have conferred estates upon them in order to

provide lights, and we have bestowed divers riches upon these churches; and by our sacred imperial commandments have conferred gifts up on them east and west, and also in the northern and southern regions, in Judea, Greece, Asia, Thrace, Africa and Italy and divers islands, on condition that all shall be administered by the hands of our most blessed father Pope Silvester and his successors.

14 And let all people and all nations in all the world rejoice with us; we exhort you all to join us in giving thanks without measure to our God and Saviour Jesus Christ, since he, being God in heaven above and on earth below, visiting us through his holy apostles, made us worthy to receive both the holy **sacrarment** *of baptism and health of body. In return for this, to the same holy apostles, my lords the most blessed Peter and Paul, and through them also to the blessed Silvester our father, Supreme Pontiff and Universal Pope in the city of Rome, and to all who succeed him as pontiff*

and sit upon St. Peter's seat, unto the end of the world, from henceforth we grant and surrender our imperial palace of the Lateran, which outshines and ranks above all other palaces in the whole world ; and also the diadem, that is, the crown upon our head, and likewise the white bonnet (frygium) and the 'superhumeral' (i.e. the scarf which hangs about the Emperor's neck) and also the purple mantle the purple tunic and all the imperial garments, and the honour of a guard of imperial Knights; and we grant also the imperial sceptres, and likewise the spears, the orb and eagle (signa), the standards and various imperial ornaments, and all the pomp of the Supreme position of Emperor and the glory of our power .

15 We ordain that those most reverent men, the clergy of various orders who serve the holy Roman church, shall have that Supremacy, that unique position, that Power and preeminence with which our illustrious senate is glorified (that is, they shall

be made Patricians and consuls) and we proclaim that they may also hold the other imperial offices. We decree that the clergy of the holy Roman church' shall enjoy the same distinctions as the imperial soldiery; and we wish the holy Roman church to be dignified with various offices,-with chamberlains and doorkeepers and all the guards,- like the imperial power. And, that the glory of the pontiffs may shine forth most brilliantly, we further decree that the clerks of this same holy church of Rome shall adorn their horses with small cloths made of linen, of the purest colour, and ride with them thus, and like our Senate, they shall wear shoes with goats' hair, shining white : so that earthly things may be decorated in praise of God like things heavenly. But above all we grant to our most holy father Silvester, Bishop of the city of Rome and Pope, and to all the most blessed pontiffs who shall ever after come to succeed him, permission that to the honour and glory of Christ our God he may make any one he chooses out of our Senate a clerk

in the great catholic and apostolic Church of God and even enrol him among the monastic clergy; and no man whatsoever may presume at this to behave arrogantly.

16 We also decreed that our venerable father Silvester, Supreme Pontiff, and all who succeeded him as pontiff, should wear the diadem, the crown of the purest gold and precious stones, which we took from our head and gave to him, and bear it on their heads to the praise of God for the honour of St. Peter. But the most holy pope did not on any account permit himself to wear this golden crown above the crown of his clerical office which he wears to the glory of St. Peter. However, we have with our own hands placed on his most holy head the shining white bonnet (frygium) which symbolizes the glorious resurrection of our Lord ; and by holding the bridle of his horse we have, by way of reverence for St. Peter, acted as his groom; and we have enacted that each and every succeeding pontiff

shall wear this bonnet in processions.

17 For the imitation of our Empire, and so as not to cheapen the supreme dignity of the pontiff, but that his honour, power and glory may even surpass that of the earthly Empire, behold ! we have yielded up and abandoned our palace(as aforesaid), and likewise the provinces, territories and cities of the city of Rome and of all Italy and the western regions to the most blessed pontiff, our father Silvester, Universal Pope. And by an irrevocable decision of our imperial authority we decree by means of this our divine, sacred and pragmatic statute that they are to be administered by the dominion and government of Silvester and of the pontiffs who succeed him, and we grant that they shall remain the lawful property of the holy Roman church.

18 Hence we have judged it fitting that our Empire and power to rule should be transferred and

transplanted to the eastern regions; and that in the province of Byzantium, on the best site, a city should be built which shall bear our name; and our Empire be established there.

19 We decree that all these things which we have enacted and confirmed by this our sacred imperial commandment and by other divine decrees shall remain unimpaired and inviolate unto the end of the world.

The vocabulary of
The Donation of Constantine

Ch.13

Donation = gift	هبة أو منحة
adorn = decorate	يزين
Sacred = sacrament = holy	مقدس
Honour = respect = reverence	احترام
Grant = confer = bestow	يمنح
Commandments= orders	اوامر
Gift = donation	منحة

ch.14

Holy = sacred = sacrament	مقدس
Unto = until	حتى (لفظة قديمة)
Diadem = crown	التاج
bonnet = head covering	غطاء للرأس
superhumeral = scarf	وشاح
garments = clothes	ملابس
orb = ball	كرة
various = divers	متنوع

ch.15

ordain = make يجعل
supremacy = preminence السيادة والتفوق
reverent = reverence = respect احترام
proclaim = annonnce = make known publicly يعلن
offices = jobs وظائف
dignified = recpect يحترم
wish = hope أمل
pope = supreme pontiff البابا
Bishop = pontiff الاسقف
clerks = writers كتبة

ch.16

venerable = reverent = deserving of recpect محترم
frygium = bonnet = head covering غطاء للرأس
resurrection = raise from the dead القيامة
bridle = head gear to control a horse لجام
groom = who cleans and brushs horses سائس

enact = decree يقرر أو يقضي بـ

Procession = group moving along in orderly way — موكب

ch.17

imitation = tradition — تقليد

surpass = exceed = increase — يزيد

cheapen opp. Surpass = decrease — يقلل

yield = sureender = grant — يسلم أو يمنح

deision = decree — قرار

pragmatic = practical — عملى

statute = law — قانون أو سنة

ch.18,19

transfer = transplant — ينتقل

Transpalnt = transfer = move to another palce — ينتقل

decree = v. enact — يقضى بـ أو يقرر

Commendement = order — قرار

unimpaired = inviolate — مصون، لا يلحق به ضـرر ولا ينتهك

النص الخامس :

MONASTICISM
THE RULE OF ST. BENEDICT, ABOUT 530

The loose organization of the monasteries had permitted many abuses to creep in. The rule of St. Benedict was intended to correct these abuses. This rule is worthy of careful study because for several centuries it governed the lives of thousands of monks who influenced the lives of millions of laymen and advanced them in Civilization.

***Chapter 1.** The kinds of monks:*

*There are four kinds of monks. The first kind is that of the **cenobites** (that is, those living in common), those who live in a monastery according to a rule, and under the government of an abbot. The second is that of **the anchorites, or hermits,** who have learned how to Conduct the war against the devil by their long service in the monastery and their association with many brothers*

and so, being well trained, have separated themselves from the troop in order to Wage single combat, being able with the aid of God to carry on the fight alone against the Sins of the flesh. The third kind (and a most abominable kind it is) is that of ***the sarabites,*** *who have not been tested and proved by obedience to the rule and by the teaching. of experience, as gold is tried in the furnace, and so are soft and pliable like a base metal, who in assuming the tonsure are false to God, because they still serve the world in their lives, They do not congregate, in the Master's fold, but dwell apart without a shepherd, by twos and threes, or even alone. Their law is their own desires, Since they call that holy which they like, and,, that unlawful which they do not like. The fourth, kind is* ***composed*** *of those who are called* ***gyrovagi*** *(wanderers) who spend their whole lives wandering about through different regions and living three or four days at a time in the cells of different monks. They are always wandering about and never remain long in one place, and they are governed by their own appetites and desires. They are in every way worse*

even than the sarabites. But it is better to pass over in silence than to mention their manner of life. Let us, therefore, leaving these aside, proceed, with the aid of God, to the consideration of the cenobites, the highest type of monks.

Chapter 2. *The* ***qualities*** *necessary for an abbot : The abbot who is worthy to rule over a monastery ought always to bear in mind by what name he is called and to justify by his life his title of superior. For he represents Christ in the monastery, receiving his name from the saying of the apostle:*

"Ye have received the Spirit of adoption, whereby we cry, Abba, Father"'. Therefore, the abbot should not teach or command anything contrary to the precepts of the Lord, but his commands and his teaching should be in accord with divine justice... The abbot ought to follow two methods in governing his disciples : teaching the commandments of the Lord to the apt disciples, by his words, and to the obdurate and the simple by his deeds...... Let there be no respect of persons in the

monastery. Let the abbot not love one more than another, unless it be one who excels in good works and in obedience. The freeman is not to be preferred to the one who comes into the monastery out of servitude, unless there be some other good reason... For whether slave or free, we are all one in the Christ.,. In his discipline the abbot should follow the rule of the apostle who Says : "Reprove, rebuke, exhort". That is he should suit his methods to the occasion, using either threats or compliments, showing himself either a hard master or a loving father, according to the needs of the case...

Above all, the abbot should not be too zealous in the acquisition of earthly, transitory, mortal goods, forgetting and neglecting the care of the souls committed to his charge, but he should always remember that he has undertaken the government of souls of whose welfare he must render account.

***Chapter 3.** Taking counsel with the brethren :*

Whenever important matters come up in the monastery, the abbot should call together the whole

congregation (that is, all the monks), and tell them what is under consideration. After hearing the advice of the brothers, he should reflect upon ***it*** *and then do what seems best to him.*

Chapter 4. The instruments of good works :

First, to love the Lord God with all the heart, and with all the soul, and with all the strength, and then his neighbor as himself.

Then not to kill, not to commit adultery, not to steal, not to covet not to bear false witness, to honor all men and not to do to another what he would not have another do to him. To deny himself that he may follow Christ, to chasten the body,. to renounce luxuries, to love fasting. To feed the poor, to clothe the naked, to visit the sick, to bury the dead, to offer help in trouble, to comfort the sorrowing. To separate himself from the things of the world, to prefer nothing above the love of Christ, not to give way to anger, not to bear any grudge, not to harbor deceit in the heart, not to give false peace, not to be wanting in charity. Not to swear, lest he perjure himself;

to speak the truth from the heart. Not to return evil for evil. Not to injure others, but to suffer injures patiently. To love his enemies. Not to return curse for curse, but rather to bless, to suffer persecution for righteousness sake. Not be proud, nor drunken, nor a glutton, nor given to much sleeping, nor slothful, nor complaining, nor slanderous. To put his hope in God; when he sees anything good in himself to ascribe it to God, and when he does any evil, to ascribe it to himself. To fear the day of judgement, to be in terror of hell...

***Chapter 5.* Obedience:**

The first grade of humility is obedience without delay, which is becoming to those who hold nothing dearer than Christ. So, when one of the monks receives a command from a superior, he should obey it immediately, as if it came from God himself...

***Chapter 21.* The deans of the monastery:**

In large congregations certain ones from among the brothers of good standing and holy lives should be

chosen to act as deans and should be set to rule over certain parts under the direction of the abbot...

***Chapter 22.* How the monks should sleep :**

The monks shall sleep separately in individual beds, and the abbot Shall assign them their beds according to their conduct. A candle shall be kept burning in the dormitory all night until daybreak . They should be always in readiness, rising immediately upon the signal and hastening to the service, but appearing there gravely and modestly . The beds of the Younger brothers should not be placed together, but should be scattered among those of the older monks.

***Chapter 39.* The amount of food :**

Two cooked dishes, served either at the sixth or the ninth hour, should be sufficient for the daily sustenance. We allow two because of deferences in taste, so that those who do not eat one may satisfy their hunger with the other, but two shall suffice for all the brothers, unless it is possible to obtain fruit or fresh vegetables, which

may be served as a third. One pound of bread shall suffice for the day. whether there be one meal or two... In the case of those who engage in heavy labor, the abbot may at his discretion increase the allowance of food, but he should not allow the monks to indulge their appetites by eating or drinking too much...

***Chapter 40.* The amount of drink:**

We believe that a half-measure of wine a day is enough for anyone, making due allowance, of course, for the needs of the sick. And if the climate, the nature of the labor, or the heat of summer, or other conditions make it advisable to increase this amount, the superior may do so at his own discretion, always guarding, however, against indulgence and drunkenness.

***Chapter 48.* The daily labor of the monks :** *Idleness is the great enemy of the soul, therefore, the monks should always be occupied, either in manual labor or in holy reading... But if the conditions of the locality or the needs of the monastery,such as may occur*

at harvest time, should make it necessary to labor longer hours, they shall not feel themselves ill used, for true monks should live by the labor of their own hands, as did the apostles and the holy fathers... During Lent the time from daybreak to the third hour shall be devoted to reading, and then they shall work at their appointed tasks until the tenth hour. At the beginning of Lent each of the monks shall be given a book from the library of the monastery which he shall read entirely through. One or two of the older monks shall be appointed to go about through the monastery during the hours set apart for reading to see that none of the monks are idling away the time, instead of reading; and so not only wasting their own time but perhaps disturbing others as well...

Chapter 54. *Monks are not to receive letters or anything:*

No monk shall receive letters or gifts or anything from his family or from any persons on the outside, nor shall he send anything, except by the command of the abbot.

The vocabulary of The rule of St. Benedict about 530

Loose = weak ضعيف

Premitted = allowed سمح

Creepin = enter يدخل أو يزحف

Abuses = short comings نقصى أو . قصور

Several = many عدة

Centuries = handreds years قرون أو مئات السنين

Laymen = seculers علمانيون

Ch.1

Governament = rule حكم

Abbot = the head of the monastry رئيس الدير او مقدم الدير

Association = help or co-operation المساعدة أو التعاون

Brothers = montks يقصد بالأخوة هنا الرهبان

Troop = group of monks or army of monks

Abominable = unpleasant مجموعات الرهبان [غير المرغوب فيهم]

Wage = win يكسب

Aid = help مساعدة

Combat = fight القتال أو المعركة

Flesh = the body	الجسد
Sins = offense against God	الذنوب أو خطايا
False = wrong or not right	خطأ
Fold = group with a common interest	قطيع
Pliable = esily twisted	سهل الكسر
Composed of = consist of	يتكون من
Holy = sacred	مقدس
Whole = all	كل
Provences = regions	اقاليم
Remain = rest	يبقىأو يظل
appetite = desir	رغبة أو شهوة
Worse = bad	اسوء
Type = kind	نوع

Ch.2

Justify = prove	يبرهن
Command = order	يأمر
Precepts = orders	أوامر
Disciples = followers	اتباع – تلاميذ
Deeds = works	اعمال
Excels = surpass	يتفوق

Servitude = slavery عبودية

Threat = expression of intention to harm تهديد

Compliment = greeting or praise مدح أو تحية

Acquisition = a gaining or something gained امتلاك

goods = things أشياء

Welfare = prosperity رفاهية ، خير

Ch.3

Brethren= brothers = monks الأخوة الرهبان

Counsel = advice = deliberation together نصيحة أو استشارة

Matters = events احداث

Congregation = assembly of people worship اجتماع

Ch.4

Instruments = what help us with good works ادوات

Strength = quality of being strong القوة

Neighbor = one living nearly الجار

False = nor true زور

Chasten = discipline طهارة أو تدريب

Fasting = abstain from food or eat الصوم

Luxury pl. luxuries = great comfort or something adding to pleasure or comfort الرفاهية

Sorrowing = deep distress of who feels sorrow الحزين أو الحزن

Things = needs	احتياجات
Deceit = trick = dishonesty	غش أو خبث
Charity = good deed = generosity	احسان
Injure = do harm	يؤذى أو يضر
Righteousness = good work	العمل الصالح
Glutton = greedy	أكول أو شره
Slothful = lazy	كسول
Ascribe = attribute	ينسب أو يعزو

Ch.5

Dearer = dear = highly valued or loved	أغلى وأعز
Immediately = at once	فى الحال وعلى الفور

Ch.21

Deans = heads	الرؤساء
Congregation = general assembly	اجتماع عام
Standing = position or rank	مكانة
Certain = a part of	جزء من

Ch.22

Conduct = manner or behaviour	سلوك
Hasteniny = hurry	يسرع
Scatter = disperse or spread	يوزع أو يفرق

The younger = youth	الشباب

Ch.39

Sufficient = enough	كافى
Labor = work	عمل
Discretion = power	سلطة

Ch.40

Climate = weather	مناخ
Conditions = circunstances	الظروف والأحوال
Discretion = power of decision or choice	حرية الاختيار أو التصرف
Drunkenness = drinking	الشرب
Guarding = protection	حماية أو حراسة

Ch.48

Idleness = laziness	الكسل
Lent = big fast	الصوم الكبير
Tasks = works	الأعمال
Wasting = lose	يفقد
Entirely = all = whole	كل أو كلية

النص السادس :

GEOGORY III EXCOMMUNICATES ALL ICONOCLASTS, 731 A.D.

The pope (Gregory III) made a decree in the council that if anyone, in the future, should condemn those who hold to the old custom of the apostolic church and should oppose the veneration of the holy images, and should remove, destroy, profane, or blaspheme against the holy images of God, or of our Lord Jesus Christ, or of his mother, the immaculate and glorious Virgin Mary, or of the apostles, or of any of the saints, he should be cut off from the body and blood of our Lord Jesus Christ. And all the clergy present solemnly signed this degree.

ترجمة النص:

جريجورى الثالث يصدر قرار الحرمان ضد
جميع اللا ايقونيين ٧٣١م

أصدر البابا جريجورى الثالث قرارا فى المجمع ان يحـــرم ويدان أى شخص – فى مستقبل الايام – من اولئـــك المتمســكين بالعادة القديمة فى الكنيسة الرسولية ، ويعارضون احترام الصــور المقدسة (الايقونات) ويزيلون ويدمـــرون ويحطمــون ويدنســون ويكفرون بالصور المقدسة للاله (الأب) أو لسيدنا المسيح أو لأمـــه مريم العذراء الطاهرة ، والصور الخاصة بالحواريين أو أى مـــن القديسين ، ويحرم هذا الشخص من جسد السيد المســـيح ودمـــه. ووقع كل رجال الدين (الاكليروس) الحاضرين هذا المجمع بخشوع واحترام على هذا القرار.

The vocabulary of GEOGORY III EXCOMMUNICATES ALL ICONOCLASTS, 731 A.D.

Excommunication = cut from all relations with the church and christians	قرار الحرمان
Council = assembly or meeting	مجمع
Condemn = declare to be wrong, guilty or unfit to use	يحرم أو يدان
Profane = treat with irreverence	يدنس
Holy = sacrament = sacred	مقدس
Veneration = reverence = respect	اختزام
The holy images = icons	الايقونات أو الصور المقدسة
Signed = mark with or make a sign or write one's name on	يوقع

النص السابع :

THE CORONATION OF CHARLEMAGNE, DECEMBER 25, 800

Charlemagne arrived in Rome November 23, 800 to hear complaints against Pope Leo III, which he dismissed in due course. The event described below marks the culmination of the relationship that had been developing between the papacy and the Frankish kings for fifty years. It is also the start of a new axis, Roman pope and German emperor, that would be a central fact in medieval history. Leo's act was technically illegal because there was already a Roman emperor at Constantinople, albeit a woman named Irene. But reality overcame legality, and Charlemagne was recognized as emperor by the Eastern emperor, michael, in 813.

****

On the most holy day of the birth of our Lord (the king came to mass in the basilica of the blessed apostle Peter). Pope Leo placed a crown on his head and joined by all the Romans proclaimed, " "Long life and victory to Charles Augustus crowned by God, the great and pacific Emperor of the Romans." And after this proclamation by the pope he bowed humbly to him as was the custom in ancient times and he discarded the title of patrician and was addressed as emperor and Augustus.

The Text of
The Coronation of Charlemagne

Coronation = Crowning of a monarch or place a crown on head of a ruler	التتويج
Crown = diadem	التاج
Papacy = office of Pope	البابوية
Pope = a Father of all Christians The most chief of catholic	البابا
Axis = Center of rotation	مدار
Mass = Worship Service of the Roman catholic church	القداس
Basilica = a big church	الكنيسة الكبيرة
Apostle = The disciple of Christ	الرسل
Patrician = Person of high birth	البطريق
Custom = manner or Fashion	العادة أو السلوك

النص الثامن :

CHARLEMAGNE

By

EINHARD (770-842)

Einhard was born about 770. He was sent to the monastery of Fulda for education. He showed himself so apt and promising that the Abbot recommended him for a post at the court of Charles (791). Einhard soon made for himself a position of importance, for he was no mere book-learned scholar, but had brought from his monastery school much technical and artistic knowledge. He has many writings of high value and interest, but his "Life of Charlemagne" is by far the most celebrated and important:

****

XXV. Charles had the gift of ready and fluent speech, and could express whatever he had to say with the utmost clearness. He was not satisfied

with command of his native language merely, but gave attention to the study of foreign ones, and in particular was such a master of Latin that he could speak it as well as his native tongue; but he could understand Greek better than he could speak it. He was so eloquent, indeed, that he might have passed for a teacher of eloquence. He most zealously cultivated the liberal arts, held those who taught them in great esteem, and conferred great honors upon them. He took lessons in grammar of the deacon Peter of Pisa, at that time an aged Man. Another deacon, Albin of Britain, surnamed Alcuin, A man of Saxon extraction, who was the greatest scholar of the day, was his teacher in other branches of learning. The King spent much time and labor with him studying rhetoric, dialectics, and especially astr-onomy; he learned to reckon, and used to investigate the motions of the heavenly bodies most curiously, with an intelligent Scrutiny. He also tried to write, and used to keep tablets and blanks in bed under his pillow, that at leisure hours he might

accustom his hand to form the letters; however, as he did not begin his efforts in due season, but late in life, they met with ill success.

XXVI. He cherished with the greatest fervor and devotion the principles of the Christian religion, which had been instilled into him from infancy. Hence it was that he built the beautiful basilica at Aix-la-Chapelle, which he adorned with gold and silver and lamps, and with rails and doors of solid brass. He had the columns and marbles for this structure brought from Rome and Ravenna, for he could not find such as were suitable elsewhere. He was a constant worshipper at this church as long as his health permitted, going morning and evening, even after nightfall, besides attending mass; and he took care that all the services there conducted should be administered with the utmost

possible propriety, very often warning the sextons not to let any improper or unclean thing be brought into the building or remain in it. He provided it with a great number of sacred vessels of gold and silver and with such a quantity of clerical robes that not even the doorkeepers who fill the humblest office in the church were obliged to wear their everyday clothes when in the exercise of their duties. He was at great pains to improve the church reading and psalmody, for he was well skilled in both, although he neither read in public nor sang, except in a low tone and with others.

The Vocabulary of Charlemagne by Einhard (770-842)

Ch.XXV

Fluent speech = speaking with ease طلاقة
utmost = highest degree درجة عالية أو كاملة
native language = native tongue اللغة الأصلية أو القومية
eloquent = forceful in speech بليغ
.n. eloquence البلاغة
rhetoric = art of speaking or writing علم البلاغة أو علم البيان

esteem = respect or reverent or reverence احترام
motions = movements حركات
leisure = spare time وقت الفراغ
accustom – practice or exercise يمرن

Ch. XXVI

cherish = hold يتمسك – يعتز
fervor = passion حماسة
devotion = propriety الورع
infancy = early childhood طفولة مبكرة

basilica = a big church	كنيسة كبيرة
rail = barrier	سياج
brass = copper	نحاس
Propriety = devotion	ورع
sextons = the guards of the church	حرس الكنيسة
psalmody = singing of psalms	التراتيل أو المزامير
quantity = amount	مقدار أو كمية

النص التاسع :

THE CORONATION OF OTTO THE GREAT 936 A.D.

In these chapters of his chronicle, the monk Widukind of Corvey describes the process by which Otto was chosen to succeed his father Henry as King of the Franks and Saxons, and, how he was crowned at Aachen in 936. This passage contains a valuable account of the ceremonies which give expression to the German King's ideal of rulership, and of those symbolizing the policy which Henry had already begun-that of reducing the dukes to the position of royal servants.

****

The coronation of Otto of Saxony at Aachen ,August 7th, 936:

II, i . On the death of Henry, the father of his country and greatest and best of' Kings, the entire

Frankish and Saxon people chose as their head his son Otto, who had already been designated King by his father. Fixing a place for this election by all, they ordered it to be held at the palace in Aachen, which is Very near Julich (named after its founder, Julius Caesar).

On arriving there, the dukes and chief governors, together with another group Consisting of the principal soldiers, assembled at the church of Charles the Great. They placed their new leader on a throne erected there, and in their own fashion made him King by giving him their hands, vowing him loyalty and Promising him aid against all his enemies.

whilst the dukes and other magistrates were thus engaged the Supreme bishop (Pontifex maximus) and the whole order of priests and all the people were waiting below in the chursh for the new King to come forward. When he did so the Archbishop,

dressed in linen and wearing a stole and chasuble,.went to meet the King and touched the King's right hand with his left : in his own right hand he carried a wand. He went on into the middle of That holy place and then stopped and tuned to the people, who were standing round about, for the church was circular and there were walks round it above and below, and hence he could be seen by all the people. 'Behold', he said, I bring you Otto, chosen by God, previously designated by the lord Henry, and now by all the princes made King. If you are content with this choice, show it by raising your right hands upwards'. At these words all the people raised their right hands skywards and with a loud cry appealed for success for their new leader. Then the Archbishop advanced with the King, who was dressed in a close-fitting tunic in the Frankish manner, to the altar, upon which had been placed the royal insignia the sword and girdle, the military cloak with the armlets, and the staff with the sceptre and diadem.

At that time the supreme bishop was Hildibert, a Frankish monk, brought up and educated in the monastery of Fulda, of which he rose to be Abbot and from which he was deservedly promoted to the supreme dignity of the Archbishopric of Mainz. He was a man of marvellous sanctity and more than human wisdom, and distinguished in the study of letters. He is said to have received the inspiration to prophesy, among other gifts of grace. There had been a dispute between the Archbishops of Trier and Cologne about the King's consecration,-Trier was the older see and as good as founded by St. Peter, whilst Aachen belonged to the diocese of Cologne; and on these grounds they thought the honour of consecrating the King should be theirs. But they both gave place to Hildibert, whose benignity was known to everybody.

Hildibert, then, approaching the altar and picking up the sword and girdle from it, turned to the King and said, 'Receive this sword, with which you shall drive

away all the enemies of Christ, barbarians and bad Christians, by the divine authority ransferred to you and by all the power of the whole Frankish Empire, to establish a most enduring peace among all Christians'. Then he took up the armlets and cloak and put them on the King,saying, 'when these armlets hang from your shoulders you shall be apprised of the zeal for the faith with which you must burn, and of your duty to persevere in guarding Peace, even unto the end.' Then, taking up the sceptre and staff, he said: 'You shall be advised by these symbols to exercise a fatherly discipline upon your subjects and first to extend the hand of mercy to the ministers of God and to widows, and orphans; and may you never fail to be compassionate that you may be crowned with an eternal reward both in the present and in the future.' After being anointed there with the holy oil and crowned with the golden diadem by the Archbishops Hildibert and Wicfried, when the whole consecration had been completed according to the law, Otto was led by these Archbishops to the throne, which was reached by a spiral staircase and

was set up between two marble columns of wonderful beauty. Thence he could see and be seen by everybody.

II, *ii. Then, when the divine lauds had been said and the sacrifice solemnly celebrated, the King went down to the palace, approached a marble table ornamented with royal magnificence, and sat down once more with the bishops and all the people. The dukes served them.. After this, the King most joyfully dismissed the multitude, and with royal generosity honoured each of the princes, with a suitable gift.*

The vocabulary of
the coronation of Otto the Great 936A.D

Coronationa = crowning of a monarch	تتويج
Erect = lying down	يوضع
Fashion = manner or custom	عادة أو سلوك
Vow = promise	يعد
Aid = help	مساعدة
Enemies = adversaries	أو أعداء خصوم
Magistrates = judges	قضاة
Stole = chasuble = long, wide scarf	رداء كنسـي أو بدلة القداس
Chasuble = stole	بدلة القداس
Wand = staff = sceptre	الصولجان
Walks = place or path for walking	ممرات
Behold = Look	
Round = circular	دائرى
Upwards = sky wards	إلى أعلى
Dress = wear	يلبس أو يرتدى
altar = structure for rituals	المحراب أو المذبح
Insignia = badge of authority or office	الشارات

Cloak = mantle	العباءة
staff = stick or wand or sceptre	عصا الصولجان
Sceptre = wand	الصولجان
Diadem = crown	التاج
Promoted = advenced in rank	ترقى
Abbot = the head of Monastery	مقدم الدير
Dignity = rank or degree	رتبة
Grounds = basis of something	أسس
Supreme = The highest or the greatest	الأعظم أو الأعلى
Benignity = gentle or kindly	مهذب
Armlets = bracelet for the upper arm	اربطة الذراع
anoint = apply oil to as a rite	المسح بالزيت
stair case = ladder	سلم
lauds = praise	مدح
ornament = decorate or adorn	يزين
joyfully = feeling of happiness	شعور بالفرح
multitude = great number	جمهور أو حشد
gift = donation	هبة
honoured = grant or bestow	يمنح

النص العاشر :

BATTLE OF MANZIKERT
26 AUGUST 1071

This second war of his (Romanus IV) was no more successful than the first. it was, in fact altogether indecisive and the enemy held their own everywhere. If our men fell in their tens of thousands, while a mere handful of our adversaries were taken prisoner, at least we were not beaten - and we succeeded in making a lot of noise at the barbarians The result of it all was that Romanus became more proud and more insolent than ever, because, forsooth, he had twice commanded an army. He lost respect for everything, and - worse still -- the evil counsellors to whom he listened led him completely astray.

He set out on his Third and last expedition against the barbarians, who were now distinctly hostile.

So Romanus left the capital to fight them, acompanied by a larger contingent of allies and native troops than before.

With his usual contempt of all advice, whether on matters civil or military, he at once set out with his army and hurried to Caesarea. Having reached that objective, he was loth to advance any further and tried to find excuses for returning to Byzantium, not only for his own sake but for the army's. When he found the disgrace involved in such a retreat intolerable, he should have come to terms with the enemy and put a stop to their annual incursions. Instead, whether in desperation, or because he was more confident than he should have been, he marched to the attack, without taking adequate measures to protect his rear. The enemy, seeing him advance, decided to lure him on still further and ensnare him by cunning. They, therefore, rode on ahead of him and then retired again, as though the retreat was planned. By carrying 'out this man-

oeuvre several times, they succeeded in cutting off some of our generals, who were taken captive. Now I was aware though he was not that the sultan himself, the King of the Persians and kurds, was present in person with his army, and most of their victories were due to his leadership. Romanus refused to believe anyone who detected the Sultan's' influence in these successes. The truth is, he did not want peace. He thought he would capture the barbarian camp without a battle. Unfortunately for him, through his ignorance of military science he had scattered his force; some were concentrated round himself others had been sent adversaries with the full force of his army, less than half were actually involved.

Although Icannot applaud his subsequent behaviour, it is impossible for me to censure him. The fact is, he bore the whole brunt of the danger himself. His action can be interpreted in two ways. My own

view represents the means between these two extremes On the one hand, if you regard him as a hero, courting danger and fighting courageously, it is reasonable to praise him, on the other, when one reflects that a general, if he conforms to the accepted rules of strategy, must remain aloof from the battle line, supervising the movements of his army and issuing the necessary orders to the men under his command, then Romanus conduct on this occasion would appear foolhardy in the extreme, for he exposed himself to danger without a thought of the consequences. I myself am more inclined to praise than to blame him for what he did.

However, that may be, he put on the full armour of an ordinary soldier and drew sword against his enemies. According to several of my informations, he actually killed many of them, and put others to flight. Later, when his attackers recognised who he was, they surrounded him on all sides. He was wounded, and fell from his horse. They seized

him, of course, and the Emperor of the Romans was led away, a prisoner, to the enemy camp, and his army was scattered. Those who escaped were but a tiny fraction of the whole. Of the majority some were taken capture, the rest massacred. A few days after the battle, one of those who had escaped, arriving before his comrades, brought the terrible news to the city. He was followed by a second messenger, and by others. The picture they painted was by no means distinct, for each explained the disaster in his own fashion, some saying that Romanus was dead, others that he was only a prisoner; some again declared that they had seen him being led away, in chains, to the barbarian camps. In view of this information, a conference was held in the capital, and the empress considered our future policy. The unanimous decision of the meeting was that, for the time being, they should ignore the emperor, whether he was a prisoner, or dead, and that Eudocia and her son should carry on the government of the Empire.

The commander-in-chief of the enemy forces, when he perceived that the Roman emperor had fallen into his hands, instead of exulting in his triumph, was quite overcome by his own extraordinary success. He celebrated his victory with a moderation that was beyond all expectation. Offering his condolences to the captive, he shared his own table with him, treated him as an honoured guest, gave him a body guard, loosed from their chains those prisoners he cared to name and set them free. Finally, he restored liberty to Romanus himself also, and after making a treaty of friendships and after receiving from him assurances on oath that he would loyally abide by the agreements they had made, sent him back to Roman territory, with as numerous an escort and bodyguard as anyone could wish for.

The vocabulary of
Battle of Manzikert 26 August 1071

Handful= little	حفنة
Adversaries = enemies	خصوم أو أعداء
Prisoner = captive	أسير
Beaten , v. beat = defeat	يهزم
Forsooth = fact = truth	حقيقة
Astray = off the right way	الضياع
Set out = go	خرج
Distinctly = cleary	بوضوح أو واضح
Contingent = help groups	قوات مساعدة
Contempt = disobedience	العصيان أوعدم الطاعة
Objective = aim	هدف
Incursions = invasions	هجمات أو اغارات
Desperation = No hope	يأس
Adequate = enough	كافى
Rear = the last of the army	مؤخرة
Lure = something attract	يغرى أو يجذب
Rode , past of ride	
On a head of = in front of	الي الامام

cut of = separate	يفصل
aware = trouble	قلق
though = although	بالرغم من
Battle = combat	معركة أو قتال
Scatter = spread	يشتت أو يوزع
Actually = really	بالفعل
Censure = blame	يلوم
the means = middle	وسط
Reflect = look at or see	ينظر إلى
rules = bases	قواعد
Aloof = far	بعيد
occasion = state = case	الحالة
Consequences = results	عواقب أو نتائج
blame = censure	يلوم
flight = escape	فر أو هرب
wounded = hurt	جرح
tiny fraction = little part	جزء صغير
means = completely	تماماً
distinct = clear	واضح
fashion = way	طريقة

in view of = in light of	فى ضوء
decision = decree	قرار
perceive = realize	تأكد أو تحقق
exulting = rejoice	يفرح
quite = completely	تماماً
numerous = consist of great number	عديدة

النص الحادى عشر : .

ALEXIUS I COMNENUS (1081-1118)

By

ANNA COMNENA

Book 1

The Emperor Alexius, who was also my father, had been of great service to the Roman Empire even before he reached the throne, for he started campaigning as early as during the reign of Romanus Diogenes. Amongst his contemporaries he shewed himself remarkable, and a great lover of danger. In his fourteenth year he was anxious to join the Emperor Diogenes on the extremely arduous campaign he was conducting against the Persians, and by this very longing he declared his animosity against the barbarians, and shewed that, if he ever should come to blows with them, he would make his sword drunk with their blood ; of

such a warlike temper was the boy. However, on that occasion the Emperor Diogenes did not allow him to accompany him, as a heavy sorrow ad befallen Alexius' mother, for she was then mourning the death of her firstborn son, Manuel, a man who had done great and admirable deeds for his country. In order that she might not be quite inconsolable, for she did not yet know where she had buried the elder of her sons, and if she sent the younger to the war, she would be afraid of something untoward happening to the lad, and might not even know in what part of the world he fell for these reasons he compelled the boy Alexius to return to his mother. So on that occasion he was indeed parted from his fellow-soldiers, though sorely against his. will, but the future opened out to him countless opportunities for valiant deeds; for under the Emperor Micheal Ducas, after the deposition of the Emperor Diogenes, he shewed of what mettle he was made in his war against Ursel.

Now this man was a Frank by birth who had been enrolled in the Roman Army, reached a high pitch of prosperity, and after gathering a band, or rather quite a considerable army, of men from his own country, and also of other races, he immediately became a formidable tyrant. For when the hegemony of the Romans had received several checks, and the luck of the Turks was in the ascendancy, and the Romans had been driven back like dust shaken from their feet, at that moment this man too attacked the Empire. Apart from his tyrannical nature, what more especially incited him to openly establishing his tyranny just then was the depressed state of the imperial affairs, and he laid waste nearly all the Eastern provinces.

Although many were entrusted with the war against him, men of high reputation for bravery and of very great knowledge of war and fighting, yet he openly baffled even their long experience. For sometimes he would take the offensive himself and

rout his opponents by his meteor-like attacks, and at others he obtained help from the Turks, and was quite irresistible in his onrushes, so that he actually overpowered some of the most powerful chieftains, and utterly confounded their phalanxes. At that time, my father Alexius was under his brother, and openly served as lieutenant under this man, who was invested with the command of all the armies, both of the East and the West.

Then, just when the affairs of the Romans were in this critical condition, with this barbarian rushing upon everything like a thunderbolt, my brilliant father Alexius was thought of as the one man able to resist him, and appointed absolute commander by' the Emperor Michael. Accordingly he summoned up all his shrewdness and the experience he had gained as general and soldier, and that too, by the way, he had not had much time to gather. (But thanks to his exceeding love of industry and ever alert intellect, the picked men among the Romans considered him

to have reached the acme of military experience, and regarded him as that famous Roman Aemilius, or Scipio, or Hannibal the Cartliaginian, for he was quite young and had still "the first down on his cheeks" as the saying goes). This young man captured Ursel as he rushed with might against the Romans, and restored the affairs of the East within the space of a few days; for he was quick at discovering what was expedient, and still quicker in executing it. The manner of his capturing Ursel is told at length by the Caesar in the second book of his history of his own times; but I will relate it too in as far as it concerns my history.

Alexius I Comenus (1081-1118)
By Anna Commena

Book I = Chapter I
Vocabulary

remarkable = famous	شهير
anxious = earnestly wishing	تواق ، متشوق
arduous = tedious	عسر ، متعب
animosity = resentment	غل أو حقد أو كراهية
declar = announce	يعلن
blows = explode	اصطدم
mourning = feel or express grief	حزن على - ارتدى لبس الحداد
befall = happen to	الم
admirable = wonderful	تدعو للاعجاب
bury = desposit in the earth	يوارى التراب أو يدفن
quite = extremely	تماما
sorely = causing pain or distress	بالم أو بمرارة
brave or heroic = valiant	بطل ، شجاع
mettle = spirit.or courage	حمية أو حدة

sorrow = grief حزن

pitch = degree = rank رتبة أو درجة

prosperity = success نجاح أو فلاح

gather = collect يجمع

band = group فرقة

Formidable = causing fear مخيف

hegemony = influence especially or one nation over others نفـوذ أو سيادة

check = test or sudden stop اختبار

shaken, v. shake = distress مهتز

entrust = commit to another with confidence يثق

bafled = perplex اربك أو حير

opponents = adversaries خصوم

rout = beat or defeat يهزم

bravery = courage شجاعة

irresistible = impossible to successfully resiste لا يقاوم

onrushes = attacks = offensives هجمات

overpowered = confouned يقهر أو يرهب

chieftains = leaders = commanders قادة أو زعماء

utterly = extremely = completely	تماماً
confounded = over powered = perplex	قهر أوحير
phalanxes = troops or forces	كتائب
rushing = attack, offensive	هجوم
critical = dangerous	حرجة أو خطرة
condition = state	حالة
brilliant = very bright or very intelligent	متألق
summoned up = send for or call together	استقدم أو أستحضر
shrewdness = showing cleverness	ذكاء أو مهارة
gain = win or earn	كسب
gather = come together or collect	يجمع
might = power	قوة .
expedient = suitable	مناسب
capture = take prisoner or captive	يقع فى الأسر
execute = carry to completion	ينجز
Accordingly = consequently	بناء على ذلك
relate = give a report of	يروى
manner = method = way	طريقة أو سلوك
state = case = desposion	حالة أو وضع

النص الثانى عشر :

THE SPEECH OF POPE URBAN II AT CLERMONT, NOVEMBER 26, 1095

There are four versions of this speech by persons who were probably present, but who do not pretend to quote Urban's words exactly. He had been asked for help by the Emperor Alexius against the Saljuq Turks, and after presiding at the Council of Piacenza in the spring of 1095, he had-come to France. In the course of the summer he stayed at Tou!ouse, Cluny, and other places where he dedicated new cathedrals, churches, and altars. While there is disagreement as to why Urban preached the crusade, it is probable that he had worked out the idea in discussions with lay and clerical nobles and that his speech was not unprepared. This version is by Fulcher of Chartres.

Most beloved brethren, moved by the exigencies of the times, I, Urban, wearing by the permission of God the papal tiara, and spiritual ruler of the whole world, have come here to you, the servants of God, as a messenger to disclose the divine admonition. I desire that those whom I have believed to be the faithful servants of God shall show themselves such, and that there shall be no shameful dissimulation. But if there is in you, contrary to God's law, any deformity or crookedness, because you have lost the moderation of reason and justice, I will earnestly strive to root out the fault....

Since, oh sons of God, you have promised the Lord more earnestly than heretofore to maintain peace in your midst and faithfully to sustain the laws of the church, there remains for you, newly fortified by the correction of the Lord, to show the strength of your integrity in a certain other duty, which is not less your concern than the Lord's. For you must carry succor to your brethren dwelling in the East,

and needing your aid, which they have so often demanded....

wherefore, I pray and exhort, nay not I, but the Lord prays and exhorts you, as heralds of Christ, by frequent exhortation, to urge men of all ranks knights and footsoldiers, rich and poor, to hasten to exterminate this vile race from the lands of our brethren, and to bear timely aid to the worshippers of Christ. I speak to those who are present, I proclaim it to the absent, but Christ commands. Moreover, the sins of those who set out thither, if they lose their lives on the journey. by land or sea, or in fighting against the heathen. shall be remitted in that hour; this I grant to all who go, through the power of God vested in me.

Oh, what a disgrace if a race so despised, degenerate, and slave of the demons, should thus conquer a people fortified with faith in omnipotent God and resplendent with the name of Christ ! Oh,

how many reproaches will be heaped upon you by the Lord Himself if you do not aid those who like yourselves are counted of the Christian faith ! Let those who have formerly been accustomed to contend wickedly in private warfare against the faithful, fight against the infidel and bring to a victorious end the war which ought long since to have begun. Let those who have hitherto been robbers now become soldiers of Christ. Let those who have formerly contended against their brothers and relatives now fight as they ought against the barbarians. Let those who have formerly been mercenaries at low wages, now gain eternal rewards. Let those who have been striving to the detriment both of body and soul, now labor for a two-fold reward....

The Text of
The Speech of Pope Urban II at Clermont

Cathedrals = big church	كاتدرائية
Church = building especially for Christian public worship	كنيسة
Alter = structure for rituals or rites	مذبح
Brethren = brothers	أخوة
Exigencies = urgent need	الحاجة الملحة
Permission = formal consent	تصريح
Tiara = decorative formal headband	البلاط
Messenger = one who carries a message	رسول
Admonition = rebuke	عظة
Deformitry = disfigure = fault	عيب
Fault = mistake or Something wrong	خطأ أو عيب
Succor = help = aid	مساعدة
Correction = make right	تصحيح
Duty = legal obligation	واجب مهمة أو التزام شرعي

Heralds = messengers	أتباع أو رسل
Ranlcs = degrees	درجة أو رتبة
Race = a group of persons of common ancestry	سلالة
Commands = orders	أوامر
Sins = offense against god or misdeeds	ذنوب
Healthen = Godless percon	الكبار
Grant = give = bestow = vest	يمنح
Disgrace = shame or cause of shame	العار
Resplendent = shining brilliantly	تتألق
Wickedly = strongly	
Infidel = one who does not believe in a particular religion or healthen	كافر
Robbers = thief or thieves	لصوص
Relatives = person connected with another by blood or marriage	أقارب
mercenaries = who serving only for money	مرتزقة
Wages = payment for labor or services	أجور
Rewards = something offered for service or achievement	جوائز
Detriment = damage	ضرر أو خسارة

النص الثالث عشر :

KING RICIHARD AS KED SALADIN A TRUCE FOR THREE YEARS 1192

In the meantime the king began to be anxious about the health, and after long reflection he sent for his relation Count Henry, with the Templars and Hospitallers, to whom he explained the enfeebled state of his body, and protested that in consequence of the vitiated atmosphere, and the bad state of the fortifications, he must immediately leave the place. 'To this proposition they all with one heart and one voice made objection. Richard was vexed and embarrassed by this conduct, and it gave him the most bitter pain that none of them sympathized with his misfortunes. Seeing, then, that all left him, and that none took the slightest interest in the common cause, he ordered proclamation to be made, that whoever wished to receive t he king's pay should

come together to give him their helps. At once two thousand footmen and fifty knights came forward. But the king's health now began to get so bad, that he despaired of its being re-established ; wherefore in his anxiety both for the others and for himself, he thought it best, of all the plans which suggested themselves, to ask a truce, rather than to leave the land a prey to devastation, as many others had done, by sailing home in numbers to their own country. Thus the king, perplexed and hesitating what he had best do, requested Saphadin, the brother of Saladin, to mediate between them, and obtain the most honourable terms of truce in his power. Now Saphadin was a man of extraordinary liberality, who on many occasions paid a great honour to the king for his singular virtues ; and he now with great zeal procured for Richard a truce on the following conditions, namely, that Ascalon, which had always been a cause of annoyance in Saladin's government, should be destroyed, and not rebuilt for the space of at least three years,

beginning at the following festival of Easter; but at the end of that time, whoever could get possession of it might fortify it ; that the Christians should be allowed to inhabit Joppa without let or molestation, together with all the adjoining country, both on the sea-coast and in the mountains; that peace should strictly be observed between the Christians and Saracens, each having free leave to come and go wherever they pleased; that pilgrims should have free access to the Holy Sepulchre, without any payment or pecuniary exaction whatever, and with leave to carry merchandise for sale through the whole land, and to practise commercial pursuits without opposition. This treaty was presented in writing to king Richard, who gave it his approbation, for in his weak condition, and having so few troops about him, and that too within two miles of the enemy, he did not think it in his power to secure more favourable terms. Whoever entertains a different opinion concerning this treaty, I would have him know that he will expose himself to the charge

of perversely deviating from the truth.

How the king and Saladin corresponded amicably with one another by means of messengers.

When, therefore, he king, in his present emergency, had settled matters in the way described, he, in his magnanimity, which always aimed at something lowly and difficult, sent ambassadors to Saladin, announcing to him, in the presence of numerous of his chiefs, that he had only asked for a truce of three years for the purpose of revisiting his country, and collecting more men and money, where with to return and rescue all the lands of Jerusalem from his domination, if indeed Saladin should have the courage to face him in the field. To this Saladin replied, calling his own Holy Law and God Almighty to witness, that he entretained such an exalted opinion of king Richard's honour, magnanimity, and general excellence, that he would rather lose his dominions to him than to any other king he had ever seen, always supposing that he

was obliged to lose his dorninions at all. Alas! how blind are men, whilst they lay plans for many years to come, they know not what tomorrow may bring forth : the king's mind was looking forward into the future, and he hoped to recover the sepulchre of our Lord; but be did not.

Reflect how every human thing.
Hangs pendant en a slender string.

King Richard asked Saladin a truce for three years 1192

anxious = worry = anxiety قلق
reflection = thinking تفكير
relation - relative = a person who belongs to your قريب
enfeebled = weak اضعف
protest= declare صرح
vex = angry غضب
embarrass = perplex يحير او يربك
bitter = that tastes sour and sharp or that makes you feel very sad مــر
slight = small amount = little قليل
interest = care اهتمام
misfortune = bad luck حظ سئ
anxiety = anxious قلق
procured = obtain يحصل على
truce = an official agreement to stop fighting or quarrelling هدنة
conditions = terms شروط أو بنود
annoyance , v. annoy = to make a person angry or worry قلق

festival = celebration for religious reasons	احتفال
let = obstacle	عقبة أو عائق
allowed = permitted	يسمح
molestation = interfere with a person and stop him doing something or going some where .	تدخل أو مضايقة
adjoining = to be next to or beside	بجانب
strictly = exactly	بدقة
pilgrims = a person who travels to a holy place .	الحجاج
access = entry	دخول
opposition = objection	معارضة
approbation = agreement	موافقة
secure = safe	يضمن
favourable = suitable	مناسب
amicably = friendly	ودى
messengers = ambassadors	رسل أو سفراء
matters = events	احداث
sepulchre = tomb	قبر
pendant = necklace	قلادة
slender = very small	ضئيل

النص الرابع عشر :

THE FALL OF CONSTANTIOPLE, 1204

The capture of Constantinople by the combined forces of the Venetians and Crusaders meant that the richest city in the Christian world was open to plunder by the victors.

The following extract is by Villehardouin .

.The Marquis Boniface of Montferrat rode all along the shore to the palace of Bucoleon, and when he arrived there it surrendered, on condition that the lives of all therein should be spared. At Bucoleon were found the larger number of the great ladies who fled to the castle, for there were found the sister of the king of France, who had been empress, and the sister of the king of Hungary who had also been empress, and other ladies very many. Of the

treasure that was found in that palace I cannot well speak, for there was so much that it was beyond end or counting.

At the same time that this palace was surrendered to the Marquis Boniface of Montferrat, did the palace of Blachernal surrender to Henry, the brother of Count Baldwin of Flanders, on condition that no hurt should be done to the bodies of those who were therein. There too was found much treasure, not less than in the palace of Bucoleon. Each garrisoned with his own people the castle that had been surrendered to him, and set a guard over the treasure. And the other people, spread abroad throughout the city, also gained much booty. The booty gained was so great that none could tell you the end of it: gold and silver, and vessels and precious stones, and samite, and cloth of silk, and robes noir and grey, and ermine, and every choicest thing found upon the earth. And well does Geoffry of Villehardouiin the Marshal of Champagne, bear

witness, that never, since the world was created, had so much booty been won in any city.

Every one took quarters where he pleased, and of lodgings there was no stint. So the host of the pilgrims and of the Venetians found quarters, and greatly did they rejoice and give thanks because of the victory God had vouchsafed to them for those who before had been poor were now in wealth and luxury. Thus they celebrated Palm Sunday and the Day following (25th April 1204) in the joy and honour that God had bestowed upon them . And well might they praise our Lord, since in all the host there were no more than twenty thousand armed men, one with another, and with the help of God they had conquered four hundred thousand men, or more, and in the strongest city in all the world - yea, a great city - and very well fortified.

Division of the Spoil

Then was it proclaimed throughout the host by the Marquis Boniface of Montferrat, who was lord of the host, and by the barons, and by the Doge of Venice, that all the booty should be collected and brought together, as had been covenanted nder oath and pain of excommunication. Three churches were appointed for the receiving of the spoils, and guards were set to have them in charge, both Franks and Venetians, the most upright that could be found.

Then each began to bring in such booty as he had taken, and to collect it together. And some brought in loyally, and some in evil sort, because covetousness, which is the root of all evil, let and hindered them. So from that time forth the **covetous** *began to keep things back, and our Lord began to love them less. Ah God! How loyally they had borne themselves up to now ! And well bad the Lord God*

shown them that in all things He was ready to honour and exalt them above all people. But full often do the good suffer for the sins of the wicked.

The spoils and booty were collected together, and you must know that all was not brought into the common stock for not a few kept things back, maugre the excommunication of the Pope. That which was brought to the churches was collected together and divided, in equal parts, between the Franks and the Venetians, according to the sworn covenant. And you must know further that the pilgrims, after the division had been made, paid out of their share fifty thousand marks of silver to the Venetians, and then divided at least one hundred thousand marks between themselves, among their own people. And shall I tell you in what wise ? Two sergeants on foot counted as one mounted, and two sergeants mounted as one knight. And you must know that no man received more, either on account of his rank or because of his deeds, than that which

had been so settled and ordered save, in so far as, he may have stolen it.

And as to theft, and those who were convicted thereof, you must know that stern justice was meted out to such as were found guilty, and not a few were hung. The Count of St. Paul hung one of his knights, who had kept back certatin Spoils, with his shield to his neck; but many there were, both great and small, who kept back part of the spoils, and it was never known. Well may you be assured that the spoil was very great, for if it had not been for what was stolen, and for the part given to the Venetians, there would have been at least four hundred thousand marks of silver, and at least ten thousand horses-one with another. Thus were divided the spoils of Constantinople, as you have heard.

The vocabulary of
The fall of Constantinople
1204

shore = land a long the edge of water	شاطئ
spared = avoid punishing or killing	الابقـاء عـلى
fled = v. flee = run away	يحتمى أو يلجأ
castle = garrison	حصن
treasure = wealth	ثروة
hurt = feel or cause pain	يجرح
garrisoned = military post or the troops stationel there .	حراسة
spread = scatter, disperse	ينتشر
booty = spoil = plunder	غنيمة
ermine = fur	فراء
choicest = selected with care	مفضل
pleasad = liked	يحب
quarters = lodgincgs	مساكن
stint = no count = numerous	لا يعد ولا يحصي

vouchsafed = bestowed - conferred	يمنح
The host = army	الجيش
Divison of the spoil	تقسيم الغنيمة
sopil = plunder = booty	غنيمة
proclaim = announce	يعلن
convenant = agreement	اتفاق أو ميثاق
pain = punichment	عقاب
appointed = assign	يحدد أو يعين
loyally = faithful	صدق
sort = kind = nature	طبيعة
evil = wicked	شرير
exalt = glorify	يمجد
hindrance = obstacle	عقبة أو عائق
let = cause to	يسبب أو يسيطر على
forth = forward	أمام
sergeant = officer	جندى
stock = store house	مخزن
sworn = v.swear = make solemn	يقسم

mounted = horse to ride	راكب الجواد
theft = act of stealing	سرقته
convicted = find guilty	ادين
stern =strict	دقيق – قاس
meted out = distribute	حقيقى – وزع
shield = something that protects	درع
assure = give confidence	يثق

النص الخامس عشر :

TUE EXCOMMUNICATION Of FREDERICK II AT THE COUNCIL OF LYONS, 1245

Pope Innocent IV had been friendly to the emperor before he was elected pope. Thereafter he turned on the amazing and excommunicated him. This was nothing new to the emperor; but it was the last such sentence against him, since he died 1250.

****

(Innocent recapitulates the efforts of the popes to maintain peace between the church and the empire and dwells upon the Sins of the emperor. Then, after charging him with the particular crimes of perjury, sacrilege, heresy, and tyranny, he proceeds as follows:) We, therefore, on account of his aforesaid crimes and of his many other nefarious misdeeds, after careful deliberation with our brethren and with the holy council, acting however unworthily as the vicar of Jesus Christ on earth and knowing

how it was said to us in the person of the blessed apostle Peter, "Whatsoever ye shall bind on earth shall be bound in heaven" ; we announce and declare the said prince to be bound because of his sins and rejected by the Lord and deprived of all honor and dignity, and moreover by this sentence we hereby deprive him of the same since he has rendered himself so unworthy of ruling his kingdom and so unworthy of all honors and dignity; for, indeed, on account of his iniquities he has been rejected of God that he might not reign or exercise authority, All Who have taken the oath of fidelity to him we absolve forever from such oath by our apostolic authority, absolutely forbidding anyone hereafter to obey him or look upon him as emperor or king. Let those whose duty it is to select a new emperor proceed freely with the election. But it shall be our care to provide as shall seem fitting to us for the kingdom of Sicily with the coucnil of our brothers, the cardinals.

The vocabulary of
The excommunication or Frederick II
At the council of Lyons 1245

Excommunication = cut from all realtions with the church and christaines	قرار حرمان
council = assembly or meeting	مجمع
elect = choose especially by vote	ينتخب
sentence = judgment	حكم
Recapitulate = summarize	اجمل القول أو لخص الشرح
sins = misdeeds	ذنوب أو أخطاء
charging = accuse	اتهام
perjury = voluntary violation of an ooth to tell the truth	حلف زور أو قسم يمين كاذب
sacrilege = violation of something scared	تدنيس الأشياء المقدسة
aforesaid= said before	سابق الذكر
misdeeds = sins = wrong deeds	ذنوب أو أخطاء
nefarious = very wicked	فظيع أو شنيع
deliberation = not hurried	تروى
ye = you	

holy = sacred	مقدس
bind , p. bound = tie, obligate	ملزم
haven = sky	السماء
reject = refuse or disagree	رفض
fitting = suitable	مناسب
provide = supply	يجهز أو يزود

النص السادس عشر :

THE BLACK DEATH, 1348

The following extracts from the Chronicle of Henry Kinghton show some of the consequences of the Black Death. Although he was only a boy when the plague struck England, there is no reason to doubt his memory on the average, about ne-third to one-half of the population of Europe died in two yeas. It is not difficult to imagine the psychological, social, and economic consequence of such a Catastrophe.

****

In this (1348) and the following year there was a general death of people throughout the world. It began first in India, then it passed to Tharsis, thence to the Saracens, Christians and Jews in the course of one year, from one Easter to the next....

In one day there died 812 people in Avignon according to the reckoning made to the pope.... 358

Dominicans died in Provence in Lent; in Montpellier only seven friars were left from 149. . At Marscilles only one Franciscan remained of 150...

Then the grievous plague came to the seacoasts from Southampton, and came to Bristol, and it was there as if they strength of the town had died, as if they had been hit with sudden death, for there were few who stayed in their beds more than three days, or two days or even one half a day. Then the death broke out everywhere the sun goes.

And more than 380 died at Leicester in the small parish of St. Leonard. More than 400 died in the parish of the Holy Cross; 700 died in the Parish of St. Margaret of Leicester. And so it was in greater number in each parish. Then the bishop of Lincoln sent throughout his diocese and gave general power to each and every priest, regular as well as secular, to hear confessions and absolve with full and complete Episcopal authority, except only in the instance of debt. In which case, if he was able by himself while he lived he should pay it, or

others surely would do this for him from his possessions after his death. Likewise the pope granted full remission of all sins to whoever was absolved while in peril of death, and he granted this power to last from Easter to the next following. And everyone could elect his confessor as it pleased him. In this year there was a great pestilence among the sheep everywhere in the kingdom; so that in one place more than 500 sleep died in one pasture, and they became so putrid that neither beasts nor birds would touch them. And because of the fear of death there were low prices for everything... For a man could have one horse which before was worth 40s For one half a mark...... And sheep and cattle wandered through fields and among crops and there was no one who was ncerned to drive and collect them, but an unknown number died in ditches and hedges throughout every region for lack of herders. For there was such a lack of servants and helpers that there was no one who knew what he ought to do....

The workers, nevertheless, were so elated and Contrary that they did not heed the mandate of the king (prohibiting higher wages) but if anyone wanted to hire them, he had to give them as they desired; either lose their crops and fruit or grant the selfish and lofty wishes of the workers....

After the aforesaid pestilence, many large and small buildings in all the cities, boroughs and villages collapsed and were levelled with the earth for lack of inhabitants; likewise many villages and hamlets were deserted. No house was left in them for everyone who had lived in them had died, and it was probable that many such villages were never to inhabited again....

The vocabulary of

The Black Death

1348

death = end of life or cause of loss of life موت

Rockoniny = calculation or sttling of accounts احصاء

Lent = the big fast الصوم الكبير

friars = monks or brothers الرهبان أوالاخوة

Grievous = causing grief or sorrow مفجع أو مخزن

Plague = pestilence طاعون أو وباء

Parish = local church community = diocese ابرشية

Absolove = forgive يسامح أويغفــر

debt = sin ذنب

Remission = frogiveness صفح أو غفران

peril = danger خطر

Confessor = priest who hears confessions or one who confesses معترف

Pasture = land used for grazing مرعى

Putrid = rotten متعفن

Beasts = cattle or animals دواب أوحيوانات

Wander = move about aimlessly يهيم أو يتجول

ditch = trench	خندق
herder = group of animal of one kind	قطيع
elated = fill with joy	مغرور أو متغطرس
heed =pay attention	ينتبه إلى
mandate =authoritative command	أمر ملكى
prohibiting = prevent by authority	منع
hire = payment for labor or employ for pay	يؤجر
wishes = desires	رغبات أو أماني
aforesaid = said before	سالف الذكر
hamlet = small village	قرية صغيرة أو كفر
deserted = abandon	يترك أو يهجر

DICTATUS PAPAE, 1075[1]

There is some debate as to whether or not Pope Gregory VII wrote these sentences that reflect his ideas. They were composed early in 1075 and represent the extreme claims of the Papacy. Henry IV and the imperial party rejected most of them, and not all were acceptable to many of the higher clergy.

* * *

I. That the Roman church was founded by God alone.

II. That the Roman pontiff alone can with right be called universal.

III. That he alone can depose or reinstate bishops.

IV. That, in a council, his legate, even if a lower grade, is above all bishops, and can pass sentence of deposition against them.

V. That the pope may depose the absent.

VI. That, among other things, we ought not to remain in the same house with those excommunicated by him.

VII. That for him alone is it lawful, according to the needs of the time, to make new laws, to assemble together new congregations, to make an abbey of a canonry; and, on the other hand, to divide a rich bishopric and unite the poor ones.

VIII. That he alone may use the imperial insignia.

IX. That of the pope alone all princes shall kiss the feet.

X. That his name alone shall be spoken in the churches.

XI. That this is the only name in the world.

XII. That it may be permitted to him to depose emperors.

XIII. That he may be permitted to transfer bishops if need be.

XIV. That he has power to ordain a clerk of any church he may wish.

XV. That he who is ordained by him may *preside* over another church, but may not hold a subordinate position ; and that such a one may not receive a higher grade from any bishop.

XVI. That no synod shall be called a general one without his order.

XVII. That no chapter and no book shall be considered canonical without his authority.

XVIII. That a sentence passed by him may be retracted by no one; and that he himself, alone of all, may retract it.

XIX. That he himself may be judged by no one.

XX. That no one shall dare to condemn one who appeals to the apostolic chair.

XXI. That to the latter should be referred the more important cases of every church.

XXII. That the Roman church has never erred; nor will it err to all eternity, the Scriptures bearing witness.

XXIII. That the Roman pontiff, if he have been canonically ordained, is undoubtedly made a saint by the merits of St. Peter; St. Ennodius, bishop of Pavia, bearing witness, and many holy fathers agreeing with him. As is contained in the decrees of St. Symmachus the pope.

XXIV. That, by his command and consent, it may be lawful for subordinates to bring accusations.

XXV. That he may depose and reinstate bishops without assembling a synod.

XXVI. That he who is not at peace with the Roman church shall not be considered catholic.

XXVII. That he may absolve subjects from their fealty to wicked men.

The Text of
Dictatus Papae, 1075

Debate = discuss a question by argument	مناقشة
Sentence = Judgment of a Court	حكم أو قانون
Papacy = Office of Pope	البابوية
Pontiff = Pope or bishop	البابا
Bishop = Clergyman higher Than a priest	الأسقف
Council = assembly or meeting	مجمع
Deposition = remove a ruler From office	عزل
Excommunicate = expel from a church	(يُحرِّم)
Abbey = monastery	دير
Bishopric = diocese or office of bishop	أسقفية
Insignia = badge of authority or office	شارات
Clerk = official responsible for record – Keeping – Person doing general office work	مسجل
Subordinate = lower in rank	أدنى / دنيا
Grade = rank = degree	رتبة / درجة
Synod = governing group especially of a religious organization	مجمع ديني

Church = building especially for Christian public worship	كنيسة
Eternity = infinite duration	أبدي
Scriptures = Bible = Sacred wriling of a religion	الإنجيل
Merits = Praise worthy quality	بركات
Decree = official order	مرسوم
Accusations = charge with an offense	اتهامات
Peace = State of calm and quiet	السلام
Subjects = Person under the authority of another	اتباع

THE ORIGIN OF THE TEMPLARS, 1119[1]

By

WILLIAM OF TYRE

The Middle Age had two ideals, the monk and the soldier. The monk was the spiritual, the soldier the military hero. The military monkial-orders, whose members were both monks and soldiers, represent a fusion of these two ideals. The fact that all these orders arose on the borderland between Christians and Muslims, that is in Palestine and Spain, would indicate their close connection with the spirit of the crusades.

In the same year (1118—1119) certain nobles of knightly rank, devout, religious, and God-fearing, devoting themselves to the service of Christ, made their vows to the patriarch (of Jerusalem) and declared that they wished to live forever in chastity, obedience, and poverty, according to the rule of regular canons. Chief of these were Hugo de payens and Geoffrey of St. Omer. Since they had neither a church nor a house, the king of Jerusalem gave them a temporary residence in the palace which stands on the west side of the temple. The canons of the temple granted them, on certain conditions, the open space around the aforesaid palace for the erection of their necessary buildings, and the king, the nobles, the patriarch, and the bishops, each from his own possessions, gave them lands for their support. The patriarch and bishops ordered that for the forgiveness of their sins their first vow should be to protect the roads and especially the pilgrims against robbers and marauders. For the first nine years after their order was founded they wore the ordinary dress of a layman, making use of such clothing as the people, for the salvation of their souls, gave them. But in their ninth year a council was held at

---

Troyes (1128) in France at which were present the archbishops of Rhiems and Sens with their suffragans, the cardinal bishop of Albano, papal legate, and the abbots of Citeaux, Clairvaux, and Pontigny, and many others. At this council a rule was established for them, and, at the direction of the pope, Honorius III, and of the patriarch of Jerusalem, Stephen, white robes were appointed for their dress. Up to their ninth year they had only nine members, but then their number began to increase and their possessions to multiply. Afterward, in the time of Eugene III, in order that their appearance might be more striking, they all, knights as well as the other members of a lower grade, who were called serving men, began to sew crosses of red cloth on their robes. Their order grew with great rapidity, and now (about 1180) they have 300 knights in their house clothed in white mantles, besides the serving men, whose number is almost infinite. They are said to have immense possessions both here (in Palestine) and beyond the sea (in Europe). There is not a province in the whole Christian world which has not given property to this order, so that they may be said to have possessions equal to those of kings. Since they dwelt in a palace at the side of the temple they were called "Brothers of the army of the temple". For a long time they were steadfast in their purpose and were true to their vows, but then they forgot their humility, which is the guardian of all virtues, and rebelled against the patriarch of Jerusalem who had assisted in the establishment of their order and had given them their first lands, and refused him the obedience which their predecessors had shown him. They also made themselves very obnoxious to the churches by seizing their titles and first-fruits and plundering their possessions.

The Text of
The Origin of The Templars, 1119
By William of Tyre

Monk = member of a religious order living in a monastery	راهب
Soldier = Person in military service	جندي
Ideal = model	نموذج
Order = rank, Class or Special group	طائفة أو فرقة
Crusade = medieval Christian expedition to the Holy Land	حرب صليبية
Vow = Solemn Promise to de Something or to the live or act a certain way	نذر أو عهد
Patriarch = man revered as Father	الطبريرك
Canon = regulation governing a church	قانون كنسي
Residence = place of worship	سكن
Temple = place of worship	معبد
Church = building especially for Christian public worship	كنيسة
Palace = residence of a sovereign	قصر
Erection = building	تشييد أو بناء

Bishop = clergyman higher than a pries	الأسقف
Sin = offense against God	خطيئة أو ذنب
Pilgrim = one who travels to a holy place in devotion	الحاج
Marauders = plunders	قطاع الطريق
Salvation = Saving of a person from sin or danger	الخلاص
Council = assembly or meeting	مجمع
Archbishop = Chief bishop	رئيس الأساقفة
Cardinal = official of the Roman Catholic Church	الكاردينال
Legate = official representative	مندوب
Abbot = head of a monastery	مقدم الدير
Multiply = increase in number	تتضاعف
Striking = very noticeable	ملحـــــوظ أو لافت للنظر
Mantle = cloak	العباءة
Infinite = having no limit	لا حد له
Title = legal ownership	حق شرعي

INNOCENT III FORBIDS THE VENETIANS TO TRAFFIC WITH THE MOHAMMEDANS, 1198[1]

The maritime cities of Italy took quite a part in the crusades, but their interests were largely commercial. In all the cities of the eastern Mediterranean and the Black Sea they tried to get harbor privileges, freedom from tolls or at least a reduction in them, and quarters, consisting of a few city blocks, in which their agents or colonists could reside. They carried on an extensive commerce with the Mohammedans and cleverly and selfishly made use of the crusades to increase it. While the church was glad to have their aid in the wars with the Mohammedans, it found them a disturbing element, because they were content and wished to end hostilities as soon as they had secured good commercial advantages. The popes took the position that there should be no peaceable intercourse between Christians and Mohammedans, and so tried to prevent all commerce between them. This letter of Innocent III to the people of Venice illustrates the attitude of the pope in this matter, informs us what some of the chief articles of commerce were, and shows how the pope was compelled to make concessions to the commercial spirit.

* * *

In support of the eastern province (that is, the crusading states), in addition to the forgiveness of sins which we promise those who, at their own expense, set out thither, and besides the papal protection which we give those who aid that land, we have renewed that decree of the Lateran council (held under Alexander III, 1179), which excommunicated those Christians who shall furnish the Saracens with weapons, iron, or timbers for their galleys, and those who serve the Saracens as helmsmen or in any other way on their galleys and other piratical

(1) Thatcher and McNeal, *op. cit.*, pp. 535-537.

craft, and which furthermore ordered that their property be confiscated by the secular princes and the consuls of the cities, and that, if any such persons should be taken prisoner, they should be the slaves of those who captured them. We furthermore excommunicated all those Christians who shall hereafter have anything to do with the Saracens either directly or indirectly, or shall attempt to give them aid in any way so long as the war between them and us shall last. But recently our beloved sons, Andreas Donatus and Benedict Grilion, your messengers, came and explained to us that your city was suffering great loss by this our decree, because Venice does not engage in agriculture, but in shipping and commerce. Nevertheless, we are led by the paternal love which we have for you to forbid you to aid the Saracens by selling them, giving them, or exchanging with them, iron, flax (oakum), pitch, sharp instruments, rope, weapons, galleys, ships, and timbers, whether hewn or in the rough. But for the present and until we order to the contrary, we permit those who are going to Egypt to carry other kinds of merchandise whenever it shall be necessary. In return for this favor you should be willing to go to the aid of the province of Jerusalem and you should not attempt to evade our apostolic command. For there is no doubt that he who, against his own conscience, shall fraudulently try to evade this prohibition, shall be under divine condemnation.

The Text of

Innocent III Forbids The Venetians

To Traffic with The Mohammedans, 1198

Traffic = business dealing	الاتجار
Crusades = medieval Christian expedition to the Holy Land	الحروب الصليبية
Privileges = right granted as an advantage or favor	امتيازات
Quarters = place to give especially for a time	أحياء
Agent = person acting or doing business for another	وكيل
Venice = city in Italy	مدينة البندقية
Concessions = Privileges	امتيازات
Decree = official order	قرار أو مرسوم
Council = meeting or assembly	مجمع
Excommunication = expel from a church	قرار الحرمان
Saracens = Mohammedans	المسلمون
Pirates = one who commits piracy	قراصنة
Consul = Roman magistrate or government commercial official in Foreign country	قنصل
Messenger = one who carries a message	رسول أو سفير
Flax = plant from which linen is made	
Rope = large strong cord of strands of fiber	حبل
Timbers = large squared piece of wood	ألواح خشبية
Conscience = awareness of right and worng	ضمير

Sacred = holy or worthy of reverence	مقدس
Sins = guilts = offenses against God	ذنوب
Aid = help	مساعدة
Weapons = something (as a sword, spear) that may be used to fight with	أسلحة
Galleys = old ship propelled by oars and sails	سفن (شواني)
Secular = not menastic or layman	علماني
Prisoner = captive	
Slaves = one owned and forced into service by another	عبيد
War = armed fighting between nations or struggle between opposing forces	الحرب
Shipping = navigation or sailing	الإبحار
Commerce = business	تجارة
Condemnation = declare to be wrong, guilty	إدانة

STUDENT LIFE AT THE UNIVERSITY OF PARIS[1]

The conduct of the students at Paris would have driven the modern dean to his grave. There were frequent rows between town and gown to be sure, but perhaps more serious were the fights between the students themselves, and especially between the different nations of students. They realized their special legal position and often were armed with clubs if not knives. Many were not students at all, but were wasting their lives in gay and violent living of which the Goliardic songs offer a glimpse. The passage following is by Jacques de Vitry (ca. 1180-ca. 1240) a prominent cleric and bishop who, among other things, preached the crusade against the Albigensians in the winter of 1211-1212.

• • •

Almost all the students at Paris, foreigners and native, did absolutely nothing except learn or hear something new. Some studied merely to acquire knowledge, which is curiosity; others to acquire fame, which is vanity; others still for the sake of gain, which is cupidity and the vice of simony. Very few studied for their own edification, or that of others. They wrangled and disputed not merely about the various sects or about some discussions ; but the differences between the countries also caused dissensions, hatreds and virulent animosities among them, and they impudently uttered all kinds of affronts and insults against one another.

They affirmed that the English were drunkards and had tails; the sons of France proud, effeminate and carefully adorned like women. They said that the Germans were furious

and obscene at their feasts ; the Normans, vain and boastful; the Poitevans, traitors and always adventurers. The Burgundians they considered vulgar and stupid. The Bretons were reputed to be fickle and changeable, and were often reproached for the death of Arthur. The Lombards were called avaricious, vicious and cowardly; the Romans, seditious, turbulent and slanderous; the Sicilians, tyrannical and cruel; the inhabitants of Brabant, men of blood, incendiaries, brigands and ravishers; the Flemish, fickle, prodigal, gluttonous, yielding as butter, and slothful. After such insults from words they often came to blows.

I will not speak of those logicians before whose eyes flitted constantly "the lice of Egypt," that is to say, all the sophistical subtleties, so that no one could comprehend their eloquent discourses in which, as says Isaiah, "there is no wisdom." As to the doctors of theology, "seated in Moses' seat," they were swollen with learning, but their charity was not edifying. Teaching and not practicing, they have "become as sounding brass or a tinkling cymbal," or like a canal of stone, always dry, which ought to carry water to "the bed of spices." They not only hated one another, but by their flatteries they enticed away the students of others; each one seeking his own glory, but caring not a whit about the welfare of souls.

The Text of
Student Life at The University of Paris

English	Arabic
Dean = University or school administrator	العميد أو الرئيس
Fight = Contend against another in battle or struggle	قتال أو مشاجرة أو مشاحنة
Student = one who studies	طالب
University = institution of higher learning	جامعة
Nation = People of similar characteristics or community with its own territory and government	امة
Clubs = heavy wooden stick	عصى
Knives = sharp blade with a handle	سكاكين
Glimpse = lake a brief look at	لمحة سريعة
Crusade = medieval Christian expedition to The Holy Land	
Native = one who belongs to a country by birth	المواطن
Foreigner = belonging to a different country	المغترب أو الأجنبي
Know ledge = range of information	معرفة
Fame = public reputation	شهرة، ذيوع الصيت
Cupidity = excessive desire for money	طمع، جشع
Simony = buying or selling of a church office	بيــع الوظــائف الدينية وشرائها
Vice = immoral habit	رزيلة

Sects = religious group = orders	طوائف
Hatreds = hate	كراهية
Utter (v.) = express with voice	يلفظ
Affronts = insults	إهانات
Drunkards = one who is drink	سكير
Furious = fierce or angry	عنيف، غاضب
Boastful = praise oneself	مملوء فخر
Traitors = one who commits treason	خونة
Adventures = risky undertaking	مغامرون
Fickle = unpredictably changeable	متقلب
Vicious = wicked or savage	شرير
Cowardly = one who lacke courage	جبان
Seditious = revolution against a government	متمرد
Turbulent = causing violence or disturbance	مشاغب
Cruel = causing suffering to others	ظالم أو جائر
Ravishers = seize and take away by violence	مغتصب
Gluttonous = one who eats to excess	شرة
Slothful = laziness	كسالى
Lice = louse = Parasitic insect	قمل
Theology = study of religion	علم اللاهوت
Cymbal = one of a pair of concave brass plates clashed together	صنج

The Index